التوحيد

AL-TAWHĪD

مجلة إسلامية جامعة

العدد الثالث – السنة الاولى ١٤٠٣ هجرية

Shiabooks.net

العدد الثالث ـ السنة الأولى ـ رجب، شعبان ـ ١٤٠٣ هـ.

تُعنى بالفكر الإسلامي المعمّق،
والكلمة الهادفة الصادقة،
وكل مايهمُّ الأمة من رؤىً وسلوك بناء.
وتفتح صدرها:
لكل المفكرين الإسلاميين،
خدمةً لقضية التوحيد الكبرى،
وتركيزاً لخصائص الأمة الاسلامية الواحدة،
ونشراً لأضواء الثورة الاسلامية في كل أرجاء الوجود.
بعيداً عن:
كل تعصب ذميم،
وتفريق بين المسلمين لاتحمد عقباه،
ولغوٍ من القولِ لاطائل فيه.

يصدرها:
قسم العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي

ايران ـ طهران ـ خيابان طالقاني
خيابان ايرانشهر شمالي ـ كوچه هما
پلاك ٢ هاتف: ٨٣٢٩٧٢ـ

ثمن النسخة في

ايران	١٠٠ ريال
لبنان	٣٠٠ قرش
سوريا	٣٠٠ قرش
الاردن	٣٠٠ فلس
الكويت	٣٠٠ فلس
عمان	٤٠٠ بيسة
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات	٦ دراهم
السعودية	٦ ريالات
قطر	٦ ريالات
مصر	٣٠٠ مليم
ليبيا	٤٠٠ درهم
السودان	٣٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
المغرب	٤ دراهم

• وفي باقي دول آسيا و افريقيا و في امريكا و استراليا و اوربا دولاران أو مايعادلها.

محتويات العدد

كلمة التحرير

تلاحم بين العبقرية والجهاد ٥

حول القرآن

تفسير القرآن الكريم ٩

المرابطة في المجتمع الاسلامي (١) ..... آية الله العلامة الطباطبائي ١٦

حديث

الروايات المشتركة ..... الشيخ محمود فانصوه ٣٢

فقه

حرمة القمار (١) ..... مرجع الأمة الامام الخميني ٥٢

الانفال (٢) ..... آية الله العظمى الشيخ المنتظري ٦٢

اصول الفقه

الاستحسان المقارن ..... الشيخ محمد علي التسخيري ٧٢

فلسفة

المعرفة بلغة الفطرة (٣) ..... آية الله الشهيد بهشتي ٨٦

اقتصاد

ظاهرة الغلاء ..... الاستاذ الشهيد محمد صالح الحسني ٩٢

لغـــة

دراسة مقارنة في المصطلحات الاسلامية ..... الدكتور الحسيني ٩٩

ملف المؤتمر الأول للفكر الاسلامي (٢)

الأمة الوسط ..... الشيخ محمد تقي رهبر ١٠٦

الاستقلال ..... الشيخ محمد باقر الانصاري ١٢٠

البعد العلمي للأمة الاسلامية ..... الدكتور مهدي گلشني ١٢٦

شخصيـــات

آية الله الشهيد المطهري ١٣٩

أدب

خصائص القصة الاسلامية ..... الاستاذ محسن مخملباف ١٤٦

شـــعر

أمان هوالدرب ..... مصطفى الغمـــاري ١٥٨

أمـــة الفتح ..... شـــاعر الاســـلام ١٦٢

بأقلام القراء ١٦٣

بريد المجلة ١٦٦

الكلم الطيب ١٦٨

كلمة التحرير

آية الله الصدر

تلاحم بين العبقرية والجهاد

اجد في وانا أتأهب للكتابة عن هذه الشخصية الفذة ضئيلاً جداً لاأقوى على الإحاطة بمواقع العظمة فيها لأنها كثيرة واسعة الأبعاد.

لقد عشت فترة من عمري في ظله، ورشفت من مناهله العذبة الروية، وغرس في روحي معاني الإخلاص للعقيدة، ورسم أمام رؤاي الصورة الاسلامية المثلى، وتركني أسبح في بحور من علمه الزاهر، ومناقبه الرائعة، ونفحاته الجهادية الزاخرة.

انه كبير، كبير حقاً...

وخسارتنا به كبيرة، كبيرة حقاً...

انه عملاق المواجهة الحضارية لهجمات استعمارية شرسة واجهت العالم الاسلامي وتحدت حضارته الاسلامية فلم نجد من يقابلها إلا القليل، وفي طليعتهم؛ الإمام الخميني القائد والشهيد العظيم الصدر.

وانه عملاق الفكر العميق المربي الهادي للجماهير...

وانه عملاق الجهاد المرّ ضد قوى الظلام...

وانه الحسب الطاهر الصادق لكل ما ينتسب للإسلام، والانتظار العامل لتحقيق حكمه في الأرض.

فسلام عليه يوم ولد ويوم أستشهد ويوم يبعث

حياً...

و سلام على مدرسة أهل البيت(ع) التي خرّجت امثال هؤلاء العظماء الأفذاذ فضمنت بهم استمرار المسيرة الاسلامية الصاعدة وديمومة الهدى في الأرض.

من أبعاد شخصيته الفذة:

انني متأكد من ان لهذه الشخصية الفذة أبعاداً كثيرة. ومن هنا كان من اللازم عليّ أنْ اقتصر على بعضٍ فيها، عسى أنْ تكشف عن عظمتها — وإنْ كانت عظمتها لاتحتاج الى كشف.

و هذه الأبعاد هي: (التنظير، والتربية، والحب، والجهاد).

فلنقف على كل بعدٍ منها بايجاز:

(١) ــ التنظير:

فلقد كان(رحمه الله)منظراً اسلامياً يقل نظيره في الزمان ومدرسة فكرية متجددة في مختلف الحقول، لها خصائصها وصفاتها الفريدة والتي يمكن اختصارها في النقاط التالية:

أ ــ الشمولية والكلية في النظرة:

وهي خاصة يلاحظها كل من يتعرف على مؤلفات الأستاذ الشهيد ولأول مرة.. فيجده لاينظر لكل قضية وفي أي حقل كانت إلاّ في إطارها العام ومن خلال متابعة صلاتها وجذورها والمؤثرات في صياغة الموقف حولها.

اذا عالج قضية (الإمامة) ــ تاريخياً ــ ربطها بالمسيرة الإنسانية الكبرى والهدف الكبير، واذا درس الفلسفة، نفذ اليها من خلال موقعها الاجتماعي الرفيع، واذا عالج قضية منطقية كالاستقراء، نفذ من خلالها الى أعظم حقيقة في الكون، واذا تعرض لنظام المبادلات، درس دوره في نفي اكبر اعراض المرض في المسيرة الحضارية.

واذا درس الماركسية، ناقش من خلالها نظريات العامل الواحد، واذا ركّز على الواقعة الفقهية، انتقل لدراسة كل القواعد الفقهية الأوسع والأوسع، واذا عالج موضوعاً أصولياً، نظر اليه من جميع الجهات وربما تطرق الى نظريات عالمية لم يعهد طرحها في مثل المجالات الأصولية كما تمّ في بحثه(الوضع)،واذا ذكر الاجتهاد وكيفيته درسه من خلال حركته والمؤثرات الخارجية فيه أو من خلال نقاط الخطر النفسية والتاريخية العاملة على انحرافه، واذا درس قضية معاصرة كقضية البنوك، راح يضعها في ظروفها و يسد كل ثغورها و يقدمها اطروحة كاملة قابلة للتطبيق، واذا درس الموقع الانساني، سار به منذ بدء مسيرته وعبر به كل المراحل الاجتماعية، واذا طالع القرآن الكريم، انتقلت روحه العظيمة في آفاقه ورجعت بتفسير موضوعي اجتماعي رائع، وحتى عند ما يكتب رسالته العملية لمقلديه، يطرح نموذجاً جديداً للرسالة العملية، يبدأ بالعبادات و يمرُّ بالمعاملات، و يصل الى السلوك الخاص، و ينتهي بالسلوك العام.

وهكذا نجده عندما يخطط للمرجعية الموضوعية التي تقود الجامعات العلمية دون تأثير بالذاتيات والعلائق الشخصية.

وأروع مانجده من تخطيط وتنظير هو ما تجل في كتابه الرائع (اقتصادنا) فهو أفضل نموذج لبيان هذه الخاصة.

ب ــ العمق:

وهي خاصة يشهد لها كل من هو مستوى فهم البحث المعمق حين يطالع كتبه الرائعة... انه يتجلى في كل كتاب من كتبه، وكلُّ حديثٍ من

احاديثه، وكلّ درس من دروسه القيمة...

انه يتتبع الفكرة مناقشاً إيّاها بكل منطقية، وموضوعية، و إبداع، دارساً الصلة بينها و بين أسسها، وربما حاكم الفكرة على أساس مما تقوله هي، وهو ماصنعه حين ناقش المادية الديالكتيكية على ضوئها هي.

وأروع ما يتجلى العمق في كتبه الفقهية، والأصولية التي عبرت عن مرحلة جديدة في هذا المجال، كما يتجلى بوضوح في كتابه الرائع (الأسس المنطقية للاستقراء) والذي قال عنه:

«انني اقت البراهين في هذا الكتاب بما لو قرأه الماديّ لآمن بالله وبالعلوم الطبيعية معاً أو كفر بها معاً واغلقت في وجه الكافر باب الخضوع للعلم والتمرد على الله سبحانه».

جـ ـ الموسوعية:

فقد الف في مختلف المجالات الاسلامية (الاجتماعية، والاقتصادية، والفلسفية، والمالية، والأصولية، والفقهية، والتاريخية، والحضارية، والتفسيرية، والحديثية والعقائدية وغيرها) وجاء في كل هذه المجالات بالجديد العميق وهو مايقودنا الى الصفة الأخرى وهي:

د ـ الأصالة:

فهو يستقي من القرآن، والقرآن لاغير، يسلك الطريق الوسطى رافضاً كلّ السبل الأخرى غير متأثر بأية فكرة لا تأتيه من منبع الوحي وإنْ كان يستوعبها بحثاً ونظراً، ولايقف منها موقف الرفض اللاموضوعي.

انه يناقش الفكر الماركسي المادي بأروع مناقشة، كما يناقش الفكر الرأسمالي بكل عمق، فاذا انتهى من نفيها، عاد الى منبع الوحي يستقي منه المذهب الاقتصادي الاسلامي الأصيل.

وهو يناقش الأفكار اللامنطقية المنحرفة بكل منطقية وبرهنة، ثم يختار الرأي الأصيل.

وانت تجد هذه الأصالة في كل ما كتب وخطب.

هـ ـ البعد الاجتماعي:

وهي صفة هامة الى جنب الصفات الأخرى التي يتسم بها تنظيره الفريد... انه يرى الانسان موجوداً يتكامل في الإطار الاجتماعي لاغير، ووعى الإسلام ديناً يركّز على المسيرة الانسانية الاجتماعية المتكاملة و إن كان يمنح الفرد أصالته الذاتية....

هذه النظرة الاجتماعية الواسعة، تجلت في أغلب بل في كل ما كتب، حتى تجده يطرح النظرية الفلسفية الاسلامية من خلال مقدمة اجتماعية، واذا تعرض لحركة الاجتهاد، طرحها بهذا المنظار، واذا درس فكرة الإمامة أو الخلافة الانسانية، تجلى هذا البعد بشكل رائع.

كل هذه كانت ملامح للشهيد العظيم، منظراً للأمة ومخططاً لها صورتها ونظرتها الكونية وايديولوجيتها السلوكية العامة.

(٢) ـ التربية:

وهي تستحق أنْ تشكل بُعداً ضخماً من أبعاد شخصية الشهيد الصدر العظيمة.

ولقد قضى كل عمره الشريف المبارك مربياً يصنع الجيل الناهض الواعي من خلال:

أ ـ تربيته للعديد من العلماء الواعين الذين انتشروا يبثون أنوار التربية الاسلامية في جسم الأمة المسلمة.

ب ـ محاضراته العامة التي كانت تترك أكبر الآثار في نفوس الشباب العراقي المتطلع.

جـ ـ مؤلفاته التي تخاطب القلب والعاطفة،

كما تخاطب العقل، فتترك أثرها المتوازن على شخصية الجيل الاسلامي، مما أمكننا أنْ نقول بحق: إنّه ربّى جيلاً كاملاً، وحصنه ضد كل الهجمات الإلحادية والإستعمارية.

د ــ سلوكه المناقبي الرائع الذي كان يجذب اليه كل واعٍ متطلع فيربّيه التربية المُثلى.

(٣) الحب الإلهي والفناء في الاسلام والعمل به:

فلقد كان (رحمه الله) شعلة حبٍ لله وتفانٍ في الإسلام، وشوقٍ لتطبيقه لايواز به شوق... عاش معه ومات من أجله.

لقد كان يخطط للحكم الاسلامي نظرياً عندما بدأ بالتخطيط لكتابة (فلسفتنا)، و(اقتصادنا)، و(مجتمعنا).

كما إتّجه لنفس السبب الى ايجاد ظاهرة التنظيم الاسلامي في المجتمع بعد أنْ واجه هجمةً شرسةً من قبل الشيوعية والعلمانية.

وقاد عملية توعية فكرية ضخمة في هذا المجال، ثم قام بدورٍ أساسي في انشاء جماعة العلماء، وراح يدعو للتجديد الواعي لأسلوب المرجعية، ثم عمل على مقارعة الحكم المنحرف مما تركه يتعرض للتضييق والاعتقال مرات عديدة.

و بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران بقيادة امام الأمة الخميني العظيم، بدأت مرحلة ضخمة من التضحية ومواجهة الحكم البعثي الكافر.

فأرسل للإمام القائد يعلن انه يضع كل امكاناته المرجعية بخدمة الإمام والثورة الإسلامية بعد أنْ طلب من كل تلامذته أنْ ينذوبوا في مرجعية الإمام القائد كما ذاب هو بدوره في الإسلام.

وراح يكسر جدار الخوف والإرهاب، و يصدر الفتاوى التي تعلن للأمة ان حزب البعث حزب كافر علماني وحرمة الانتماء الى مثل هذا المسلك الخبيث، وهذا موقف يدرك من عاش في العراق خطورته.

واصدر فتواه بحرمة الصلاة خلف المرتزقة الذين دسهم البعث بين العلماء، ثم اصدر اجازته ببدء العمليات الجهادية ضد الحكم الصدامي الغاشم، كل ذلك حباً لله وفناء في الاسلام، وعملاً على تمهيد السبيل لإقامة حكومته العادلة في الأرض.

لقد كان شهيدنا الغالي يهب كل وجوده لهذا الهدف الكبير و يتفاعل معه عقلياً وعاطفياً الى حدٍ عظيم.

فلا غروان يؤبّنه الامام الخميني قائد الأمة بقوله:

«فالشهادة ميراث ناله هؤلاء العظماء، الذين امضوا عمراً من الجهاد في سبيل الأهداف الإسلامية على يد أشخاص جناة قضوا حياتهم بامتصاص الدماء والظلم، وانما العجب هو أنْ يموت مجاهد وطريق الحق على فراشهم دون أنْ يقطع الظلمة الجناة ايديهم الخبيثة بدمائهم».

رحمك الله أيُّها الامام الشهيد، ولتقرَّ عيناك بابنائك الذين يحملون اللواء خلف قائدهم الإمام ليحكموا شريعة الله في الأرض، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، والعاقبة للمتقين.

حول القراء

تفسير القرآن الكريم

إحساساً بضرورة وجود تفسير للقرآن الكريم، يحمل عناصر الايجاز والعمق والوضوح، بالاضافة الى طرح البعد الاجتماعي للمفاهيم القرآنية، فقد قام كل من الشيخ محمدعلي التسخيري والشيخ محمد سعيد النعماني بهذه المهمة التي نسأل الله تعالىٰ التوفيق لاكمالها.

وينبغي للقراء الأعزة ان يلاحظوا انه روعيت في هذا التفسير العناصر التالية:

١ ـ الايجاز الى الحد الممكن مما يجعل كل صفحة من القرآن الكريم تقابلها صفحتان من التفسير تقريباً.

٢ ـ طرح الأبعاد المختلفة للمدلول القرآني ومنها البعد الاجتماعي الاصيل.

٣ ـ طرح التفسير وفق مختلف الآراء مهما امكن مع التركيز على المروي عن اهل البيت(ع).

وقالوا لن تمسنا...: غرور يهودي يشكل أحد أمانيهم بإدعائهم أنهم لايعذبون بالنار جزاء أعمالهم إلاّ أياماً معدودة، ولكن القرآن ينكر عليهم ذلك فلم يحصلوا على وعد إلهي مسبق به وانما هو تقوّل على الله بغير علم.

بلى من كسب...: ذكر لحقيقة قرآنية عامة ترد الدعوى السابقة ـ وهي ان من كسب السيئات وأحاطت به الذنوب فصاغت حياته و سلوكه وسدت عليه طرق الهداية لابد وان يخلد في النار يهودياً كان أوغيره.

والذين آمنوا...: أما المؤمنون الملتزمون بالنهج القويم فهم أصحاب الخلود في الجنة.

واذا أخذنا ميثاق...: وقد سبقت الإشارة لهذا الميثاق المعبر عن وحدة الدين عبر التاريخ في اصوله وسننه وهو يعطي التوحيد اساسا عقائدياً للدين بما فيه من تصورات ونظم للحياة و منها الاحكام التي تشد الجوانب الاجتماعية في اطار عاطفي واع كالاحسان بالوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين كما ان منها القول الحسن الذي يشيع المعروف والثقة في المجتمع وقد ورد عن الباقر(ع) في تفسير الآية: «**قولوا للناس احسن ما تحبون ان يقال لكم**»، كما ان منها اقامة الصلاة بشرائطها، وايتاء الزكاة لتحقيق التكافل والتوازن الاجتماعيين، الا ان بني اسرائيل نكثوا هذا العهد واعرضوا الا القليل منهم، ولاتخلوا أمة من المخلصين.

واذ أخذنا ميثاقكم...: ومن المواثيق التي أقرت بها اليهود وشهدت عليها أن لايريق بعضهم دماء بعض وان لايخرج البعض بعضهم الآخر من ديارهم.

ثم انتم هؤلاء...: تركيز على التناقض العملي لليهود المعاصرين لبدء الدعوة الاسلامية إذ كانوا فرقاً متنازعة في المدينة ـ وربما حالف بعضهم غيرهم من قبائل العرب لضرب البعض الآخر، واخراجه من دياره ظلما وعدوانا، ولكن اذا وقع بعضهم في الأسر عملوا على استخلاص اسراهم بالمال حتى ولوكانوا من الفئة المعادية وذلك عملاً بماجاء في التوراة من انه: «**لاتجد مملوكا من بني اسرائيل إلا اخذته واعتقته**» وهنا يبدوالتناقض بين تمسكهم بالتوراة في مفاداة اسراهم ورفضهم لها في مجال قتل بعضهم واخراجهم وهو أهم من المفاداة.

سورة البقرة

أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ
إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ
عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ
سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم
مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ
تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ
تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ

أفتؤمنون ببعض الكتاب...: إنَّ القرآن ينكر عليهم هذا التجزيء والعمل ببعض من الكتاب مع الكفر بالآخر وتركه. وهذا الاستنكار لايخص اليهود بل يعم الأمم المؤمنة، فان الشريعة كل مترابط لايؤدي الى ثماره المرجوة إلا بالتطبيق الكامل لكل نظمه في كل مناحي الحياة الفردية والاجتماعية ومما يؤسى له ان نجد البلاد الاسلامية اليوم تجعل الاسلام احد مصادر التشريع في دساتيرها رغم انه يجب ان يكون المصدر الوحيد للتشريع.

ولا ريب في أنَّ جزاء من يجزئون تعاليم الله في مقام العمل هو الانحطاط والتأخر والخزي في هذه الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة باعتبار ان نوعية الكون في الدنيا تحدد نوعية الجزاء في الأخرى.

اولئك الذين اشتروا...: باعوا اخراهم بدنيا رخيصة محدودة النفع والحياة فجزاؤهم العذاب الشديد الذي لا هوادة فيه من دون أن ينصرهم أحد فيدفع عنهم العذاب، و بطلان قولهم السابق لن تمسنا النار إلاّ أياماً معدودة.

ولقد آتينا موسى...: تتابعت الرسل على اثر موسى (ع) حتى بعث الله عيسى (ع) في بني اسرائيل بالآيات الواضحات وأيده بالروح المقدسة وقيل هي جبرئيل أو اسم الله الأعظم الذي كان به يحيي الموتى، وفدجاء الأنبياء لتربية البشرية والتسامي بها وتذكيرها بواجبها وتفجير طاقاتها يقول علي (ع): «فبعث فيهم رسله، و واتر اليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته، و يذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، و يثيروا لهم دفائن العقول» فلاعجال لبني اسرائيل بعد تواتر الرسل فيهم ان يعتذروا بنسيان وطول أمد ولكنهم أرادوا أن يسخروا الشرائع لهواهم ونزواتهم بدلاً من اتباعها المفروض لتسمو نفوسهم على أهوائها، والشرائع فوق الأهواء، وحيثما وجهوا بصمود الأنبياء في الحق وضعوا العقبات في طريقهم فكذبوا بعضهم كموسى (ع) وعيسى (ع) وقتلوا آخرين كيحيى (ع). وهكذا نجدهم يتبعون الهوى ويحكمونه في الشريعة وما فازت امة حكمت آراءها الشخصية وميولها في شريعة الله.

وقالوا قلوبنا غلف...: وقد ادعوا ـ بكل عناد واستهزاء ـ ان قلوبهم مغشاة فلاينفذ اليها نداء الاسلام وتعاليمه وحججه، ولايدلهم في ذلك فردت عليهم الآية بأن أفهمتهم ان هذه الحالة الوضيعة نتيجة طبيعية لغضب الله بعد الكفر به والإبتعاد عن مظان الهدى. لذا لاتجدهم يؤمنون إلاّ إيماناً واهياً ولاتجد بينهم إلاّ القليل من المؤمنين.

ولمّا جاءهم كتاب...: ولما أنزل الله القرآن مصدق لما معهم من بشارات التوراة وتعاليمها الرئيسة كفروا به رغم أنهم كانوا قبل بعثة النبي (ص) يهددون أعداءهم من العرب بظهوره، وربما سألوا الله النصرة بحقه فلما ظهر كفروا به بغياً وحسداً لأنه كان في غيرهم، ولذا فقد استحقوا اللعنة الإلهية.

الجزء الأول

تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ
الْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا
خِزْيٌ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ الْعَذَابِ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا
الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ
بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ
أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ
فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ
بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ
كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ
عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ
عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟

بئسما اشتروا...: باعوا أنفسهم في قبال الكفر والمتع الباطلة، وذلك بغياً وحسداً للنبي (ص) بما أولاه الله من نعمته وفضله، فعادوا بالخسران المبين والغضب الإلهي المضاعف، والعذاب المهين المذل. فما اخسر صفقتهم هذه إذ باعوا أثمن شيء في قبال الهوى الرخيص ولقد قال أمير المؤمنين علي (ع): «انه ليس لأنفسكم ثمن إلاّ الجنة فلا تبيعوها إلا بها».

واذا قيل لهم آمنوا...: كان اليهود اذا دعوا للايمان بما أنزل الله تعالى على محمد (ص) ردوا بكل مكر وتحايل بأنه يكفيهم ان يؤمنوا بما انزل عليهم من التوراة إلاّ ان القرآن يفضحهم حيثما يقرر أنهم لا يلتزمون بما وراء التوراة من مقتضيات ولوازم كالايمان بالنبي (ص) والقرآن وهو الحق الذي صدق ما معهم وطابق ما فيه. كما يفضحهم ـ مرة اخرى ـ حينما يواجههم بقتلهم الأنبياء من قبل رغم ان التوراة تنهاهم عن قتل أنفسهم بله الأنبياء المخلصين، مما يكشف عن عدم ايمانهم بها وان قولهم مجرد خداع.

واذ أخذنا ميثاقكم...: تكرر هنا ذكر الميثاق لتأكيد الحجة وتذكيرهم بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم عندما ارتفع الجهل فوقهم، وطلب اليهم ان يحملوا العهد بقوة وثبات، وان يسمعوا تعاليمه غيرانهم نكلوا عن ذلك، إذ بينما كانت أفواههم تعلن الاستجابة كانت أعمالهم تعلن العصيان. وقد تغلغل حب العجل (المعبر عن الشهوات) في اعماق قلوبهم، وامتزج بها بسبب كفرهم وتماديهم في العناد.

قل بئسما يأمركم...: وقد طلب الى النبي (ص) ان يوبخهم على قولتهم تلك مؤكداً ان الايمان الحقيقي يدفع للأعمال الصالحة لا لمثل هذه الأعمال القبيحة الصادرة منهم فبئس الشيء يأمرهم به ايمانهم المدعى ان كان يعني قتل الأنبياء وعبادة العجل.

قل ان كانت لكم الدار...: ادعى اليهود انهم شعب الله المختار وانه لن يدخل الجنة إلاّ من كان هوداً فطلبهم القرآن للمباهلة وتحداهم بطلب الموت من الله ليثبت كذبهم في مدعياتهم لأنه يعلم بأنهم لن يقدموا على هذا بعد الذي فعلوه من المعاصي. وعدم اقدامهم يبطل دعواهم والاّ فان من اطمأن الى مستقبله في الآخرة اشتاق الى الجنة كما كان الأمر عند المجاهدين الأولين. وقد نقل ان التوراة تصف أولياء الله بأنهم يتمنون الموت.

ولتجدنهم أحرص...: اتصفت اليهود بالحرص على الحياة حتى لو كانت حقيرة بعيدة عن رضا الله فضلاً عن عدم استعدادها لتمني الموت. بل هي أحرص من جميع الناس حتى من المشركين الذين لا يعتقدون بالآخرة، لأنها تتوقع العذاب الشديد جزاء لأعمالها، غافلة عن ان طول حياتها لن يبعدها ولو قليلاً عن المصير المحتوم.

سُورَةُ البَقَرَة

بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ
فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ
بِمَا وَرَاءَهُ ۚ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ
مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ
ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ
وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ۗ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ
قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ
الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ
إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ۖ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ

قل من كان عدواً...: أبى اليهود عناداً أن يؤمنوا بالإسلام بحجة ان الملك الذي أوحاه هو عدوهم (جبرئيل) ملك العذاب والجهاد بزعمهم ــ دون (ميكائيل) الذي يعتبرونه ملك الرحمة، وهذا الحقد حق لامبرر له فجبرئيل ملك مطهر يفعل ما يؤمر، وقد أمره الله بأن ينزل على قلب الرسول (ص) القرآن المصدق لما قبله من كتب الأنبياء، والمنير قلوب المؤمنين بالهدى و بشرى الفلاح. واليهود إذ يعادون ملائكة الله، أو رسولاً من رسله فهم يعادون الله، والله عدوهم بمعاملتهم معاملة الكافرين لأنهم ظلموا أنفسهم بتكذيب آياته.

ولقد أنزلنا...: لقد أنزل الله قرآناً يحوي الآيات الساطعة والتعاليم التي تحيي البشرية وتهدي من يريد الحق، أما الذين فسقوا وخرجوا عن مسيرتهم الفطرية فليسوا مؤهلين لتقبل النور والهدى.

أوكلما عاهدوا...: توبيخ واستنكار لصفة يهودية أصلية في وجودهم وهي نقضهم للعهود، فقد نقضوا عهد الله عند رفع الطور، وخالفوا بشارات التوراة، وخانوا معاهداتهم مع النبي (ص)، اذن فليحذرهم المسلمون لأن أكثرهم لايملكون ايماناً يردعهم عن نقض العهود.

ولما جاءهم...: وعندما جاءهم الرسول الاكرم (ص) المصدق لما معهم والمحقق لبشارات التوراة، راح فريق من هؤلاء اليهود ينمادى في العصيان فلايلتزم بكتابه بل ينبذه وراء ظهره، وكأنه ــ لجموده وتكبره ــ لايعلم انه كتاب الله وعهده، والملاحظ ان القرآن يعبر بنبذ الكتاب عن نبذ بعضه وربما كان ذلك مشيراً الى وحدة تعاليمه ولزوم تطبيقه الكامل.

واتبعوا ماتتلو...: وهؤلاء ــ أي بنو اسرائيل ــ حين نبذوا الكتاب والقرآن وما فيها من الآيات والهدى استبدلوها بالأساطير الوهمية وصناعة السحر التي نشرتها الشياطين في عهد النبي سليمان (ع)، وقد أتهم اليهود بأنه انحرف عن خط النبوة وتقرب الى الأصنام واقام ملكه على أساس السحر الذي هو كفر بالله لاستلزامه التصرف المستقل بالكون إلا ان القرآن ينزه سليمان عن ذلك فهو عبد صالح آتاه الله العلم والحكم، أما الكفر فهو صفة الشياطين الذين علموا السحر للناس.

وما انزل على الملكين...: أنزلت على الملكين «هاروت وماروت» اللذين كانا في «بابل» علوم تقي الناس مفعول السحر وتبطله، ولذا كان الملكان لايعلمان أحداً حتى يحذراه و يقولا له: ان هذا امتحان وابتلاء من الله تعالى، فيجب ان تصرف هذه العلوم في مجالها الصحيح. ولما انزلت من اجله إلا ان اليهود المنحرفين استغلوها أبشع استغلال في قطع الروابط الاجتماعية والتفريق بين الزوجين مما يكشف عن حقدهم على كل ما هو انساني. وهناك خرافات نسجت حول هذه القصة لا تنسجم مع العقل السليم وانما هي من الاسرائيليات.

الجزء الأول

مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ
عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ
﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ
﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ
نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ
كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ
مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ
النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ
مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ

وماهم بضارين...: السحر ككل الآثار التكوينية متوقف على الإذن الإلهي التكويني طبق قوانين العلية، لأن الله موجدها وماحفها القدرة على التأثير وهو القادر على افنائها.

والسحر استغلال لروابط كونية وخصائص طبيعية للتأثير في الآخرين وايهامهم بوجود قدرة لدى الساحر خارقة لقوانين الكون، وربما كان شعبذة ووهماً، وعليه فهوطاقة تسخر لتخريب البشرية وقطع صلاتها واغراتها، وهو محرم في كل الكتب السماوية ومنها التوراة.

ويتعلمون ما يضرهم...: ان ما تعلموه من السحر كفر لانفع فيه أبداً بل هوضار بمجتمعهم، عائد عليهم بالوبال دنياً وآخرة.

ولقد علموا...: انهم يعلمون ـ من التوراة ـ ان من تعاطى السحر بدلاً من العمل بكتاب الله ليس له في نعيم الآخرة نصيب، وما أخس الثمن الذي باعوا به أنفسهم فخالفوا علمهم السابق، بعملهم السيء فكأنهم لايعلمون.

ولوأنهم آمنوا...: ولواتبع هؤلاء طريق الهدى لنالوا سعادة الدارين، ولايقاس ثواب الله الى منافعهم الموهومة من السحر فما أجهلهم بمصالحهم الحقيقية.

يا أيها الذين آمنوا...: حاول اليهود التنفيس عن حقدهم بسب النبي (ص) سباً خفياً عند نطقهم بكلمة (راعنا)، وكان أصحاب النبي يطلبون بها منه (ص) ان يمهلهم حتى يعوا كلامه، فحورها اليهود حتى بدت لديهم تعبر عن سبة وشتم بالعبرية آنذاك، أوتعطي معنى الرعونة أو الوصف بالرعي، فأمر الله المسلمين ان يغيروا التعبير الى كلمة (انظرنا) المشابهة لـ (راعنا) في المعنى لئلا يستغلها أعداؤهم لما امروا بالسماع الواعي المتقبل.

ونفهم من هذه دعوة قرآنية لعدم فسح المجال لأعداء الدعوة بتشويهها اذا نحن استعملنا في مجال اعطاء المفاهيم الصحيحة بعض الألفاظ المشتركة الموهمة كالاشتراكية والقومية والوطنية والديمقراطية والحرية وأمثالها مما اقترن بدلايل يرفضها الاسلام.

مايود الذين كفروا...: ان أعداء الاسلام من أهل الكتاب والمشركين لايريدون للمسلمين أي خير ينزله الله عليهم، وأفضل الخير القرآن بتعاليمه وتشريعاته، ولكن الله فوق اهواء الأعداء فهو يختص برحمته من يشاء تعبيراً عن فضله العظيم.

مانَنسخ من آية...: ربما كانت الآية تشير الى حادثة تحويل القبلة التي استغلها اليهود وعابوا عليها الإسلام، أوالى نسخ آية قرآنية بأخرى برفع حكمها أومحو رسمها من القلوب أوتأخيرها لوقتها عملاً بالمرونة ومقتضيات المصالح وتغيرها أوتشير الى تبديل علامة أوحجة إلهية بأخرى، وعلى أي حال فالله ان يبدل آية بمثلها أو بأحسن منها وفقاً لدواعي الحكمة فهو على كل شيء قدير.

ألم تعلم ان الله...: الآية تخاطب النبي (ص) وتريد المسلمين مذكرة إياهم بقدرته تعالى وان له أن يتصرف في الكون وينسخ أو ينسي أو يثبت مايشاء فيه لأنه ملكه وليس لهم من دون الله ولي ولاناصر ومعين فلتثبت قلوبهم على الهدى ولايعبأوا بأراجيف اليهود واشاعاتهم.

يريدون...: تحذير للمسلمين من التأثر بسنة اليهود باقتراح الآيات تشهياً إذ يعني استبدال الكفر بالايمان وعاقبة ذلك الضلال والانحراف عن السبيل القويم.

سُورَةُ البَقَرَة

مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ
عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ
أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا
رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ
عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ
مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ
أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ
مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ

ودّ كثير من أهل الكتاب...: بيان لما يضمره أهل الكتاب من حسد شخصي خبيث للمسلمين على نعمة الاسلام رغم علمهم بأنه الحق المنطبق مع بشارات كتبهم، ولكن الحسد أعماهم فلاهم يتبعون الخير، ولاهم يريدون للمسلمين خيراً باتباعه، فيعملون على سلب المسلمين عزهم العقائدي بشتى السبل من شبه واغراءات مختلفة، وقبال ذلك يأمر الله المسلمين بأن يعفوا و يصفحوا وان كانوا قادرين على الرّد و ينتظروا وعد الله، حيث يأتي بأمره و يقرر الموقف النهائي من أعدائهم.

وأقيموا الصلاة...: بعد الامر بالصفح وانتظار وعد الله يأمر الله المسلمين بإقامة الصلاة لتقوية روابطهم بالله، ورص بنيانهم الاجتماعي والعاطفي باعطاء الزكاة وذلك ليشتد أمرهم استعداداً للموقف الحاسم، وليعلموا ان عملهم إنما هو لخير أنفسهم وسعادة مستقبلهم و سيتبعه جزاء وافر من الله العالم بكل ما يقومون به.

وقالوا لن...: والقرآن هنا يرد على بعض دعاوى أهل الكتاب الباطلة ومنها قول كل فريق بأن الجنة مقصورة عليه دون غيره، و بالتالي فلامكان فيها لغير اليهود والنصارى، وهذه مجرد أمان واهية يطالبهم في قبالها بالحجة والبرهان، وأنى لهم ذلك؟ وفي الآية تدريب على اتخاذ الموقف الواعي الطالب للحجة تجاه أية فكرة.

بلى من أسلم...: فالمقياس الحقيقي للفوز بالجنة والاطمئنان النفسي و عدم الخوف من العاقبة السيئة هو التسليم المطلق لله تعالى و الإحسان بالعمل الصالح البناء.

قالت اليهود...: عرض لتراشق الاتهامات بين اليهود والنصارى والمشركين فكل يرى الآخر بعيداً عن الحق، أما أهل الكتاب فعناداً وتعصباً بعد أن عرفوا وحدة التعاليم الدينية بتلاوتهم للكتاب وأما المشركون فجهلاً وسفاهة، إلا ان أمر الجميع الى الله فهو العليم بما عليه كل فريق.

ومن أظلم...: ومن هو أشد ظلماً ممن وقف في وجه حركة التوحيد في الأرض، فمنع ذكر اسم الله في أماكن عبادته وهي المساجد، وسعى في خراب بنائها أو تعطيلها من المتعبدين وجر الناس الى ما يشغلهم عنها، ولربما نظرت هذه الآية الى خراب الروم لبيت المقدس، أو سعي اليهود لمنع المسلمين من الإتجاه للكعبة، أو عمل المشركين على خراب مساجد المسلمين في مكة بعد الهجرة، أو منعهم النبي (ص) من البقاء في مكة المعظمة في البيت الحرام.

اولئك ما كانوا...: وكان المفروض أن لا يدخل هؤلاء المانعون الخربون المساجد إلاّ خائفين خاشعين لله كما يليق بشأنها أو خائفين من قوة المسلمين، وربما دعت الآية المسلمين الى العمل على عدم تمكينهم من الدخول، والوقوف بوجههم فلا يدخلوا المساجد إلاّ خفية أو طلبا للأمان، وأخيراً توعد الله هؤلاء المفسدين المعتدين بالخزي الدنيوي والعذاب العظيم في الآخرة.

الجزء الأول

كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا
وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ
عِندَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ
إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ
إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾
وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ
لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ
أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ
أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

الرابطة في المجتمع الاسلامي

الميزان في تفسير القرآن: موسوعة تفسيرية ضخمة دبجتها يراعة الفيلسوف الرباني الزاهد العلامة السيد محمدحسين الطباطبائي رضوان الله عليه، وقد ارتأت هيئة تحرير (التوحيد) تقديم بعض بحوثه الموضوعية باسلوب جديد:

آية الله العلامة الكبير السيد محمد حسين الطباطبائي

تقديم: محمدتقي ابراهيم

القسم الاول

قال تعالى: **((يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون))**[1]

توجه الخطاب بهذه الآية لعموم المؤمنين بالإسلام، وبصيغة الجمع، ولكل أفراد المجتمع الاسلامي، بضمنهم النبي محمد(ص)، دون سواهم من بقي البشر، لانهم ارتبطوا مع بعضهم برباط العقيدة الاسلامية، وآمنوا ـ بالتفكر والاقتناع ـ بمفرداتها العقائدية، فتكونت منهم أمة، لها مدارك موحدة، وأهداف واحدة، تنتلق ـ بعد ايمانها ـ الأدب والنظام، والمبادىء العملية والاخلاقية، من مصدر واحد، وبذلك توحدت أهدافها وامتازت عما سواها، وأصبحت معنية بالتكاليف الالهية، لبناء شخصيتها والحفاظ على كيانها من الطمس والضياع، وتحقيق المجتمع الاسلامي وبناء الدولة

الاسلامية، لتحقيق كلمة الله في الأرض، وتطبيق ماجاء به القرآن الكريم لاسعاد الناس جميعاً.

والآية السابقة بعض تلك الآيات الموجهة للمسلمين، تضمنت اربعة تعليمات هي: «الصبر، والمصابرة، والمرابطة، وتقوى الله» ولكل منها مفهوم يختلف عن آفاق غيره، ولكنها مجتمعة تعطينا، فكرة وعمل تكوين الكيان الواحد، والأمة الموحدة الخالية من التفكك والانفراط، الناجين من النزعات النفسية أو النظرات الفردية أو غيرهما.

فالصبر: جاء بصيغة الاطلاق، و يراد به عموم الصبر، كالصبر في الشدة، والصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، وفي حالاته الثلاث يتعلق بالفرد المسلم، وضرورة ثباته اتجاه الواجب الموكل اليه في ميادين الحياة المختلفة، واتجاه المشاكل الفردية والاجتماعية التي تنتابه اثناء مسيرته.

والمصابرة: هي الصبر الجماعي، باعتماد صبر بعضهم على صبر البعض الآخر، فيتقوى الحال و يتضاعف تأثير الصبر عند كل فرد ضمن المجموعة بالقياس لما لوكان لوحده.

والمرابطة: نسج الترابط بين قوى وأفعال أفراد المجموعة الاسلامية في الشدة والرخاء وفي جميع شؤونهم الدينية والدنيوية، وهو كماترى أعم أفقاً، وأعمق غوراً من مفهوم المصابرة.

ثم تقوى الله: وهي الاحتراز عن ارتكاب المعاصي والأخطاء، والالتزام بفعل الطاعات والقربات، في السر وفي العلن، في الفعل وفي النية، سيما وانه يعمل في وسط مؤمن يؤثرفيه مسلكه تأثيراً مباشراً.

وما نريد بيانه بشيء من التفصيل في هذا المقال هو: «المرابطة في المجتمع الاسلامي» نتعرض اليه ــ انشاء الله ــ كالآتي:ــ

١ ــ الانسان، اجتماعي بطبعه

خُلِقَ الانسان اجتماعياً، يألف أبناء نوعه، و يستأنس بهم، وهذا فطري فيه، متأصل في طبعه، حتى كاد أنْ يكون بديهية لايختلف فيها اثنان، ولاتحتاج الى كثير بحث لاثباتها، وهذا ما أكّده التاريخ والآثارعن سلوك الانسان وحياته على الأرض.

ثم جاء الاسلام مؤكداً فيه ذلك، داعياً الى الألفة، وتوثيق الروابط الانسانية. قال تعالى:

((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)) [2] مبيناً أنهم جميعاً يرجعون لأب واحد وأم واحدة، وعليهم أن يعيشوا كأخوة من أجل بناء الحياة بأفضل مايكون. قال تعالى:

((نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات، لينخذ بعضهم بعضا سخريا)) [3] وقال تعالى مؤكدا الروابط فيهم: ((بعضكم من بعض)) [4] وقال سبحانه: ((وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسباً وصهراً)) [5]

٢ ــ النمو الاجتماعي في الانسان

الانسان عبر القرون الطويلة، بدأت معارفه ومداركه من الصفر بالنمو والتطور والصعود المطرد. وهذا النمو والتطور شمل جميع خصائص الانسان التي اتّسم بها، ومن تلك الخصائص، طبعه الاجتماعي، حيث نما وتكامل، ومازال في نمو وتكامل.

والذي يبدو ــ عند التأمل ــ أنّ المجتمع العائلي، هو أول أوجه المجتمعات ظهوراً عند الانسان، لأنّ العامل الطبيعي لتحقيقه، ــ الجهاز التناسلي ــ أقوى العوامل تأثيراً فيه، لعدم تحقق ذلك إلاّ بأكثر من فرد واحد، ولا يحتاج الى الازدواجية في حياته الأخرى ــ كما في التغذي ــ حيث يمكنه اداؤه منفرداً.

ثم تلت ذلك عملية الاستخدام للآخرين، و بسط النفوذ عليهم، ثم تطورت العملية الاجتماعية، بظهور الرئاسة والمرؤوسين ابتداءً من رئاسة المنزل،

فالعشيرة، فالقبيلة، فالأمة، متجسدة في الرجل الأقوى والأشجع، ثم في الأكثر مالاً وأولاداً، ثم في الأكثر خبرة وحنكة، ومنها انبثق الاستعباد والرق، وظهرت الوثنية والشرك.

وبنمو حاجيات الانسان، وادراكه ضرورات معيشته، تنامت عنده خاصيات الاجتماع بانواعها المختلفة، تبعاً للخواص الأخرى المتعلقة به؛ كالاستخدام والدفاع وغيرهما.

وقد سبق القرآن الكريم، علماء الاجتماع فأنبأ عن حياة الانسان الاجتماعية في العهود القديمة، حيث أكد أنها كانت أمة واحدة، تعيش البساطة والوفاق، ثم تلا ذلك، الاختلاف والمشاجرات، فجاءت الرسل لانقاذهم من هذا الاختلاف، وحل مشاكلهم، ورسم المنهاج الأصلح لمعاشهم ومعادهم. قال تعالى:

(وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا).[6]

وقال («كان الناس امة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه»)[7]

و بذلك يحقق ــ بارتفاع الاختلاف ــ الوحدة الاجتماعية برعاية القوانين الالهية.

فالأديان ــ في جميع العصور ــ جاءت لحل مشاكل الناس، وفض اختلافاتهم، واللجوء اليها في بناء حياتهم، وذلك بالتمسك بمبادئها، وتنفيذ ماجاءت به عملياً، وفي ذلك ــ وحده ــ انقاذ لهم من ذلك الاختلاف، ومن تلك الفرقة. قال تعالى: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً، والذي أوحينا إليك، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين، ولا تتفرقوا فيه»)[8].

فللأديان، السبق في هذا المجال على كافة الدعوات الأرضية في دعوة الناس للاجتماع، وعدم التفرق، و وضع المنهاج الأصلح لبناء وحدتهم على أسسها، كما نستبين ذلك من الآية السابقة،

فنوح (ع) ــ وهو أقدم نبي جاء بشريعة وكتاب حمل لواء تلك الدعوة ومعه النزر القليل من الأحكام الكافية لذلك العصر، ثم ابراهيم (ع) ــ كما تشير الآية الشريفة ــ ثم موسى (ع) ثم عيسى (ع)، وكان موسى (ع) أوسعهم شريعة، ومع ذلك ليس فيها على ما قيل إلا ستمائة حكم تقريباً.

فلم تنبثق دعوة مستقلة صريحة للاجتماع إلا من ناحية النبوة في اطارها الديني، كما صرّح به القرآن، وأثبته التاريخ ــ كما سيأتي.

٣ ــ الاسلام وعنايته بالمجتمع

وجاء الاسلام، بشريعة واسعة، تؤسس القاعدة الكاملة للبناء الاجتماعي لعصر النبي (ص)، وللعصور المتعاقبة، فلم تترك شأنا من شؤون الحياة، الا و وضعت له الحلول الناجعة، ووفق ما يصلح تلك النزعة الفطرية، عند الفرد الواحد، وللمجتمع الانساني الواسع.

وبمقارنة أحكام الشريعة الاسلامية بأحكام الشرايع السماوية الحقة التي سبقت الاسلام، كشريعة نوح (ع) وابراهيم وموسى وعيسى (ع)، نلمس الفرق واضحاً ــ دقة وشمولية ــ فضلاً عن المقارنة بين الاسلام و الأديان الأخرى التي لايعتني القرآن بها، كالوثنية والصابئة والمانوية والثنوية وغيرها، والتي تتوارى ضموراً وانحساراً أمام الشريعة الاسلامية.

أمّا الأمم المتمدنة فلم يذكر التاريخ عنها سوى اتباع ما توارثته من أعراف وعادات، واجتماع الأفراد تحت سلطان النفوذ الفردي، وأقوى الحكومات المستبدة الجائرة، بأطر ومفاهيم قومية أو وطنية أو اقليمية، منقادة للملوكها وساداتها، وفق ما تراه بنظراتها، أو تقتفيه بما توارثته من آبائها فلم تعتن بالمجتمع عناية مستقلة به، بحيث يكون له مجال خاص للبحث والعمل، وحتى السلطتين الامبراطوريتين، الرومانية والفارسية. عند ظهور

الدعوة الاسلامية، كانت شعوبها منقادة لنزعات ورغبات فردية.

نعم، هناك أبحاث اجتماعية لبعض الحكماء أمثال: سقراط وافلاطون وأرسطو وغيرهم، اكتنزتها الكتب، فلم تخرج من دفتيها لعالم النور، عالم العمل الخارجي، والتطبيق الفعلي. والتاريخ الموروث، أعدل شاهد على صدق ما ذكرناه.

فالنداء الأول الذي قرع اسماع الناس، وانقذهم من التبعية والاهمال، ودعاهم الى طيب الاجتماع، وسلامة الوفاق، هو نداء الاسلام، قال تعالى:

(«وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله») [9] وقال: **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ... الى قوله: ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و اولئك هم المفلحون، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات.)** [10] داعيا بندائه للاجتماع ونبذ الفرقة والاختلاف.

وفي القرآن، الكثير من الآيات الذامة للفرقة، الدالة الى سبل التجمع والاتحاد، منها قوله تعالى: **(«ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء»)** [11] وقوله: **(«انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم»)** [12] مؤكداً الترابط الأخوي العقائدي عندهم، فاخوتهم في الله اكثر متانة من الروابط الاخرى، اضافة الى ان وراءها هدف لاسعاد المجموع ونيل رضا الله، ولذلك حثهم على الصلح وترك الضغائن والقطيعة، قال سبحانه: **(«ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم»)** [13] وقال: **(«وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان»)** [14] وقال: **(«ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر»)** [15] الى غير ذلك من الآيات التي تضيف الى المجتمع حسن خصائصها، وتطرد عنه قبح سيئاته، وتحوطه بحمايتها وحصانتها من التفرق والاختلاف.

٤ ــ الاسلام ورابطة الفرد والمجتمع

١ ــ من البديهيات المألوفة ان الاشياء تتألف من أجزائها، وأن للاجزاء، فوائدها وآثارها الخاصة، مختلفة تلك الفوائد والآثار أو متشابهة، فاذا ما ألّفت مع بعضها، كونت شيئاً جديداً، كونت مركباً ذا خصائص وآثار و فوائد جديدة ايضاً.

٢ ــ للانسان أجزاء وأعضاء وقوى متعددة، لكل منها فوائد مادية وروحية اما تتشابه خواصها فتؤدي ــ مجتمعة ــ أثراً أعظم وأقوى منه في أفرادها، و دوراً تعجز عن أدائه متفرقة ــ وان اشتركت فيه كلها على التعاقب ــ.

أو تختلف خواص تلك الأعضاء والأجزاء الانسانية، كالسمع والبصر وغيرهما، ولكنها تأتلف تحت سيطرة واحدة ــ الارادة الانسانية ــ فيعظم تأثيرها، وتزداد فوائدها ــ المادية والروحية ــ.

٣ ــ ومن فوائد التركيب بين الاجزاء حصول الكثرة، فان حيمن الرجل باتحاده مع بويضة المرأة، ينتج مولوداً جديداً قادراً ــ اذا اكتمل ــ على افراز الحيمن أو البويضة، وهكذا تحصل الكثرة، وما الناس ــ على كثرتهم إلاّ من أبوين اثنين فقط ــ تكاثروا نتيجة ذلك التركيب، فهم وافعالهم ــ المادية والروحية ــ كثيرة عدداً، واحدة نوعاً، ككميات المياه الموضوعة في أواني متعددة، ولكنها واحدة نوعا ولكل منها فوائد وآثار، فاذا جمعت، قويت وعظمت.

وقد راعى الاسلام هذه الحقيقة في عمليته التربوية، وتكوين المجتمع الافضل، فقال تعالى: **(«وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً»)** [16] وقال: **(«يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وانثى»)** [17] وقال: **(«بعضكم من بعض»)**. [18]

فللأفراد خواصهم ومزاياهم منفردين، وللأفراد تأثيرهم في الهيئة الاجتماعية وتأثرهم بها، وللأفراد

مجتمعين ــ كأمة ــ محصلة مزاياهم وتأثيراتهم.

وقد لحظ الاسلام ذلك، فقدّر للأمة كياناً مستقلاً، له وجود وأجل، قال سبحانه: «ولكلّ أمةٍ أجل، فاذاجاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون»[19] كما اعتبرلكل منها كتاباً، فقال: «كل امة تدعى الى كتابها»[20] و يرى لها شعوراً وفهماً وعملاً، قال سبحانه: («زينا لكل أمة عملهم»)[21] وقال: («منهم أمة مقتصدة»)[22] كما يرى لها طاعة ومعصية قال: («أمة قائمة يتلون آيات الله»)[23] وقال: («وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، فأخذتهم، فكيف كان عقاب»)[24] وقال: («ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط»)[25]

ومن هنا نلمس اعتناء القرآن بتاريخ الأمم، اعتناءه بقصص الأشخاص، بل ربما أكثر خصوصاً عندما تنصرف الأقلام لتدوين سيرة الأفراد، من الملوك والعظماء، النحو الذي انفرد به القرآن في عصره، فكان السابق غيره في هذا المضمار، حيث، إقتدى به بعض العلماء والمفكرين كالمسعودي وابن خلدون.

ثم ظهر التحول الحديث في التاريخ النقلي عن حياة الأمم والشعوب، بدلاً من الأفراد والشخصيات، فكان طليعة العاملين فيه (اغوست كنت) الفرنسي المتوفى سنة (١٨٥٧) ميلادية.

و من ذلك يتبين أنّ القوى والخواص الاجتماعية، تقهر القوى والخواص الفردية، عند التعارض والتضاد، سواء ذلك في التأثير إذ ينساق الفردمع المسيرة، ولا يقوى على معارضتها، كما يحدث في الثورات الاجتماعية، والغوغاء الواسعة، أو في التأثر، عندما يعم الخوف أنظار الكثرة لزلزلة أوحادثة، حيث نجد الفرد يتأثر بهم، و ينفعل بما يلاحظه فيهم من خوف وقلق ــ شعوريا أولا شعوريا ــ وهكذا بالنسبة للأزياء والأعراف والعادات المألوفة، فهو ــ الفرد ــ يتأثر بها بشكل تلقائي دون تفكير.

وهذا هو سر اهتمام الاسلام بالهيئة الاجتماعية، بشكل لم نجده في الأديان والملل الأخرى، فاننا نلمس بالفعل، مدى ضعف أو انحسار تربية الفرد في وسط يتعارض مع تلك التربية و يناقضها.

فقد وضع الاسلام أحكامه وشرائعه؛ كالحج والصلاة والجهاد والانفاق، وغيرها الكثير من الأحكام على أساس اجتماعي، محوطاً برعاية الحكومة الاسلامية وحفظها لشعائر الدين وتطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى الخير، وتنمية الرقيب الباطني عند المسلمين، بلحاظ إدراكه بأنّ الله معه ومطلع عليه.

فهذه العوامل مجتمعة، تحفظ الكيان الاسلامي من الزيغان، و بالتالي تحفظ الأفراد المسلمين ــ مجتمعين أو منفردين ــ من الضلالة والانحراف.

٥ ــ هل تصلح مبادىء الاسلام الاجتماعية للتطبيق؟

ربما يراودك هذا السؤال، وأنت تقرأ عن نظرة الاسلام الاجتماعية، وربما تقول: اذا كان الاسلام نظاماً أكثر رقياً وانقاذا من المجتمعات المتمدنة الاخرى، فما باله ولما يقف على قدميه تحول الى قيصرية أو كسروية، وحدثت أعمالاً أشنع مما حدثت في الأمم التي سبقته، في الوقت الذي نرى استمرار المدنية الغربية وديمومتها على النهج الذي اختطته لنفسها وفق رغبات واقتراحات أكثرية الأمة: فالأكثرية هي الأجدر بالتطبيق، دون الكل أو الاقل، لعدم تحقيق رضا الكل ولأنّ غلبة الأكثر من سنن الحياة، وهذا هو الدليل على رقي مدنيتهم، وصلاح مبادئهم وتفضيله على النظام الاسلامي، الذي لم يعد سوى فرضية لا تتحقق، وفكرة لا تتجسد.

اضافة لذلك فان المدنية الحديثة حققت ــ في مجال التطبيق ــ قوة اجتماعية، وسعادة لابنائها، وتهذيبا لنفوسهم من الرذائل التي نبذتها كالخيانة والظلم وجفاء الطبع وغيرها.

هذا ما يدور في خلد الكثير من الباحثين في المباحث الاجتماعية والنفسية. الا اننا سنوضح ــ ان شاء الله ــ بطلان، زعمهم، وخطأ مورد هم.

للنظام الاسلامي سنن ومبادىء تختلف وتتعارض مع السنن الاجتماعية التي سبق ذكر بعضها، وألفت الكثرة الغالبة تطبيقها، واستساغوا طعمها، فهل يمكن للاسلام أنْ يكتسح كل هذه المفاهيم والنظم الاجتماعية ليحتل مكانها بمفاهيمه وافكاره، مع ما احيط به من عقبات وسدود لفظية وعملية، ومع ما اعد له خصومه من أسلحة فكرية دفاعية وهجومية. هذا ما يشار بناء على تلك المقدمات فنقول:

١ــ من البديهيات الطبيعية التي لايختلف فيها اثنان، ان كل شيء، يولد ضعيفاً ثم ينمو، ويكبر، ثم يقوى ويشتد. ونلمس هذا أيضاً في المبادىء، ففي بداية ظهورها ضعيفة، محاطة بمبادىء وأفكار بعيدة عنها، غريبة عليها، مناقضة لها، طاردة إيّاها، ولكنها صمدت أمام خصومها ونازعت السنن التي قبلها، وربما اضطهدت في صراعها وسيطرت، والتاريخ يؤكد ذلك في السنن الدينية والدنيوية، كالديمقراطية مثلاً والاشتراكية، فالديمقراطية ــ وهي السنة الاجتماعية المقبولة عالمياً ــ تحولت بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، الى الشيوعية والاشتراكية في كل من روسيا والصين ودول اوربا الشرقية، وبذلك خسرت نصف مجتمعها تقريباً، وهكذا بالنسبة للاشتراكية، فالصراع معها، قائم على قدم وساق، وقبل فترة وجيزة أُعْلِنَ في روسيا ان (ستالين) انحرف بالسلطة نحو الفردية الاستبدادية مدى ثلاثين سنة ــ مدة تربعه على كرسيها ــ وقد أشار القرآن الكريم الى مثل هذه الظواهر الاجتماعية، والسنن التاريخية، بقوله تعالى: **(«قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين»)** [٢٥]

ففي الحياة الاجتماعية والتاريخية وغيرها من الجوانب الأخرى، سنن متعددة، تستند اليها الحوادث في التأثر والتأثير، فبموجبها تقوى وتضعف، وبموجبها، تنتشر وتنكمش، فلايقال ببطلان المبدأ وفساده، لعدم انطباق إحدى تلك السنن عليه، ولايقال بفشله واندحاره، إذا قلّ الدُّعاة اليه.

فالاسلام كغيره من السنن والمبادىء، يستند بظهوره وانتشاره، الى العوامل والشرائط اللازمة، وليس حاله اليوم ـ وقد تمكن من نفوس مليار مسلم تقريباً ـ بأضعف منه في زمن نوح (ع) وابراهيم (ع) ومحمد (ص) حيث ابتدأت دعواتهم بنفس واحدة، ثم امتدت، فكثر أنصارها، واستمرت ديمومتها.

فالنبي محمد (ص) قام بالدعوة وحيداً بمبادىء تختلف عن افكار قومه ومفاهيمهم وعاداتهم، ثم تبعه غلام وامرأة، ولم يكن له ظهير من البشر سواهما، ثم التحق به المستضعفون من الناس فرداً فرداً، وقد اشتد الخناق عليهم، حتى أتاهم نصرالله فشكلوا دولة اسلامية، و مجتمعاً صالحاً اسلامياً.

ومن هذه النواة الخيّرة، والثلة الصالحة، على جدة عهدها بالاسلام، وقلة امكاناتها، أشرق اشعاعها، وشملت، هيمنتها، مشارق الأرض ومغاربها، في أقل من نصف قرن، أعطت للبشرية منه ثماراً يانعةً وأنواراً كاشفةً، نلمس آثارها باقية، ونستبين أنوارها هادية.

٢ ــ ولم يغمط المنصفون من الباحثين الغربيين، فضل الاسلام، وأثره الفعّال في الحضارة الغربية والعلوم المادية، إلاّ اولئك المتزمتون المتعصبون من الغربيين الذين اغمطوا فضله بدافع

من حقدهم المقيت، وعصبيتهم الهوجاء، و بثوا، سمومهم لتشو يه معالمه، وطمس آثاره.

وماهذه الأنوار إلاّ من ذلك الوهج الثاقب، وما هذه اللمعات إلاّ من تلك الكلمات، ولكنهم آمنوا ببعض وكفروا ببعض، فاخذوا ما راق لهم منه، وتركوا القسم الآخر جهلاً أو عناداً.

انّي لباحث منصف، ان يغض الطرف عن جوهر الاسلام وأثره في المدنية الحديثة، أو ينسبها للمسيحية، و يعد المسيح (ع) قائداً لها وحاملاً مشعلها، في الوقت الذي يجد تصر يح المسيح بانصرافه عن قضايا الدولة والسلطان، وقضايا الحكم والسياسة لتر بية الروح، وتهذيب النفس، و يرى أيضاً احتواء الاسلام كلتا الميزتين واهتمامه بكلا الجانبين، اللهم إلاّ لنمط فضله واطفاء نوره لكي لايبقى مناراً للعقول، وقبلة للهداية («ويأبى الله إلاّ أنْ يُتم نوره»). [٢٧]

لقد اثبت الاسلام صلاحه كدين هداية، وجدارته كقائد أمة، حقق لها من السعادة والمعارف والطمأنينة ما عجز عنه غيره في مثل تلك الفترة التي عاشها.

٣ ــ وكنظام اجتماعي شامل لكل جوانب الحياة، مرَّ بمرحلة التطبيق وامتحان التجر بة، فنال فيها درجة الامتياز، في دقة مبادئه وسلامة أُسسه، وشمول نظامه، واحاطة مناهجه، وهيمنته على النفوس وسلطانه على الأرواح، وانطباق معارفه وانسجامها مع السنن الكونية عبر مئات السنين، وتعلق الملايين به حتى اليوم، كفيل بان يخرجه من مرحلة الفرضية، و يضمنه لمرحلة التطبيق.

٤ ــ ثم هناك فرق بين نظام يتجسد فيه علم الله وحكمته ونظام يتجسد فيه جهل الانسان وغفلته، نظام يتبنى الحقيقة فيسعى لها ونظام ينساق مع الرغبات و ينزلق مع المصالح ونظام يحتط الوسطية والاعتدال منهجاً بلحاظ الموازنة بين الروح والجسد والغنى والفقر وكل الأطراف الجانبية في المجتمع والانسان، ونظام يسعى لارضاء الجسد والنفس، يتقلب مع الأهواء و ينقاد للكثرة وإنْ كانت مخطئة، نظام يدرس الجانب المادي فقط في الانسان وفي الحياة، ونظام ينمي الفكر و يرعى الروح ويخلق لها وللجسد المناخ الطبيعي الملائم ليوجد الموازنة بينها ويحقق النشوة الصالحة لها.

نعم هناك فرق بين النظام الذي ينحدر مع الشهوات الجسدية، والنظام الذي يمد يد العون لانتشال البشر ية من كبوتها، وايقاظها من غفوتها كلما انحدرت باختلاف، أو ضلّت بانعطاف، قال تعالى: («كان الناس أمةً واحدةً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس في ما اختلفوا فيه») [٢٨]

وسيأتي اليوم الذي يدرك الانسان كمال الاسلام وعظم قدرته على استيعاب الحياة بأكملها وللبشر ية كلها، بعد ما تتضح له آياته في الآفاق وفي خفايا نفسه ومكنوناتها. قال تعالى: («سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق») [٢٩]

٥ ــ وقد وعد الله بانتصار الاسلام على خصومه، وهيمنته على المدارك والمشاعر في آفاق الأرض، قال تعالى: («فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافر ين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم») [٣٠] وقال: («وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا، يعبدونني لايشركون بي شيئاً») [٣١] وقال سبحانه: («ان الارض يرثها عبادي الصالحون») [٣٢] الى غير ذلك من الآيات.

إنّ نظاماً يتبنى الأكثر ية، لابدَّ أنْ ينساق وراء ميولهم ورغباتهم سواء وافقت الحق عند العقل أو

خالفته، وفي ذلك اقرار باخطائهم واعتراف بشرعية نزواتهم، وانحدار معهم نحو حضيض المبوعة وانغماس في مستنقع الجهالة، من سمو العقل وخصائصه وتحكمه الى قعر العاطفة والشهوة الجامحة، فيحدث انعطاف في الأعراف وانقلاب في الموازين، فيصبح الحق في نظرهم ما وافق ميولهم ورغباتهم، والاّ ضربوا به عرض الحائط.

ولذا نرى القوانين الغربية تجسد ذلك في محتواها ومضمونها، ونرى الفسق والفجور عندهم نوعاً من الخلق الحسن والسيرة الحميدة، ونرى غرائب التصرفات الخلقية والانحرافات الجنسية منتشاة عند الجنسين، مع بعضهم، أو مع محارمهم، أو مع بعض الحيوانات، بصورة يثير الدهشة والاشمئزاز عندنا، يحصل ذلك في البيوت، ومجالس الرقص، والمنتزهات، والنوادي، والأماكن العامة المتعددة. كل ذلك متعارف عليه عندهم مألوف حسن.

وربما اعتبروا التعاليم الاسلامية العادية، عجائب وغرائب تثير الدهشة والسخرية، لانقلاب المفاهيم في نظرهم، وتحور المعقول لديهم، فكل ما يوافق تحقيق الشهوة والمتعة واللذة، هو المقبول عقلياً عندهم، ولاشيء مستساغ يحول بينهم و بين مايشتهون إلاّ عاد عندهم ثقيلاً مقيتاً، حتى الانتحار، عاد في قانونهم عملاً مشروعاً مادام يوافق هوى المنتحر ولا يزاحم اهواء ورغبات افراد مجتمعهم.

إنّ المجتمع الغربي ــ كسائر المجتمعات المادية ــ و بدافع الانسياق وراء الغريزة وعبادة الذات والوثنية المادية يميل للنظام الذي يحقق له رغباته الآنية، وإنْ جافى الحق وخالفه، فلا ينظر أفقا أرحب ولا أمداً أبعد.

والنظام الغربي ليس هو النظام الوحيد الذي تميل اليه النفوس التواقة للنهم الغريزي، وانما تشترك في ذلك جميع الأنظمة التي تتنزلق مع الشهوات، وتتساق مع الرغبات. فانى يميلون للأديان ــ بما فيها الاسلام ــ الذي يحدد الشهوات و يقيد الرغبات بحدود المنفعة ومصلحة المجتمع والفرد. فطاعة الذات عند تجاوزها الحدود الصحيحة ــ في عرف الاسلام ــ هي وعبادة الاصنام سواء، يضعها في صف الاعداء له وللانسانية، و بناء المجتمع الصالح السليم، مما يوجب التصدي لها والوقوف ضدها والعمل للقضاء عليها.

إنّ اتباع الحق ومخالفة الأهواء شعار رفعه الاسلام وتبناه، وأدّب ابناءه الملتزمين به، قال تعالى:

(«هوالذي أرسل، رسوله بالهدىٰ ودين الحق») [33]، وقال: **(«والله يقضي بالحق»)** [34] وقال في وصف اتباعه المؤمنين به: **(«وتواصوا بالحق»)** [35] وقال: **(«لقد جئناكم بالحق، ولكن أكثركم للحق كارهون»)** [36]، مؤكداً بان الحق لا يوافق اتباع أهواء الكثرة من الناس وطباعهم **(«بل جاءهم بالحق، وأكثرهم للحق كارهون، ولو اتبع الحق أهواء هم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن، بل آتينا هم بذكرهم، فهم عن ذكرهم معرضون»)** [37] فالحق لا يوافق اهواءهم لأنها تنحدر نحو فساد المجتمع ودماره وخراب الدنيا كلها، وهذا ما نحسه في عالمنا اليوم من ظلم وارهاب، وقلق أطبق على البشرية، وأتى على سعادتها.

وهذه الشعوب تئن ألماً، وتموت كمداً، و تنفجر ضجراً، ولكنها لا تقوى على خصمها الذي تسلّح بسلاح نفسي ومادي فتاك، ولضعفٍ وخواءٍ في نفوسها، وخور في عزائمها. كل ذلك انتابها لفراغ الساحة من قيادة الاسلام العظيم وزعامته، وترسيخ قواعد الحق و دعائمه؛ **(«فماذا بعد الحق الا الضلال، فانى تصرفون»)** [38]

فالحق، واتباع الحق هو الشعار الذي اختطه الاسلام وتبناه، فلا عجب لو تكرر ذكره بضعاً وعشرين مرة في سورة يونس وحدها، ولا غرابة فيما لو أحسّت النفوس بثقله.

٦ ــ اننا نؤمن ــ كمسلمين ــ بمقولة القائلين بتأثير الكثرة على القلة في السنن الطبيعية، إلاّ أننا نؤمن أيضاً بأنّ الكثرة في غلبتها لا تتجاوز منطق الحق وحدوده، لأنها نفسها بعض مصاديقه.

ولتوضيح ذلك نقول:

اولاً: اننا نعتقد أنّ حصول الحوادث، ناجم عن أسباب تفسر حصولها، وتنسبه اليها، وهو ما تعارف عليه بـ (العلة والمعلول)[٣٩]

وبهذا شهد القرآن الكريم كقوله تعالى: «**ام خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون**»[٤٠] وغيرها من الآيات. وهو نظام ثابت لايتحول. وحتى المعجزة، انما في تحول المألوف علة تسبب هذا التحول، وتخالف ذلك المألوف كنار ابراهيم، وبحر موسى وعصاه، علة تفوق الفكر الانساني أنْ يدركها.

فأصول عقائدنا العلمية والعملية تستند بوجودها لاسباب خارجية هي العلة في تكونها وانعقادها.

ثانياً: إنّ الانسان بفطرته، ميّال لاتباع الحق بفكره، اذا ما تبيّن له واقعياً، فحتى اولئك الذين ينكرون العلم القاطع، ينقادون له اذا لم يجدوا في نفوسهم شكاً حوله، أو إشكالاً عليه.

ثالثاً: ان الحق هوالأمر الخارجي عن العقل من الاحداث والمواد والظواهر المدركة، مما يخضع له الانسان أو يتبعه في عمله. وان حواس الانسان وادراكه وسيلة وواسطة يتعرف بها على تلك الحقائق، كمايتعرف على ماقي وجهه بواسطة المرآة.

فالحقيقة اذن: هي صفة الواقع الخارجي بشكل دائمي أو صفة معينة، وهذا لايشمل العلم والادراك.

و بتعبير آخر: **الحقيقة: هي صفة المعلوم لا صفة العلم، صفة المدركات لاصفة الادراكات.**

فالأسباب الخارجية من عناصر وصفات وأحداث سواء كانت كثيرة الوقوع، تتصف اغلبها بالحقيقة، وهو ما عبرنا عنه بالمعلوم أو المدرك.

أما آراء المدركين، فادراكاتهم لا تتصف بمثل ما اتصفت به المدركات والمعلومات من الحقيقة، لانها ــ وكما أشرنا سابقاً ــ غير ما تتصف به الأسباب الخارجية.

و بناء عليه فآراء الأكثرية واعتقاداتهم، لا تنطبق على الحقيقة دائماً، فهي حقيقية اذا طابقت الواقع، وغير حقيقية اذالم تطابقه، فالقلة ــ والحال هذه ــ ربما تصيب الحقيقة وتدركها، في الوقت الذي تخطئها ادراكات الأكثرية. وحينئذ يجب الخضوع لتلك الأقلية التي أدركت الحقيقة، فاذا ما اتبعت الأكثرية فلعلة أخرى، كالخوف أو الحياء أوشيء آخر. فليس كل ما يراه الناس هو الحقيقة، والا لاتبعوها ولم يعارضوها، وقدأشار القرآن الكريم بقوله: «**بل جاء هم بالحق واكثرهم للحق كارهون**»[٤١] الى بطلان نظرية أحقية آراء الكثرة من الناس.

وبهذا يفسد اعتماد نظرية اتباع الاكثرية في الرأي، استنادها الى غلبة الكثرة في السنن الطبيعية، لانها ــ السنن ــ تقع في الخارج الذي نستمد منه العلم، ونستنبط القوانين منها، لا أنْ نتبع حقيقتها من نظرياتهم، فنقتفي آثارهم ونقلدهم تقليداً أعمى، وحتى عند اتباعنا نظريات من سبقونا، لايكون إلاّ بعد ايماننا بانطباقها مع السنن الطبيعية الخارجية، أومع نتائج تلك الانطباقات.

فأفعالنا و أفكارنا تستند الى الحقائق الطبيعية وغلبتها، وبهذا تستند الى الصلاح الأكثر، وعليه جرى القرآن في حكم تشريعاته ومصالحها، قال تعالى:

((ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون)) [12] وقال تعالى: ((كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)) [13] الى غير ذلك من الآيات المشتملة على الأحكام الشرعية غالبية الوقوع.

٧ ــ ان تحقيق النظام المادي، السعادة لابناء مجتمعه، لايتعدى اشباع غرائزهم، وتوفير الوسائل المادية لسد احتياجاتهم وجوعهم الجسدي، وليس السعادة الحقيقية المطلوبة، وانما هو محاولة سد النقص الجسدي فقط. فالسعادة الحقيقية تتحقق في توفير مستلزمات الروح والجسد معاً، أي أنّ السعادة الحقيقية تتجسد بجانبين هما:

الجانب المادي لسد النقص الجسدي بالوسائل المادية، مشفوعا بالجانب الاخلاقي لسد النقص الروحي والنفسي بالوسائل الاخلاقية الدينية.

وهذا مادعا اليه الاسلام لايمانه بان الكائن البشري ليس فيه الجانب المادي فقط، أو الجانب الروحي فقط، وانما هو مؤلف منهما، وكل منهما ينشد الكمال و يشعر بالنقص والاحتياج، فاهمال أحدهما تأثير على الجانب الآخر وتشويه لبناء الانسان المتكامل، وهدم لسعادته الكاملة، وليس ذلك في نظر الاسلام إلاشقاء، لانه يريد بناء الانسان السعيد في الدنيا، سعادة روحية وجسدية، والمؤهل للخلد في الجنان في الدار الآخرة.

فتحقيق السعادة الجسدية ليس من مزايا الحضارة المادية فقط، وانما يشترك الاسلام معها في هذا المجال، ولكن ليس الاسراف وتجاوز الحدود والتوغل فيها لحد يخرجه عن انسانيته الى حضيض البهيمية والحيوانية.

٨ ــ إنّ المقياس الذي يتخذه المفكرون والمحللون الاجتماعيون في تقييم الفرد في المجتمع المادي له صور أربع:

صورتان تتعلقان بالانسان ــ موضوع الدرس ــ، واخريان تتعلقان بالدارس نفسه، وهما:

١ـ الصورة الانفرادية: وتعتمد على دراسة الانسان الدارس أو المدروس مستقلاً عن هيئته الاجتماعية واطارها العام غير مرتبط بها ــ وهو ما أخذ به جل مفكرينا (الشرقيين) إنْ لم نقل كلهم.

٢ـ الصورة الجماعية: وتعتمد على دراسة الانسان الدارس كجزء من هيئته الاجتماعية مرتبط بها مصيرياً و اخلاقياً، تنعكس مردود حسنات وسيئات تلك الهيئة عليه وعلى أمثاله من افرادها.

والصورة الجماعية بالنسبة للدارس أو الباحث الاجتماعي تنقسم الى جانبين:

١ ــ جانب سلبي: و هو من ينساق وراء مجتمع غريب عنه وعن مجتمعه فيزج نفسه فيه و يتبنى مبادئه و مفاهيمه، و ينقاد له انقياد الأعمى ويحاول أنْ يعطي عنه صورة حسنة.

٢ ــ جانب ايجابي: وهو من ينظر للمجتمعات من خلال مجتمعه، و يتعامل معها على هذا الاعتبار، فيرى مصلحة مجتمعه ،مصلحته وسعادته، مرتهنة بسعادته.

فالصورة الانفرادية في كل من الدارس وموضوع الدرس لا تفي بالغرض لانها:

اولاً: لايمكن اعطاء صورة عن المجتمع لاشتماله على طباع مختلفة و مزايا في افراده متباينة، ولعدم استقصاء كافة افراد المجتمع واعطاء الصورة الصحيحة عنهم.

ثانياً: لو تم احصاء واستقصاء مزايا افراد المجتمع و سلوكهم ــ مثلاً ــ لما أعطى إلا جانباً واحداً من وجه المجتمع، وهو العلاقة الاجتماعية بين افراده ضمن مجتمعهم.

ثالثاً: إنّ النظرة الفردية، لها افق محدود، ومصالح خاصة، ومزاج نفسي وعاطفي، فاذا تعامل

مع الافراد أو المجتمعات من موقعه الفردي، فانما يتعامل وفق ذلك المزاج وتلك المصلحة والعاطفة، فيستحسن ما يجلب لنفسه المنفعة، و يبعد عنها المضرة.

اما الصورة الجماعية الايجابية: فهي الصورة التي تعطي انطباعاً صحيحاً كاملاً من خلال علاقات المجتمع ــ موضوع الدرس ــ وتعامله مع المجتمعات الأخرى.

فالافراد الذين ينظرون للمجتمعات من خلال مجتمعهم، فيتحسون بأحاسيسه، و يتعاملون مع غيره من المجتمعات، بما يحقق النفع لمجتمعهم و يبعد الاضرار عنه، مثلهم في ذلك مثل اعضاء الانسان في انسجامها وتعاونها مع بعضها بالشكل الذي يحقق مصلحة الانسان، وقلما تختلف أو تتعارض مع بعضها، وكلها تعمل من أجل اسعاد الانسان الذي تنتمي اليه، وتدفع المضار عنه، فتحسن لمن يريد أنْ يحسن الانسان اليه، وتسيء لمن يريد الانسان الإساءة له، وتلتذ بما تعمله ضمن اللذة التي يتحسها الانسان.

هذا حال اعضاء الانسان وهي تعمل ضمن توجيه الانسان الواحد، وهكذا اعضاء المجتمع الواحد من أفراد النوع الانساني في تفكيرهم وتعاونهم فيما بينهم وعدم تعارضهم مع بعضهم ضمن مسؤولياتهم بالتنسيق فيما بينهم، والعمل جميعاً من أجل بناء مجتمعهم، و تحقيق السعادة له، ودفع الأذى عنه وتعامله مع الآخرين بما يحقق ذلك وفق هذا المنظار.

وبهذا المنظار تكلّم القرآن مع الأمم التي تفكرت تفكراً اجتماعياً بدافع من تطرفها وتعصبها المذهبي، لالدليل أوحجة، كاليهود والمشركين من الأعراب، وغيرهم من الأمم التي انكر القرآن عليها موقفها هذا، و وبخها على تعصبها وتعاليها على اتباع الحق، ويحاسب الحاضرين و يعاقبهم على اتباع اسلافهم، وفق ما ارتكبوه من اخطاء، و يوبخهم ــ كأمة واحدة تفكر تفكيراً مجتمعيا ــ على أخطاء الماضين منهم.

واستثنى القرآن الكريم اولئك الافراد الذين طهرت سرائرهم، ونقيت ضمائرهم، فلم تدنس بمثل تعصبهم المقيت، وان كانوا في زمرتهم عند التعداد وكتابة الأرقام، فانهم اتخذوا الحق منهجاً، والصلاح سبيلاً، فلم يغمضوا عن الحقيقة أبصارهم، ولم يوقفوا للتلقين بصائرهم.

ومما ذكر اعلاه نستبين ان الحكم على أفراد الأمم المتمدنة وأفراد الأمم الأخرى بمنظار فردي، حكم قاصر لايعطي صورة حقيقية، وانما ينبغي أن ينظر اليهم كجزء من كيان متميز، وبمقدار تعاطفهم وتعاونهم مع الأمم الأخرى الضعيفة، وسائر الشخصيات في العالم.

فبهذا المعيار يجب أنْ يدرس باحثونا ومفكرونا، الأمم الغربية وأفرادها، وحينئذ لهم ان يمدحوا أو لا يمدحوا تلك الأمم، وأولئك الأفراد ضمن تلك الأمم.

ولو تتبعنا البحث ــ وفق هذا الميزان والقياس ــ لوجدنا أنَّ تلك الأمم القوية المتمدنة ــ التي طالما تغنى الباحثون بها، ومجدوا خصالها ومزاياها ــ اتخذت من قوتها ومدنيتها سلاحاً لقهر الشعوب واستعبادها وامتصاص ثرواتها وخيراتها، تحت شعارات براقة، وعناو ين لامعة، تستعذبها العقول، و تستهويها النفوس، بعد ماطورت من أساليبها القديمة، التي كانت باسمها تحكم الشعوب، و تستنزف الدماء، و تستبيح الأموال، فاستعارت بـ (حفظ المنافع المشتركة) بدلاً من (الاستعمار) و بـ (الاعانة على حفظ الاستقلال) بدلاً من (القهر)، و بـ (الدفاع عن الطبقات المحرومة) بدلاً من (القيمومة)، اسماء بدل اسماء، وعناو ين بدل عناو ين، ولكن وراء ذلك حقيقة واحدة، هي

السطوة والاستعباد ونهب ثروات وخيرات الأمم.

فالضمائر الحية الواعية، والفطرة الانسانية السليمة ترفض اعمال مثل هذه المجتمعات، وتستهجن أفعالها، في قهر الشعوب وهدر كرامة الانسان، وإنْ لم تنظر بمنظار الدين، أو تحكم من زاوية حكم الوحي والنبوة.

وكيف ترضى الطبيعة البشرية أنْ تستباح الدماء والأعراض، وتهدر الكرامة والحقوق، وهي التي لم تفرق بين أفرادها فيما أعطتهم، ولم تميز بين أعضائها فيما وهبتهم، فهل صحيح والحال هذا ان يرضى الضمير الانساني بمنح بعض الأفراد حقوق تملك الآخرين وظلمهم، والعدوان والاستعلاء عليهم، وهل هذا إلاّ تناقض؟

وها هو التاريخ يسطر لنا ــ في الماضي والحاضر ــ ماعانته البشرية ومانعانيه من سطوة وبطش الطواغيت واستعلاء الأمم المترفة، وامتصاصها خيرات الأمم المستضعفة وقدراتها، فالسعادة التي عندهم، والصلاح الذي لديهم، تحكّم واستبداد على غيرهم من الأمم المحرومة.

٦ ــ كيف وعم يتكون المجتمع الاسلامي؟

يتكون المجتمع الانساني ــ بمختلف اتجاهاته ــ بوجود أهداف ومصالح وغايات مشتركة عند مختلف افراده، فيوحد تفرقهم، ويلم شتاتهم.

وفي المجتمع اللاديني يجمعهم حب الدنيا والتعلق بها، فيكون هو غايتهم، والرابط الذي يؤلف بينهم، حيث يكون على نطاق جماعي لاعلى نطاق فردي.

والفارق بين التمتع الجماعي والتمتع الفردي في حب الدنيا، ان لكل انسان في الحياة طموحات ورغبات ونزعات يريد أن يحققها دون مراقبة أو معارضة، للتزود من معطيات الحياة، بأقصى ما يمكنه، وبمقدار ما تسمه أجهزته وطبيعته، كما لوشاء التلذذ من مطاعم المأكل، فيقيد بحدود سعة معدته، أو يستنشق من الهواء، فيحدد بوسع رئته وانْ أراد الاستزادة منها. وهكذا بالنسبة للأفراد الآخرين، فانه يحدد علاقته بهم بمقدار منفعته واستفادته منهم. هذا بالنسبة للتمتع الفردي.

وأما بالنسبة للتمتع الجماعي، فان طموحاته اللامحدودة، ورغباته الجامحة، مدعاة للتوسع. ولما كان كل فرد من هذا المجتمع، يتسم بنفس الصفات، لذلك يحصل من مجموع تلك الطموحات والرغبات، تعارض وتزاحم، يؤدي للاختلاف والمنازعات، والحروب والمطاحنات، مما يسبب هلاك الانسان، و دماره.

وهذا ما يستدعي وضع حدود لهذه الطموحات، وحلول لتلك النزعات. ففي المجتمعات البدائية، كانت توضع الحلول ارتجالاً، ودون رو ية أو تفكر، ولكنها بالسرعة التي تنشأ فيها، تزول وتتبدل. أما في المجتمعات الحديثة وقد تطورت مداركها وعلومها، بنيت حضارتها وقوانينها بمقدار ما بلغتها من ادراك ومعرفة لحل تلك النزعات، وتقويم تلك الاختلافات. بالاضافة الى ذلك اقيمت هيئة ا منها، بيدها القوة والسلطان، لدعم تلك الحلول، وتطبيق ذلك النظام.

ومما سبق نتبين ما يلي:

أولاً: إنّ الغاية من القانون، هو حل مشاكل البشر ورفع التعارض الناجم من تزاحم مصالحهم.

ثانياً: إنّ افراد المجتمع المادي يلتزمون بنصوص القانون فقط، وهم أحرار فيما عداه، بما يفكرون وما يفعلون، إذا نه ــ القانون ــ اطلق العنان لهم فيما يتعلق بالمعارف الإلهية، والقيم الأخلاقية، جاعلاً إيا هما في منأى عن وظيفته، أو منقادين لمشيئته، يأخذ بها اذا اقتضت مصلحة القائمين به، ويحجرهما إذا اصطدمت به مصلحة القيمين عليه طبقا لأهواء الساسة، ولعب السياسة.

ثالثاً: إنّ هذا السلاح الذي سُلّم لفرد أو

أفراد، والقوة التي منحت لهم لحماية القانون وتطبيق النظام، حفظاً لمصلحة المجتمع، وسعياً من أجل اسعاده، إنَّ هذا السلاح المتخذ لحماية القانون، لايقوى القانون على الاحتماء منه، فيما لو أراد القائم به الانقضاض عليه، بتحريف اهدافه، أو تحوير صيغه، فبدلاً من تحقيق سعادة المجتمع به، ينقلب بيده كوسيلة لتحقيق مآربه ومصالحه الذاتية الفردية، على حساب مصلحة الأمة وسعادة المجتمع،

وفي عصرنا عصر المدنية والحضارة، نلمس من أمثال ذلك الكثير، فضلاً عن العصور السالفة، والأمم السابقة.

اضافة لذلك الخطر الجسيم، والنقص البيّن، هناك نقص آخر نلمسه بعملية التنفيذ، هوخفاء مخالفة القانون عن ادراك وعلم المنفذين له، أو جهلهم بوقوع التناقض فيه ــ أحياناً ــ أو عدم نفوذ سلطانه في بعض الأمور، أحياناً أخرى.

وجاء الاسلام لبناء المجتمع الصالح، وتحقيق السعادة له، بنظرة أكثر شمولاً، وأوسع أفقاً، فرأى في هذا الانسان جسماً مادياً، وشعوراً فكرياً، ورأى في الحياة، تمهيداً وتأبيداً، ممراً ومقراً، دنيا وآخرة، فبنى نظامه بموجب هذه النظرة و وضع أسسه بمستوى ذلك الشمول، فأقام للدنيا نظامها، ومهّد للآخرة أحكامها و ربط بعضها بالآخر، مؤكداً في مبناه على المعارف الإلهية، والتوحيد في العبودية، محيطاً إياها بمكارم الأخلاق، وسلامة النية، وطهارة النفس في أمة تعتمد رضا الله في مسعاها، و تبتغي طاعته في مرماها.

وبهذا كله، بالترابط بين الدارين، والتأليف بين الوجهتين، وهب للانسان سعادته النفسية والروحية، وضمن تنفيذ احكامه، الدنيوية والأخروية، وجعل من نفس الانسان رقيباً عليه، عندما ينفرد عن رقابة القانون وسلطان القضاء.

و بالاضافة لما سبق بيانه، جعل تنفيذه بيد قوتين، وقيامه على دعامتين؛ الحكومة الاسلامية، والمجتمع الاسلامي، وأعطى لكل منهما واجباً، وحمّل كلاً منهما مسؤولية، بعد ما أشبعها علماً و يقيناً، و مهّد للعمل بما أدركاه سبلاً، وجعل كلاً منهما رقيباً على الآخر، في تنفيذ بنوده وترسيم معالمه، دون حذف منها، أوترك لبعضها، صغيراً كان أم كبيراً فكله مؤثر في غيره، فأحكام هذا الدين ونظمه، تترابط بينها ارتباطاً يسند بعضها بعضاً و يتمم بعضها أهداف بعض، ليكون منها وحدة في المضمون، لتحقيق الهدف المقصود.

لقد جسّد الاسلام روح التوحيد فيما دعا اليه من مكارم الأخلاق، وجسّد تلك الأخلاق في مختلف الأعمال، بحيث لو فسرت الأعمال، لكانت التوحيد، ولو تجسّد التوحيد، لكان الاخلاق والأعمال، فلو نزل، لكان هي، ولو صعدت، لكانت هو، «اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه».

وعن القول: (ان بعض السلبيات المأخوذة على القوانين المدنية ترد على الاسلام، كأحجام المقيمين عن التنفيذ، أو اخفاء بعض المخالفات عنهم).

نقول: ما القوانين البشرية أو الإلهية ــ إلاّ صور ذهنية، وعلوم تحفظ في الذاكرة، ما لم تخرج الى حيز التطبيق والتنفيذ، وهذا متوقف على ارادة الانسان ورغبته، والاّ لم يكن لتلك القوانين وجود ولا أثر في المجال الاجتماعي التطبيقي.

فلا بدّ للارادة الانسانية من وازع يحضها، ودافع يثيرها، ولابدّ لهذا الوازع أو الدافع أنْ يحفظ حيويتها واندفاعها، و يضمن حرصها على الاستمرار في التطبيق، وهذا ما تفتقر اليه القوانين المدنية التي تعتني بأكثر من تعليق واناطة الأفعال بارادة الأكثرية، ولم تهتم بما يحفظ ديمومتها واستمرارها، فما دامت ارادة الأمة حية شاعرة فاعلة، كان القانون نافذاً فعالاً، وانْ ماتت ارادتها

لانحطاط النفوس وضعف المجتمع، أو فقدت تأثيرها، لاستبداد الحاكمين وسطوتهم، أو تبلد شعورها و وعيها لانغماسها في الشهوات وانشغالها في الترف ولذائذ الحياة، اذا كان الأمر كذلك حرمت الأمة نعمة القانون، وفقدت مزيته وغايته، في حفظها من التدهور والضياع، والتلاشي والانحطاط، فضلاً عما تفقده في الجرائم السرية، التي تحدث في غفلة القانون ورقابته. و هناك الكثير من الأمثلة التي تزخر بها أحداث الأمم الغربية والشعوب الاوربية في اثبات ذلك خصوصاً بعد الحربين الأولى والثانية.

وما انتقاض القوانين وانحسارها، وخمود الأمة وأفول ثارها، إلا لانهدام ذلك السياج الحامي لها، وتداعي ذلك السند الداعم إياها، سياج الأخلاق السامية، ودعامة السلوك المناسب، الذي يحفظ للأمة ارادتها، و يصون لها قوتها وسيطرتها، ولولا استناد القوانين الحاضرة، والسنن القائمة على الخلق الرفيع، لانتقضت من أساسها واجتثت من جذورها، كشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

فانظر لفقدان الخلق القويم، واختلال موازين العدالة الاجتماعية، وحصول الفارق الكبير في توزيع الثروة، فطبقة محرومة وأخرى متخومة، كيف غرس الحقد في النفوس، وأثار السخط المتراكم، فأحداث الثورة الشيوعية التي قوضت ذلك النظام، لتضع مكانه نظاماً آخر مجحفا في الجانب الآخر من التطرف، بعد ذهاب الكثير من الضحايا، واهدار الأموال والكرامات الانسانية.

وهكذا بالنسبة للحربين العالميتين الأولى والثانية، في فداحة الخسائر التي قدمتها البشرية، نتيجة طيش الحكام وجشعهم، و ترف المترفين، وها هو العالم يقف على شفير الهاوية والدمار فيهوى فيه، اثر خطأ أرعن، أوتصرف أهوج، أو كلمة طائشة، من اولئك الذين علوا في الأرض، كبراً وعتواً، وانساقوا وراء نهمهم، لسحق الشعوب الضعيفة و استعبادها، والتهام خيراتها و ثمارها.

اما الاسلام فقد بنى أسسه ونظامه على دعائم الأخلاق وأحاط قوانينه بسياج تربية المجتمع، التربية الصالحة، وفق ما يهدفه و يرمي اليه، وطبق نزعاتهم الغريزية، مُسركزاً في أذهانهم الوعي الفكري الدقيق، و رؤية الله في كل مجال،وبهذا يجعل من كل انسان رقيباً على نفسه و مجتمعه، يحاسبها ويحاسبه، كلما أدرك فيها انحراف، أو علم منها انزلاق، وفي ذلك ضمان لسلامة التطبيق، وأمان من الاندثار وتلاشي النظام.

اما النظم الوضعية، والمبادىء البشرية، فهي وان دعت لمكارم الأخلاق، و بذلت جهداً لإقحامهم عليها، وتمسكهم بها، إلاّ انها فشلت في ميدان التطبيق، خاسرة خاسرة، لانها:

أولاً: أعطت الناس حرية مطلقة، دون ضوابط وحدود لا تعدل من افراطها، وتحد من اسرافها، فأحدثت ــ نتيجة ذلك ــ طبقة مترفة، وأخرى محرومة، فكان من ذلك، فساد الاخلاق ــ وهل فسادها إلا منه؟ ــ وسار المجتمع منحرفاً عن الخط القويم والصراط المستقيم فأنى لهم تأصيل الاخلاق الحميدة في نفوس الأمة وقد مهدت لها سبل الانحراف ومنافذ الدمار والخراب، وهل هذا منها إلا محاولة الجمع بين النقيضين؟ والتوحيد بين المتعارضين؟

وهم على هذه الحال في تفكيرهم الجماعي، قائمون على قهر الشعوب الضعيفة واستعبادها، وامتلاك نفوسها و استرقاقها، واحكام قبضتهم في خناقها، فدعوتهم لاصلاح مجتمعهم، وغرس الفضائل في نفوسهم ــ والحال هذه ــ تناقض بيّن، كمن يؤدب قطة على سلوك ، وفي ذات الوقت يضع أمامها ــ بعد اجاعتها ــ فأرة و يطلب منها الالتزام

بذلك السلوك، أو كقول الشاعر:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له
إياك إياك أن تبتل بالماء

ثانياً: إنّ ادامة الأخلاق الكريمة، والحفاظ عليها، والتزام النفوس بها، و توجيه الطموحات على أساسها، تحتاج لوسيلة تحققها وضامن يضمنها، وليس في تلك المبادىء الأرضية، هذه الوسيلة، وذلك الضامن، كما عند الاسلام، فقد ركز في نفوس اتباعه جانبين مهمين:

الأول: هو الايمان بالله الاحد، العالم بالسرائر، ذي الصفات الحميدة التي تتقوم بها النفوس، كالعدل والرحمة، والكرم والمغفرة، وحبه الخير و بغضه للشر، ومجازاة الناس في الآخرة، وفق اعمالهم، مما يجعل المسلم يحذر غضبه، و يتصدى لرضاه في السر والعلن، والرضا والغضب، وفي الأحوال المتناقضة كلها، فاذا زاغ تذكر فأبَ، واستغفر وتاب.

والثاني: الايمان باليوم الآخر، بالجنة لمن عمل الصالحات، و بالنار لمن ارتكب الموبقات، وان ما يفعله محاسب عليه، ومردود اليه، فلا يحصد إلا مازرع، ولا يجوز الا ما صنع، فرجوعه من دار فانية لآخرة باقية، باعمال ونوايا لاتخفى على الله الحاكم هناك منها خافية، يحجمه عن التوغل في المحرمات و ينذره عن التقصير في الواجبات، وقد يبتعد به الشوط فيتفانى طاعة لله وانقياداً، و يسحق ذاته للأمة ــ من حبه لذاته ــ رحمة واسعاداً، وطبيعي لايضحي العاقل بمصالحه في سبيل المجتمع، مالم يجد مصلحة لذاته أعظم، وربحاً لأنانيته أكبر ــ وهوما امن المسلم بحصوله من الله في الآخرة ــ والا ــ بحكم عقله وفطرته ــ مدعو لنفع ذاته وتحقيق مصلحته.

فالانسان الذي لايؤمن بالمعاد والذي لا رادع له يردعه، أوجزاء يرجوه، أو لائم يلومه، فمن عن ظلم الآخرين لتحقيق مصلحة ذاته يمنعه؟

اما الثناء الجميل، والتعلق بالأوطان، وشبهها من المعايير فانما هي عواطف قلبية، لا تثبت عند الشدة، والا فلماذا يضحي الانسان بنفسه فيخسر دنياه التي في نظره لاآخرة بعدها، من أجل أنْ يتمتع غيره بما بذل فيه، وما قيمة هذا الثناء، بعد أن يفقد البقاء فلا أحد يرضى هذه النتيجة، إلا اذا فقد عقله، أو فقد خصائص انسانيته.

فهذه العقيدات لايتغلب عليها و يزيلها من طريق العمل الجاد والاستقامة في السر والعلن ــ وحتى بدون رقابة ــ سوى الاسلام، الذي أقام أسسه على دعائم التوحيد، وحفظه وصانه بمكارم الأخلاق، وقوّمه وأدامه بالايمان بيوم المعاد، **(يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا، وما عملت من سوء)** «آل عمران: ٣٠» **(يوم تجزى كل نفس بما كسبت)** «غافر: ١٧».

الهوامش:

١ ــ آل عمران ٢٠٠
٢ ــ الحجرات ١٣
٣ ــ الزخرف ٣٢.
٤ ــ آل عمران ١٩٥
٥ ــ الفرقان ٥٤
٦ ــ يونس ١٩
٧ ــ البقرة ٢١٣
٨ ــ الشورى ١٣
٩ ــ الانعام ١٥٣
١٠ ــ آل عمران ١٠٣ ــ ١٠٥
١١ ــ الانعام ١٥٩
١٢ ــ الحجرات ١٠

←

←

١٣ ــ الأنفال ٤٦
١٤ ــ المائدة ٠٢
١٥ ــ آل عمران ١٠٤
١٦ ــ الفرقان ٥٤
١٧ ــ الحجرات٤٩
١٨ ــ آل عمران ١٩٥
١٩ ــ الأعراف ٣٤
٢٠ ــ الجاثية ٢٨
٢١ ــ الأنعام ١٠٨
٢٢ ــ المائدة ٦٦
٢٣ ــ آل عمران ١١٣
٢٤ ــ غافر ٥
٢٥ ــ يونس ٤٧
٢٦ ــ آل عمران ١٣٧
٢٧ ــ التوبة ٣٢
٢٨ ــ البقرة ٢١٣
٢٩ ــ فصلت ٥٣
٣٠ ــ المائدة ٥٤
٣١ ــ النور ٥٥
٣٢ ــ الأنبياء ١٠٥
٣٣ ــ التوبة ٣٣
٣٤ ــ غافر ٢٠
٣٥ ــ العصر ٣
٣٦ ــ الزخرف ٧٨
٣٧ ــ المؤمنون ٧٠ــ٧١
٣٨ ــ يونس ٣٢
٣٩ ــ الاسباب الناجم عنها حصول الحوادث يقال لها علة، وحصول الحوادث (معلول)لها.
٤٠ ــ الطور ٣٥
٤١ ــ المؤمنون ٧٠
٤٢ ــ المائدة ٦
٤٣ ــ البقرة ١٨٣

حديث

الروايات المشتركة

الشيخ محمود قانصوه

إن المطالع لكتب الحديث المتداولة، والموثوق بها لدى كل من أهل السنة والشيعة، يجد أن تلك الاحاديث تتفق ـ إلا ماندر وقلّ منها ـ في اللفظ أوفي المعنى...

أما ذلك القليل النادر، فليس إلا مسائل قليلة كانت ولا تزال مثاراً للجدل، وموضع أخذ ورد، أذكى أواره السياسيون الظالمون لأهداف رخيصة لا إنسانية، وتركوا بصماتهم البغيضة عليه، بل نجد أنهم قد تدخلوا شخصياً لتغيير كثير من الاحكام التي رأوا أن تغييرها يخدم مصالحهم وعروشهم.

وعدا عن تلك المسائل القليلة جداً، فان الاتفاق المشار إليه لايختص بطائفة من الروايات دون طائفة ولا بموضوع دون آخر، بل هو ينسحب على مختلف الموضوعات و المجالات، سواء في ذلك: الفقهية، أو الاخلاقية، أو غير ذلك....

وإذا كان ثمة من فروق... فانما هي جزئية لاتخل في المقصود الاصلي. وانما هي كسائر الفروق التي تكون في الروايات الكثيرة لدى طائفة واحدة وفي مسألة واحدة؛ حيث يجيز الرواة لانفسهم النقل في المعنى عادة، أولسبب الاستنساخ الكثير، الذي ينشأ عنه التحريف والسقط والزيادة ونحو ذلك....

ونحن ايماناً منا بضرورة السعي الحثيث والدائب نحو الوحدة الحقيقية، وفي جميع المجالات... ومن

اجل ان الجمع بين النصوص الكثيرة، التي تتكفل ببيان معنى واحد و مؤدى واحد يعين الفقيه والباحث كثيراً في مجال استنباط الاحكام، واستجلاء تلك المعاني من الاخبار المتكفلة لبيانها...

هذا إلى جانب أن ذلك يوضح الاجواء والظروف التي تكوّن فيها النص الآخر المعارض،.

إلى غير ذلك من فوائد لا تكاد تخفى على ذوي الخبرة والبصيرة...

إننا من اجل ذلك كله و سواه بادرنا لجمع هذه الاحاديث الواردة من طرق الشيعة عن اهل البيت عليهم السلام و من طرق غيرهم عن النبي صلى الله عليه و آله وسلم... وقد ابتدأنا بأحاديث صلاة الجمعة لأنها الرمز الحقيقي الذي تتجلى فيه الوحدة الحقيقية عقيدة وتشريعاً وسلوكاً... و نأمل أن تلقى هذه الخطوة منا، القبول والتشجيع والتفهم من قبل كل اخواننا واحبائنا...

وفقنا الله جميعاً لما فيه الخير و السداد، إنه خير مأمول واكرم مسؤول...

باب ما روي في فضائل يوم الجمعة

ما روي عن طرق اهل البيت (ع):

١ ــ عن النبي (ص) قال: **الجمعة سيد الأيام واعظمها عندالله عزوجل وهواعظم عندالله من يوم الفطر و يوم الأضحى.فيه خمس خصال:خلق الله فيه آدم واهبط الله فيه آدم الى الارض وفيه توفى الله آدم وفيه ساعة لايسأل الله فيها أحد شيئاً إلا اعطاه مالم يسأل محرماً.وما من ملك مقرب ولاسماء ولا أرض ولا رياح ولاجبال ولاشجر إلا وهومشفق من يوم الجمعة أن تقوم القيامة فيه**[1].

وللحديث عدة اسانيد فلتراجع المصادر التي في الهامش.

٢ ــ محمد بن علي بن الحسين باسناده عن داود بن سرحان عن أبي عبدالله (ع) في قول الله عزوجل و شاهد ومشهود قال: **الشاهد يوم الجمعة**[2].

٣ ــ محمدبن يعقوب عن محمدبن علي بن محبوب عن محمدبن عيسى عن محمدبن الحصين عن محمدبن الفضيل عن عبدالرحمن بن زيد عن أبي عبدالله عن ابيه عن جده عليهم السلام قال: جاء اعرابي الى النبي (ص) يقال له قليب فقال يا رسول الله إني تهيأت الى الحج كذا و كذامرة فما قدر لي فقال (ص) **يا قليب عليك بالجمعة فإنها حج المساكين**[3]

٤ ــ وعن نوادر الراوندي باسناده عن موسى بن جعفر عن أبائه (ع) قال رسول الله (ص): **التهجير الى الجمعة حج فقراء امتي.**وارسل الراوندي حديثاً عن النبي (ص):**الجمعة حج المساكين**[4].

---

١ ــ وسائل الشيعة ج ٣ ص ٦٧. و نقل في هامشه عن عدة الداعي ص ٢٨. والخصال ج ١ ص ١٥٢ و مصباح المتهجد ص ١٩٦. ونقله مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤١٨ عن أبي الفتوح في تفسيره عن سعد بن عبادة. والبحارج ٨٩ ص ٢٦٧.

٢ ــ الوسائل ج ٣ ص ٦٥ وفي هامشه نقله عن الفقيه ج ١ ص ١٣٨ و مصباح المتهجد ص ١٩٦ وقال: والمطبوع بإضافة والمشهود يوم عرفة.

٣ ــ الوسائل ج ٣ ص ٥ وفي هامشه عن التهذيب ج ١ ص ٣٢١ وارسل الشهيد في رسالة الجمعة عن النبي (ص) الجمعة حج المساكين كما في البحارج ٨٩ ص ٢١٢ و نقله في المستدرك ج ١ ص ٤١٨ عن تفسير أبي الفتوح.

٤ ــ البحارج ٨٩ ص ١٩٧ و ١٩٩ و ٢٥٥ عن نوادر الراوندي و عن دعائم الاسلام.

٥ ــ محمدبن يعقوب، عن احمدبن محمد، عن حمادبن عيسى، عن الحسين بن المختار عن أبي بصير قال: سمعت اباجعفر (ع) يقول: **ما طلعت الشمس بيوم افضل من يوم الجمعة.**[١]

ومثله عن محمدبن محمد المفيد في (المقنعة). عن الباقر. نفس الحديث.[٢]

٦ ــ وعن محمدبن يحيى، عن الحسين بن سعيد، عن ابراهيم بن أبي البلاد، عن بعض اصحابه عن أبي جعفر (ع) و ابي عبدالله (ع) قال: **ما طلعت الشمس بيوم افضل من يوم الجمعة وإن كلام الطير فيه إذا لق بعضها بعضاً سلام سلام يوم صالح**[٣].

٧ ــ احمدبن محمد عن الحسين عن النضر بن سويد عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله (ع) قال: **كان رسول الله يستحب اذا دخل وإذا خرج في الشتاء أن يكون ذلك في ليلة الجمعة.وقال ابوعبدالله (ع) إن الله اختار من كل شيء شيئاً فاختار من الأيام يوم الجمعة**[٤].

٨ ــ عن درر اللئالي عن رسول الله أنه قال: **خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة** ... الحديث نفس الصفحة ونقله ايضاً عن الشيخ ابي الفتوح[٥].

٩ ــ وعن الحسن بن علي بن محمد العطار عن محمدبن احمدبن مصعب عن احمدبن محمدبن اسحاق الآملي عن احمدبن محمدبن غالب عن دينار عن أنس عن النبي (ص) قال: **إن ليلة الجمعة ويوم الجمعة أربع وعشرون ساعة لله عزوجل في كل ساعة ست مائة الف عتيق من النار**[٦].

١٠ ــ وعن علي بن ابراهيم عن أخيه إسحاق بن ابراهيم عن محمدبن اسماعيل بن بزيع، عن الرضا (ع) في حديث قال: **إذا ركدت الشمس عذب الله ارواح المشركين بركود الشمس ساعة فإذا كان يوم الجمعة لايكون للشمس ركود رفع الله عنهم العذاب لفضل يوم الجمعة**[٧].

ورواه الصدوق مرسلاً نحوه.

١١ ــ عن النبي (ص): **أنه كره الصلاة نصف النهار إلا يوم الجمعة وقال: إن جهنم تسجر كل يوم إلا يوم الجمعة**[٨].

١٢ ــ المحاسن، عن ابيه عن الحسن بن يوسف عن الفضل بن صالح عن محمدبن علي (ع) قال:

---

١ ــ الوسائل ج ٣ باب وجوب تعظيم يوم الجمعة حديث ٢ ــ الفروع ج ٣ ص ٤١٣ و عن التهذيب ج ١ ص ٢٤٥ نقله والبحار ج ٨٩ ص ٢٨٤.

٢ ــ الوسائل ج ٣ الباب المتقدم حديث ٢٣ و عن المقنعة ص ٢٥ و نقله في البحار عن المقنعة ج ٨٩ ص ٢٨٦.

٣ ــ الوسائل ج ٣ الباب المتقدم حديث ٨٠ ــ وفي هامشه عن الفروع ج ١ ص ١١٥ ــ والتهذيب ج ١ ص ٢٤٦ وفي البحار ج ٨٩ ص ٢٧٣ عن عدة الداعي.

٤ ــ الكافي ج ٣ ص ٤١٣ و مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤١٨

٥ ــ مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤١٨ ونقله ايضاً عن الشيخ ابي الفتوح.

٦ ــ الوسائل ج ٣ ص ٩٩. الخصال ج ٢ ص ٣٠٠ ــ و مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤١٨ عن الراوندي بزيادة والبحار ج ٨٩ ص ٢٦٨ من دون ذكر الآملي.

٧ ــ الوسائل ج ٣ ص ٦٤ وفي هامشه عن الفروع ج ١ ص ١١٦. والفقيه والتهذيب و مصباح المتهجد ص ١٩٦.

٨ ــ البحار ج ٨٩ ص ٢١٣.

ليلة الجمعة ليلة غراء يومها يوم ازهر وليس على الارض يوم تغرب فيه الشمس اكثر معتقاً فيه من النار يوم الجمعة[1].

١٣ ــ مجمع البيان، عن النبي(ص): إن لله تعالى في كل يوم جمعة ست مائة الف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار[2].

ماورد من طرق اهل السنة:

١ ــ اخبرنا ابوسعيد بن أبي عمرو أنبأنا ابوعبدالله محمد بن عبدالله الصفار ثنا احمد بن محمد البرقي القاضي ثنا ابومعمر ثناعبد الوارث عن الحسين عن يحيى اخبرني ابوسلمة أنه سمع اباهريرة يقول: خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة... الحديث[3]. وللحديث اسانيد اخرى فراجع المصادر.

٢ ــ وفي شعب الايمان للبيهقي: افضل الايام عندالله يوم الجمعة[4].

وروى ابن ماجة قال حدثنا ابوبكر بن أبي شيبة ثنا الحسين بن علي عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر عن ابي الاشعث الصنعاني عن شداد بن اوس قال: قال رسول الله (ص): إن من افضل ايامكم يوم الجمعة... الحديث)[5].

وفي صحيح ابن حبان عن أبي هريرة: لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم افضل من يوم الجمعة[6]. ورواه مجمع الزوائد وقال رجاله رجال الصحيح[7].

٣ ــ اخبرنا ابوالحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران العدل ببغداد انبأ اسماعيل بن محمد الصفار ثنا ابوقلابة ثنا عمرو بن مرزوق أنبأ شعبه عن يونس بن عبيد عن عمار مولى بني هاشم عن أبي هريرة رضي الله عنه (وشاهد ومشهود) قال: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة[8].

٤ ــ وعن عطاء بن يسار: (شاهد يوم الجمعة ومشهود يوم عرفة)[9].

---

١ ــ البحار ج ٨٩ ص ٢٧١ عن المحاسن.

٢ ــ البحار ج ٨٩ ص ٢٨٤ عن مجمع البيان.

٣ ــ سنن البيهقي ج ٣ ص ٢٥١ و ٢٥٠ ومثله في كنز العمال ج ٧ حديث (٣٣٦٦). نقله في هامشه عن أحمد ومسلم و الترمذي عن أبي هريرة. ومثله في الأم ج ١ ص ١٨٥. والترمذي ج ٢ ص ٣٥٩ و ٣٦٢ و ابي داوود ج ١ ص ٢٧٤ ومنحة المعبود ج ١ ص ١٣٩ المستدرك للحاكم ج ١ ص ٢٧٨ و ٢٧٩ و المنتقى ج ٢ ص ١٣ وفي مفتاح كنوز السنة نقله عن مسلم و أبي داوود والنسائي وابن ماجة و احمد و من أحب فليراجع ص ١١٦ و مسلم ج ٢ ص ٦.

٤ ــ كنز العمال ج ٧ حديث (٣٣٤٩) عن البيهقي في شعب الايمان عن أبي هريرة.

٥ ــ ابن ماجة ج ١ ص ٣٤٥. وكنز العمال ج ٧ حديث (٣٣٥٣) عن البيهقي في شعب الايمان عن أبي هريرة.

٦ ــ كنز العمال ج ٧ حديث (٣٣٩٣) عن ابن حبان وفي مصابيح السنة للبغوي هذا المعنى في حديث ج ١ ص ٦٨.

٧ ــ ج ٢ ص ١٦٤.

٨ ــ سنن البيهقي ج ٣ ص ١٧٠ و كنزالعمال ج ٧ ص ٥٠٧ مثله بتغيير في اوله و آخره ومثله عن مصابيح السنة للبغوي ج ١ ص ٦٨.

٩ ــ كذا في الام للشافعي وهو في البيهقي ج ٣ ص ١٧٠ باسناد آخر عن عبدالله بن رافع عن ابي هريرة.

٥ ــ الجمعة حج المساكين[1].

٦ ــ الجمعة حج الفقراء[2].

٧ ــ وفي كنز العمال: إن لكم في كل جمعة حجة وعمرة فالحجة التهجير للجمعة..[3] الحديث.

٨ ــ ليلة الجمعة و يوم الجمعة اربع وعشرون ساعة. لله تعالى في كل ساعة ست مائة الف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار[4].

٩ ــ إن يوم الجمعة وليلة الجمعة اربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا ولله فيها ست مائة الف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار[5].

١٠ ــ ليس من يوم الجمعة إلا ولله عتقاء من النار ستمائة الف وتيف الى عشر بن الفاً كلهم قد استوجبوا النار[6].

١١ ــ حدثنا محمد بن عيسى ثنا حسان بن ابراهيم عن ليث عن مجاهد عن ابي الخليل عن أبي قتادة عن النبي (ص) أنه كره الصلاة نصف النهار إلا يوم الجمعة وقال: إن جهنم تُسجَّر إلا يوم الجمعة[7].

١٢ ــ إن الله يسعر جهنم كل يوم في نصف النهار و يجيبها يوم الجمعة[8].

١٣ ــ حدثنا عبدالله حدثني ابي ثنا ابوعامر عبدالملك بن عمرو قال ثنا زهير يعني ابن محمد عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن عبدالرحمن بن يزيد الانصاري عن أبي لبابة البديري ابن عبدالمنذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سيد الايام يوم الجمعة واعظمها عنده واعظم عندالله عزوجل من يوم الفطر و يوم الأضحى وفيه خمس خلال خلق الله فيه آدم وأهبط الله فيه آدم الى الارض و فيه توفى الله آدم وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئاً إلا آتاه الله تبارك وتعالى اياه مالم يسأل حراماً وفيه تقوم الساعة ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا هن يشفقن من يوم الجمعة[9].

ونقله كشف الاستار باسناده عن سعد بن عبادة بزيادة أن تقوم فيه الساعة[10].

---

١ ــ كنز العمال ج ٧ ص ٥٠١ عن ابن زنجويه في ترغيبه والقضاعي.

٢ ــ كنزالعمال ج ٧ ص ٥٠١ عن القضاعي وابن عساكر.

٣ ــ كنزالعمال ج ٧ ص ٥٢٢.

٤ ــ كنزالعمال ج ٧ حديث (٣٣٦٠).

٥ ــ كنزالعمال ج ٧ حديث (٣٣٩٦) ومجمع الزوائد ج ٢ ص ١٦٥.

٦ ــ كنزالعمال ج ٧ حديث (٣٣٩٨).

٧ ــ سنن ابي داوود ج ١ ص ٢٨٤.

٨ ــ كنزالعمال ج ٧ حديث (٣٣٥٢).

٩ ــ مسند احمد ج ٣ ص ٤٣٠ و راجع الام للشافعي بتغيير يسير ج ١ ص ١٨٥ وكنزالعمال ج ٧ حديث (٣٣٥٤) و (٣٣٧٧) و (٣٣٨٦) و (٣٣٩٢) عن الشافعي و احمد والبخاري في تاريخه عن سعد بن عبادة وابي لبابة وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٣٤٤.

١٠ ــ كشف الاستار ج ١ ص ٢٩٤ و المنتقى ج ١ ص ١٤ و نقله عن احمد و ابن ماجة.

باب العمل يضاعف يوم الجمعة

ماورد من طرق أهل البيت (ع) :

١ ــ الصدوق بإسناده عن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله الصادق (ع) في الرجل يريد أن يعمل شيئاً من الخير مثل الصدقة والصوم ونحوها قال: **يستحب أن يكون ذلك يوم الجمعة فإن العمل يوم الجمعة يضاعف**[١].

٢ ــ عن محمد بن موسى بن المتوكل عن السعد آبادي عن احمد بن محمد البرقي عن ابيه عن احمد بن النضر عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر الباقر (ع) قال: **الخير والشر يضاعف في يوم الجمعة**[٢].

٣ ــ احمد بن ابيعبدالله البرقي (في المحاسن) عن ابن فضال عن العلاء بن رزين عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر الباقر (ع) قال: **إن الصدقة يوم الجمعة تضاعف**. وكان ابوجعفر (ع) يتصدق بدينار[٣].

٤ ــ وعن عبدالله بن محمد عن عمرو بن شمر عن جابر قال كان علي (ع) يقول: ... في حديث... **واعلموا أن الخير والبر يضاعفان يوم الجمعة**[٤].

ماورد من طرق أهل السنة

١ ــ **تضاعف الحسنات يوم الجمعة**[٥].

ورواه في مجمع الزوائد عن ابي هريرة نقله عن الطبراني في الاوسط.

باب الصلاة على محمّد يوم الجمعة

ماورد عن طريق اهل البيت :

١ ــ ثواب الاعمال: عن ابيه عن سعد عن أحمد بن أبي عبدالله عن ابيه عن احمد بن أبي المنذر عن الحسن بن علي عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا (ع) قال: **قال رسول الله (ص) من صلى عليّ يوم الجمعة مائة صلاة قضى الله له مئتي حاجة (منها للدنيا) ثلاثون حاجة للدنيا وثلاثون حاجة للآخرة**[٦].

٢ ــ وعن علي بن محمد ومحمد بن الحسن عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الاشعري عن ابن القداح عن أبي عبدالله (ع) قال: قال رسول الله (ص): **اكثروا من الصلاة عليّ في الليلة الغراء واليوم الأزهر**

---

١ ــ الوسائل ج ٣، ص ٦٦. وفي هامشه عن الفقيه ج ١ ص ١٣٨. الخصال ج ٢ ص ٣١ بسند آخر وراجع: البحار ج ٨٩ ص ٣٤٧.

٢ ــ الوسائل ج ٣ ص ٦٦ عن ثواب الاعمال و البحار ج ٨٩ ص ٢٨٣ ومستدرك الوسائل ج ١ ص ٤١٨.

٣ ــ الوسائل ج ٣ ص ٩٠٠ ــ المحاسن ص ٥٩ و نقله في البحار ج ٨٩ ص ٣٤٩.

٤ ــ الوسائل ج ٣ ص ٦٩ و المحاسن للبرقي ص ٥٨.

٥ ــ كنزالعمال ج ٧. حديث ٣٣٨٩ عن الطيالسي، عن ابي هريرة.

٦ ــ الوسائل ج ٧١ و نقله عن ثواب الاعمال ص ٨٥ . و نقله البحار ج ٨٩ ص ٣٥١.

ليلة الجمعة و يوم الجمعة فسئل الى كم الكثير قال: الى مائة ومازادت فهو افضل[1].

٣ ــ و عن النبي (ص) قال: اكثروا من الصلاة عليّ في كل جمعة فمن كان اكثركم صلاة عليّ كان اقربكم مني منزلة.ومن صلى عليّ يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة وعلى وجهه نور ومن صلى عليّ في يوم الجمعة الغامرة لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة[2]. والاحاديث في الباب كثيرة فراجع البحار وغيره.

ماورد عن طريق اهل السنة:

١ ــ اخبرنا ابوسهل احمدبن محمدبن ابراهيم المهراني انبأ محمدبن جعفر السختياني ثنا ابوخليفة ثنا عبدالرحمن بن سلام انبأ ابراهيم بن طهمان عن أبي اسحاق عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن صلّى عليّ صلاة صلى الله عليه عشراً.[3]

٢ ــ اخبرنا ابوعبدالله الحافظ وابوسعيد ابن ابي عمرو قالا ثنا ابوالعباس محمد بن يعقوب انبأ ابوجعفر احمدبن عبدالحميد الحارثي ثنا الحسين بن علي الجعفي عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر عن ابي الاشعث الصنعاني عن اوس بن اوس قال: قال رسول الله (ص): افضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم و فيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة... الحديث[4].

٣ ــ وعن خالدبن معدان عن رسول الله (ص) قال: اكثروا الصلاة عليّ في كل يوم جمعة فإنه صلاة امتي تعرض عليّ في كل جمعة[5].

٤ ــ و عن صفوان بن سليم أن رسول الله (ص) قال: إذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة فاكثروا الصلاة علي»[6].

باب آداب الجمعة وكونها كفارة

ماورد عن طريق اهل البيت

١ ــ عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن موسى بن سعدان عن عبدالله بن سنان عن ابي عبدالله الصادق (ع) قال: من أخذ شاربه وقلم اظفاره وغسل رأسه بالخطميّ يوم الجمعة كان كمن اعتق

---

١ ــ الوسائل ج ٣ ص ٧٢ ـ فروع الكافي ج ٣ ص ٤٢٨. والبحار ج ٨٩ ص ٣١٣ نقله عن رسالة الشهيد الثاني في الجمعة.

٢ ــ البحار ج ٨٩ ص ٣٧٨.

٣ ــ سنن البيهقي ج ٣ ص ٢٤٩ و بهذا المعنى عن أبي هريرة في مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٦٨ و نقله عن الأوسط الطبراني.

٤ ــ سنن البيهقي ج ٣ ص ٢٤٨ و النسائي ج ٣ ص ٩١ و سنن ابي داوود ج ١ ص ٢٧٥ ومثله في المستدرك للحاكم ج ١ ص ٢٧٨، و سنن الدارمي ج ١ ص ٣٦٩ و المنتقى ج ٢ ص ١٦ و سنن ابن ماجة ج ١ ص ٣٤٥ و قد ذكرناه في باب فضل الجمعة.

٥ ــ المنتقى ج ١ ص ١٧ و نقله عن سنن سعيد و قال هو مرسل.

٦ ــ المنتقى ج ٢ ص ١٧ ونقله عن الشافعي في المسند. وقال هو مرسل.

نسمة[1].

وروى الشيخ باسناده عن محمد بن يحيى مثله.

٢ ــ وعن علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن محمد بن طلحة قال: قال ابو عبدالله (ع): **تقليم الأظفار وقص الشارب وغسل الرأس بالخطمى كل جمعة ينفي الفقر ويزيد في الرزق**[2].

٣ ــ وعن علي بن ابراهيم عن ابيه عن اسماعيل بن عبدالخالق عن محمد بن طلحة نحوه في ثواب الأعمال عن أبيه عن علي بن ابراهيم عن أبيه الحسين بن يزيد عن السكوني عن أبي عبدالله عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله (ص): **من قلّم اظفاره يوم الجمعة أخرج الله من أنامله الداء وأدخل فيه الدواء**[3].

٤ ــ وفي المستدرك عن الجعفريات باسناده قال رسول الله (ص): **لينطيب احدكم يوم الجمعة: ولو من قارورة امرأته**[4].

٥ ـ في الخصال حدثنا أبي (رض) قال حدثنا محمد بن يحيى العطار عن محمد بن احمد عن معاوية ابن حكيم عن معمر بن خلاد عن أبي الحسن الرضا (ع) قال: **لا ينبغي للرجل أن يدع الطيب في كل يوم فإن لم يقدر عليه فيوم و يوم لا فإن لم يقدر ففي كل جمعة ولا يدع ذلك**[5].

٦ ــ عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن أبي عبدالله عن محمد بن موسى بن الفرات عن علي بن معبد عن السكن الخزاز قال: سمعت أبا عبدالله (ع) يقول: **حق على كل محتلم في كل جمعة أخذ شاربه وأظفاره ومس شيء من الطيب** وكان رسول الله (ص) إذا كان يوم الجمعة ولم يكن عنده طيب دعا ببعض خمر نسائه فبلها في الماء ثم وضعها على وجهه[6]

ورواه الصدوق في (الخصال) عن أبيه وعن محمد بن يحيى عن محمد بن أحمد عن أحمد بن أبي عبدالله مثله الى قوله: ومس شيء من الطيب.

٧ ــ محمد بن يعقوب عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد عن معمر بن خلاد عن أبي الحسن (ع)

---

١ ــ الوسائل ج ٣ ص ٤٧. الفروع ج ٢ ص ٢٢٠. التهذيب ج ١ ص ٣٢١.

٢ ــ الوسائل ج ٣ ص ٤٧. الفروع ج ٢ ص ٢١٧ وج ١ ص ١١٦.

٣ ــ الوسائل ج ٣ ص ٤٩ ثواب الاعمال ص ١٤. الخصال ج ٢ ص ٣٠. نقله في البحار ج ٨٩ ص ٣٤٥ باسناد آخر و بزيادة في آخره وعن نوادر الراوندي باسناد آخر عن موسى بن جعفر (ع) ج ٨٩ ص ٣٦١ وفي الخصال عين الحديث باسناد آخر ج ٢ ص ٣٩١ ومعناه في مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤١٤ عن الجعفريات وعن كتاب العروس بزيادة في آخره.

٤ ــ مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤١٤.

٥ ــ الخصال ج ٢ ص ٣٩٢.

٦ ــ الوسائل ج ٣ ص ٥٤. وفي هامشه عن الفروع ج ٢ ص ٢٢٢. الخصال ج ٢ ص ٣٠ نقله في الهامش وفي الخصال لم يذكر عن رسول الله ج ٢ ص ٣٩٢ وراجع البحار ج ٨٩ ص ٣٦٥ و٣٤٦.

قال: لاينبغي للرجل أن يدع الطيب في كل يوم فإن لم يقدر عليه فيوم ويوم فإن لم يقدر ففي كل جمعة ولايدع[1].

ورواه الصدوق مرسلاً. و عيون الأخبار باسناد آخر الى معمر بن خلاد عن الرضا (ع) ايضاً مثله ورواه في الخصال عن ابيه بنفس السند المتقدم مثله.

ماورد عن طريق اهل السنة

١ ــ عبد الرزاق عن معمرعمن سمع أنساً يقول: إن النبي (ص) قال: إن الجمعة إلى الجمعة كفارة والصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر. قال: فقال رجل: يا نبي الله اتكفر الجمعة الى الجمعة قال: نعم وزيادة ثلاثة أيام[2].

٢ ــ عبدالرزاق عن ابن عيينة عن أبي اسحاق قال سمعته يحدث عن الحارث عن علي قال: الناس في الجمعة ثلاث: رجل شهدها بسكون ووقار وانصات وذلك الذي يغفرالله ما بين الجمعتين قال: حسبته قال: وزيادة ثلاثة ايام قال: وشاهد شهدها بلغو فذلك حظه منها ورجل صلى بعد خروج الإمام بسنة إن شاء اعطاه وإن شاء منع[3].

٣ ــ عبدالرزاق عن ابن عيينة عن ابن عجلان عن سعيد ابن أبي سعيد عن عبدالله بن وديعة الحرزي عن أبي ذر قال: وسمعت عبدالوهاب عن أيوب عن أبي ذئب عن أبي ذر قال: من اغتسل يوم الجمعة فأحسن غسله ولبس من صالح ثيابه ومس ما كتب الله له من طيب أهله او دهنه ثم راح الى الجمعة فلم يفرق بين اثنين غفر له مابين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام[4].

٤ ــ من اغتسل يوم الجمعة ثم أتى الجمعة فصلى ما قدر له ثم انصت حتى يفرغ الإمام من خطبته ثم يصلي معه غفرله مابينه وبين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة ايام.

وقد روي مثل ذلك عن سلمان و ابي سعيد و اوس بن اوس[5].

٥ ــ اخبرنا ابوبكر بن الحسن و ابوزكريا بن أبي اسحاق قالا ثنا ابوالعباس محمد بن يعقوب هو الاصم ثنا بحر بن نصر قال قرىء على ابن وهب اخبرك حيوة بن شريح عن بكر بن عمر عن بكير بن عبدالله بن الاشج عن نافع أن عبدالله بن عمر كان يقلم اظفاره و يقص شاربه في كل جمعة وروينا عن ابي جعفر مرسلاً قال: كان رسول الله (ص) يستحب أن يأخذ من شاربه واظفاره يوم الجمعة[6].

---

١ ــ الوسائل ج ٣ ص ٥٤ و نقله عن الفروع ج ٢ ص ٢٢٢ و الفقيه ج ١ ص ١٣٩ أما عيون الأخبار ففي ص ١٥٥. والخصال في ج ٢ ص ٣٠.

٢ ــ مصنف عبدالرزاق ج ٣ ص ٢٦٧.

٣ ــ مصنف عبدالرزاق ج ٣ ص ٢١٠ ــ ٢١١ وقال في هامشه: أخرج أبوداود عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً ما في معناه و فيه: الثالث رجل حضرها فهو رجل دعا الله إن شاء اعطاه و ان شاء منعه انتهى.

٤ ــ مصنف عبدالرزاق ج ٣ ص ٢٦٧. وكنزالعمال ج ٧. الحديث (٣٤٠٤) ومثله (٣٥٤٣) وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٣٤٩ وبهذا المعنى مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٧١.

٥ ــ كنزالعمال ج ٧ ص ٥٣٣ ومسلم ج ٢ ص ٨ و كشف الاستار ج ١ ص ٣٠٣. ومستدرك الحاكم ج ١ ص ٢٧٧ و ٢٨١ و ٢٨٢ وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٣٦٢ والمنتقى ج ١ ص ١١ وسنن البيهقي ج ٣ ص ٢٢٧.

٦ ــ سنن البيهقي ج ٣ ص ٢٤٤.

٦ ــ اخبرنا ابوبكر احمدبن اسحاق الفقيه انبأ علي بن عبدالعزيز ثنا الحجاج بن المنهال ثنا حماد ابن سلمة عن محمد بن اسحاق عن محمد بن ابراهيم عن ابي هريرة وابي سعيد أن رسول الله (ص) قال: من غسل يوم الجمعة واستاك ولبس احسن ثيابه وتطيب بطيب إن وجده ثم جاء ولم يتخط الناس فصلى ماشاء الله أن يصلي فإذا خرج الامام سكت فذلك كفارة الى كفارة الى الجمعة الاخرى[1].

٧ ــ عن أبي هريرة: من اغتسل يوم الجمعة واستاك ومس من طيب إن كان عنده ولبس من احسن ثيابه.... حتى يقول: كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة التي قبلها. قال (الراوي): وكان ابوهريرة يقول: ثلاثة أيام زيادة ان الله جعل الحسنة بعشر امثالها[2].

٨ ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقلم أظفاره و يقص شاربه يوم الجمعة قبل أن يخرج[3] الى الصلاة.

٩ ــ عن عائشة قالت: قال رسول الله (ص): من قلم اظفاره يوم الجمعة وقي من السوء الى مثلها[4].

باب غسل يوم الجمعة

ماورد عن طريق اهل البيت (ع):

١ ــ قال الصادق (ع): غسل يوم الجمعة طهور وكفارة لما بينها من الذنوب من الجمعة الى الجمعة[5]

علي بن ابراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن حريز عن زرارة قال: قال ابوجعفر (ع): لا تدع الغسل يوم الجمعة فإنه سنة، وشم الطيب والبس صالح ثيابك وليكن فراغك من الغسل قبل الزوال فإذا زالت فقم وعليك السكينة والوقار، وقال: الغسل واجب يوم الجمعة[6].

٢ ــ الصادق (ع): لايترك غسل يوم الجمعة إلا فاسق ومن فاته فليقضه يوم السبت[7].

٣ ــ عن محمدبن علي (ع) قال: لا تدع الغسل يوم الجمعة فإنه من السنة.وليكن غسلك قبل الزوال[8].

---

١ ــ المستدرك ج ١ ص ٢٨٣. وقال صحيح على شرط مسلم. احمد ج ٣ ص ٨١. منحة المعبود مثله ج ١ ص ١٤٢ وروى عن سلمان مثله.

٢ ــ عن أحمد ج ٣ ص ٨١ ومنحة المعبود مثله ج ١ ص ١٤٢. وروى عن سلمان مثله و رواه المستدرك ج ١ ص ٢٨٣ و اسنده الى ابي هريرة و ابي سعيد و بهذه المعاني احاديث متعددة.

٣ ــ كشف الاستار ج ١ ص ٢٩٩ عن أبي هريرة.

٤ ــ مجمع الزوائد ج ٣ ص ١٧١.

٥ ــ الفقيه ج ١ ص ٦٢/٦١ و البحار ج ٨٩ ص ٣٥١ و ٣٥٢ عن جمال الاسبوع بهذا الاسناد و باسناد آخر بتغيير بسيط في المتن.

٦ ــ فروع الكافي ج ٣ ص ٤١٧.

٧ ــ البحار ج ٨٩ ص ٣٥٦.

٨ ــ البحار ج ٨٩ ص ٣٦٥ عن الدعائم.

٤ ــ عن علي بن ابراهيم، عن محمد بن عيسى عن يونس بن عبدالرحمن عن هشام بن الحكم قال: قال ابوعبدالله (ع): **ليتزين احدكم يوم الجمعة ويغتسل ويتطيب ويسرح لحيته ويلبس انظف ثيابه وليتهيأ للجمعة... الحديث**[1].

٥ ــ محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن صفوان بن يحيى عن منصور بن حازم عن أبي عبدالله (ع) قال: **الغسل يوم الجمعة على الرجال والنساء في الحضر وعلى الرجال في السفر**[2].

٦ ــ **اخبرنا محمد حدثني موسى حدثنا ابي عن ابيه عن جده جعفر بن محمد (ع) قال: كان عليٌّ يقول: ما أحب لأحد أن يدع الغسل يوم الجمعة إلا من عذر او لعلة ما نعة**[3].

٧ ــ عبدالله بن جعفر في (قرب الاسناد) عن أحمد بن اسحاق. عن بكر بن محمد. عن الصادق (ع) عن آبائه (ع) قال: قال امير المؤمنين (ع): **الناس في الجمعة على ثلاثة منازل رجل أتى الجمعة قبل أن يخرج شهدها بإنصات وسكون فإن ذلك كفارة لذنوبه من الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام لقول الله عزوجل: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» ورجل شهدها بلغط وقلق فذلك حظه ورجل أتاها والإمام يخطب فقام يصلي فقد خالف، وهو يسأل الله عزوجل إن شاء أعطاه وإن شاء حرمه.**

ورواه الصدوق (في المجالس) عن أحمد بن هارون الفامي، عن محمد بن جعفر بن بطة عن احمد بن اسحاق وعن أحمد بن هارون الفامي، عن أحمد بن اسحاق مثله[4].

قال النبي (ص): **من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب امرأته إن كان لها وليس من صالح ثيابه ثم لم يتخط رقاب الناس ولم يلغ عند الموعظة كان كفارة لما بينها ومن لغى وتخطى رقاب الناس كانت له ظهراً**[5].

ماورد عن طريق اهل السنة:

١ ــ حدثنا علي قال حدثنا حرمي بن عمارة قال حدثنا شعبة عن أبي بكر بن المنكدر قال حدثني عمرو بن سليم الانصاري قال أشهد على ابي سعيد قال أشهد على رسول الله (ص) قال: **الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم وان يستن وأن يمس طيباً إن وجد**[6].

٢ ــ حدثنا عمرو بن سواد العامري حدثنا عبدالله بن وهب اخبرنا عمرو بن الحارث ان سعيد بن أبي هلال وبكير بن الاشج حدثاه عن أبي بكر بن المنكدر عن عمرو بن سليم عن عبدالرحمن بن أبي سعيد الخدري عن ابيه أن رسول الله (ص) قال: **الغسل يوم الجمعة على كل محتلم والسواك ويمس من الطيب ما قدر**

---

١ ــ الوسائل ج ٣ ص ٧٨ والكافي ج ٣ ص ٤١٧ وعن الصدوق في الفقيه ج ١ ص ٦٢ مرسلاً.

٢ ــ الكافي ج ٣ ص ٤١٧.

٣ ــ الجعفريات ص ٤٥.

٤ ــ الوسائل ج ٣ ص ٩٣ ــ وعن قرب الاسناد ص ١٧. المجالس ص ــ ٢٢٣ ــ والبحار ج ٨٩ ص ١٨٩.

٥ ــ البحار ج ٨٩ ص ٢١٢ عن الشهيد الثاني في رسالة الجمعة وراجع البحار ج ٨٩ ص ٢١٢.

٦ ــ البخاري كتاب الجمعة ص (١٠٤) كنز العمال ج ٧ حديث (٣٥٦٦) واحمد ج ٣ ص ٣٠ و ٦٩ عن أبي سعيد وهذا الحديث رواه من علماء اهل البيت في البحار ج ٨٩ ص ٣٥٨ عن الشهيد الثاني والمستدرك للوسائل ج ١ ص ٤١٤ عن الشهيد الثاني ايضاً. ورواه ايضاً من طرق السنة ايضاً البيقي ج ٣ ص ٢٤٢.

عليه، وقال: **ولو من طيب المرأة**. بتغيير بسيط عن بكير بن الاشج[1].

٣ ــ روى البخاري قال حدثنا آدم قال حدثنا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري قال أخبرني أبي عن أبي وديعة عن سلمان الفارسي قال: قال النبي (ص): **لا يغتسل رجل يوم الجمعة وينظهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه او يمس من طيب بيته ثم يخرج فلايفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الامام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى**[2]. وهذا الحديث رواه الشهيد الثاني. نقله عنه البحار ج ٨٩ ص ٣٥٨.

٤ ــ حدثنا ابواليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال طاوس قلت لابن عباس ذكروا أن النبي (ص) قال: **اغتسلوا يوم الجمعة واغسلوا رؤوسكم وإن لم تكونوا جنباً واطيبوا من الطيب قال ابن عباس...** الحديث[3].

٥ ــ حدثنا الحميدي قال: ثنا سفيان، قال ثنا صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم**[4].

٦ ــ حدثنا الحميدي قال: ثنا سفيان قال ثنا يحيى بن سعيد مالا أحصي عن عمره عن عائشة قالت: **كان الناس (اي عمال الناس) فكانوا يروحون بهيأتهم يوم الجمعة فقيل لهم لو اغتسلتم**[5].

٧ ــ حدثنا الحميدي قال: ثنا سفيان قال: ثنا الزهري عن سالم بن عبدالله عن ابيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول: **من جاء منكم الجمعة فليغتسل.**[6]

وقد تقدمت أحاديث تفيد هذا الباب في باب الجمعة كفارة فراجع.

٨ ــ حدثنا عبدالله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر أن رسول الله (ص) قال: **من أتى الجمعة فليغتسل**[7].

٩ ــ حدثنا عبدالله بن يوسف قال اخبرنا مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي

---

١ ــ مسلم ج ٢ ص ٣ ومثله كنزالعمال ج ٧ ح (٣٥٦٧) وراجع رقم (٣٥٥١) و(٣٦٠١) والنسائي ج ٣ ص ٩٢ و٩٧ و ابن حبان عن ابي سعيد نقله كنزالعمال ورواه البيهقي ج ٢ ص ٢٤٢ ومستدرك الحاكم ج ١ ص ٢٨١.

٢ ــ البخاري كتاب الجمعة ص ١٠٤ و١٠٧ والبيهقي ج ٣ ص ٢٤٢ وص ٢٤٣ باسناده عن أبي سعيد وابي هريرة معاً و مثله المستدرك للحاكم ج ١ ص ٢٧٧. مصابيح السنة للبغوي ج ١ ص ١٨ ومجمع الزوائد ج ٢ ص ١٧٤.

٣ ــ البخاري كتاب الجمعة ص ١٠٤ والبيهقي باسناده الى ابي ايمان ج ٣ ص ٢٤٢ وقال رواه مسلم.

٤ ــ مسند الحميدي ج ٢ ص ٣٢٣ واخرجه البخاري ج ٢ ص ٢٤٤.

٥ ــ مسند الحميدي ج ١ ص ٩٣ ــ ٩٤ ــ واخرجه البخاري ج ٢ ص ٢٦٤ من طريق ابن المبارك عن يحيى بن سعيد.

٦ ــ مسند الحميدي ج ٢ ص ٢٧٦.

٧ ــ البخاري ج ١ ص ١٠٣ و١٠٥ كتاب الجمعة كنزالعمال ج ٧ حديث (٣٥٥٣) والنسائي ج ٣ ص ١٠٩ و٩٣ ونقله في كنزالعمال عن مسند احمد وابن ماجه عن عمر وصحيح مسلم ج ٢ ص ٣ و ٢ ومنحة المعبود ج ١ ص ١٤٢ وسنن الدارمي ج ١ ص (٣٦١) وابن ماجة ج ١ ص ٣٤٦ ومجمع الزوائد ج ٢ ص ١٧٣.

سعيد الخدري أن رسول الله (ص) قال: غسل الجمعة واجب على كل محتلم[1].

١٠ ــ اغتسلوا يوم الجمعة فإنه من اغتسل يوم الجمعة فله كفارة مابين الجمعة الى الجمعة وزيادة ثلاثة ايام[2].

١١ ــ حدثنا اسحاق بن ابراهيم اخبرنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعي قال حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني ابوسلمة بن عبدالرحمن حدثني ابوهريرة قال بينا عمر بن الخطاب يخطب... الى أن قال ألم تسمعوا رسول الله يقول: إذا جاء احدكم الجمعة فليغتسل[3].

باب الساعة المرجوة:

ماورد عن طريق اهل البيت (ع):

١ ــ عن احمد بن محمد عن النضر عن عبدالله بن سنان عن ابي عبدالله (ع) قال: الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة مابين فراغ الامام من الخطبة الى أن يستوي الناس في الصفوف وساعة أخرى من آخر النهار الى غروب الشمس[4].

٢ ــ عن محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن ابن أبي نصر عن معاوية بن عمار قال قلت لأبي عبدالله (ع): الساعة التي في يوم الجمعة التي لايدعو فيها مؤمن إلا استجيب له قال: نعم إذا خرج الامام قلت إن الامام يعجل و يؤخر قال إذا زاغت الشمس[5].

٣ ــ العياشي عن زرارة ومحمد بن مسلم انهما سألا اباجعفر (ع) عن قول الله «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى» قال: صلاة الظهر وفيها فرض الله الجمعة وفيها الساعة التي لايوافقها عبد مسلم فيسأل خيراً إلا اعطاه اياه[6].

---

١ ــ البخاري ص (١٠٤) كتاب الجمعة و١٠٧ عن ابن عمرو أبي سعيد و كنزالعمال ج ٧ ص (٣٥٥٦) مالك من شرح الزرقاني ج ١ ص ٣١٢ و النسائي ج ٣ ص ٩٣ و نقله كنزالعمال عن احمد و ابن ماجة عن أبي سعيد و راجع سنن الدارمي ج ١ ص ٣٦٠ و مسلم ج ٢ ص ٢ باسناده عن مالك عن صفوان و ابن ماجة ج ١ ص ٣٤٦.

٢ ــ كنزالعمال ج ٧ حديث (٢٥٥٨).

٣ ــ صحيح مسلم ج ٢ ص ٢ و ٣ و البخاري ج ١ ص ١٠٣ و ١٠٤ و كنزالعمال ج ٧ حديث (٣٥٤٨) و (٣٥٤٩) عن ابن عساكر عن ابن عمر و موطأ مالك في شرح الزرقاني ج ١ ص ٣١٥ و منحة المعبود ج ١ ص ١٤٣ و كشف الاستار ج ١ ص ٣٠٠ و ٣٠١ و الدارمي ج ١ ص ٣٦١.

٤ ــ الكافي ج ٣ ص ٤١٤ والوسائل ج ٣ ص ٤٦ و البحار ج ٨٩ ص ٢١٧ نقله عن مصباح المتهجد و مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤١٣ عن كتاب العروس.

٥ ــ الوسائل ج ٣ ص ٤٦ و الكافي ج ٣ ص ٤١٦ و البحار ج ٨٩ ص ٢٨٤ و مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤١٣ عن كتاب العروس و عن التهذيب ج ٣ ص ٤.

٦ ــ البحار ج ٨٩ ص ١٩٥ وفي هامشه عن العياشي ج ١ ص ١٢٧.

٤ ــ الحديث... وفيه ساعة لايوافقها من يدعوالله فيها بخير إلا استجاب الله له ولا... الحديث[1] وفي هذا المعنى رواية اخرى بإضافة أنها من حين نزول الشمس الى حين ينادى بالصلاة[2].

٥ ــ عن احمد بن الحسن القطان عن عبدالرحمن بن محمد بن حماد عن يحيى بن حكيم عن ابي قتيبة عن الأصبغ بن زيد عن سعد بن رافع عن زيد بن علي عن آبائه عن فاطمة بنت النبي (ص) قالت سمعت النبي (ص) يقول: **إن في الجمعة لساعة لايوافقها رجل مسلم يسأل الله عزوجل فيها خيراً إلا اعطاه اياه. قالت فقلت يا رسول الله اي ساعة هي قال (ص): اذا تدلى نصف عين الشمس للغروب**[3].

ماورد عن طرق اهل السنة:

١ ــ حدثنا عبدالرحمن بن سلام الجمحي حدثنا الربيع يعني ابن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال: **إن في الجمعة لساعة لايوافقها مسلم يسأل فيها خيراً إلا اعطاه اياه قال: وهي ساعة خفيفة**[4].

٢ ــ وحدثني ابوالطاهر وعلي بن خشرم قالا اخبرنا ابن وهب عن مخرمة بن بكير. وحدثنا هارون بن سعيد الآيلي واحمد بن عيسى قالا حدثنا ابن وهب. اخبرنا مخرمة عن ابيه عن ابي بردة بن أبي موسى الاشعري قال: قال لي عبدالله بن عمر اسمعت اباك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في شأن ساعة الجمعة قال: قلت نعم، سمعته يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: **هي مابين أن يجلس الامام الى أن تقضى الصلاة**[5].

٣ ــ أخبرنا ابوالنضر محمدبن محمد الفقيه ثنا عثمان بن سعيد الدارمي ثنا احمدبن صالح ثنا ابن وهب اخبرني عمرو بن الحارث أن الخلاج بن كثير اخبره أن اباسلمة بن عبدالرحمن حدثه عن جابر بن عبدالله عن رسول الله (ص) أنه قال: **الجمعة ثنتا عشرة ساعة ولايوجد عبد مسلم يسأل الله شيئاً إلا اتاه الله**

---

١ ــ البحار ج ٨٩ ص ٢٩٣ عن مجمع البيان.

٢ ــ البحار ج ٨٩ ص ٢٧٩ ومستدرك الوسائل ج ١ ص ٤١٣ و ص ٤١٨ نقله عن الشيخ ابي الفتوح.

٣ ــ البحار ج ٨٩ ص ٢٦٩: نقله عن معاني الأخبار و عن دلائل الامامة وفي الوسائل ج ٣ ص ٦٩ عن معاني الأخبار ايضاً و بنفس السند إلا أنه قال سعيد عوضاً عن سعد.

٤ ــ مسلم ج ٢ ص ٥ و مثله ص ٦. باسانيد مختلفة عن أبي هريرة و البخاري ج ١ ص ١٠٩ بزيادة: و هوقائم يصلي. و كذا النسائي ج ٣ ص ١١٥ بزيادة تفسيرها بأنها حين تقام الصلاة الى الانصراف منها و مثله في الترمذي ج ٢ ص ٢٦١. و الام ج ١ ص ١٨٥ وسنن أبي داوود ج ١ ص ٢٧٤ و مصابيح السنة للبغوي ج ١ ص ٦٧ و منحة المعبود ج ١ ص ١٣٩ و ١٤٠ و مثله بمجمع الزوائد ج ٢ ص ١٦٣ و ١٦٦ و ١٦٧ وفي كشف الاستار باسناده عن علي (ع) مثله ج ١ ص ٢٩٧ و مثله المستدرك للحاكم ج ١ ص ٢٧٨ و المنتقى ج ٢ ص ١٤ وفيه ص ١٦ باسناده الى أبي هريرة و ابي سعيد كلاهما و نقله عن أحمد و هوج ٣ ص ٣٩ و ٦٥ و أبي داود عن جابر بزيادتها بعد العصر ج ١ ص ٢٧٥ و بهذه الزيادة في مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٦٥ و المستدرك ج ١ ص ٢٧٩ و المنتقى ج ١ ص ١٦ و نقله عن النسائي و ابي داوود و كشف الاستار ج ١ ص ٣٠٣ وبهذا المعنى عن الدارمي ج ١ ص ٣٦٠ وفيه ايضاً رواية بهذا المعنى و بزيادة أنها حين تقام الصلاة الى الانصراف منها.

٥ ــ مسلم ج ٢ ص ٦ و ابي داوود ج ١ ص ٢٧٦ و المنتقى باسناده الى ابي موسى ج ٢ ص ١٤ و نقله عن مسلم و ابي داوود و كذا رواه ص ١٥ باسناده عن عوف المزني.

فالتمسوها آخر الساعة بعد العصر[1].

وهذه الروايه نقلها مستدرك الوسائل عن ابن ابي جمهور في درر اللئالي ج ١ ص ٤١٣.

من مات يوم الجمعة

ماورد عن طريق اهل البيت (ع):

١ ــ الصدوق باسناده عن الأصبغ بن نباته عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: ليلة الجمعة ليلة غراء و يومها أزهر، ومن مات ليلة الجمعة كتب له براءة من ضغطة القبر و من مات يوم الجمعة كتب له براءة من النار[2].

٢ ــ عن محمد بن الحسن بن الوليد عن سعيد بن عبدالله عن أحمد بن أبي عبدالله البرقي عن ابن ابي نجران والحسين بن سعيد عن حماد عن حريز عن أبان بن تغلب عن الصادق (ع) قال: من مات يوم مابين زوال الشمس يوم الخميس الى زوال الشمس من يوم الجمعة اعاذه الله من ضغطة القبر[3].

٣ ــ قال ابوجعفر (ع) بلغني أن النبي (ص) قال: من مات يوم الجمعة اوليلة الجمعة رفع عنه عذاب القبر[4]. وفي الباب احاديث متعدده فراجع.

٤ ــ عن أبي جعفر (ع): ليلة الجمعة غراء ويومها ازهر وما من مؤمن مات ليلة الجمعة إلا كتب له براءة من عذاب القبر وان مات في يومها اعتق من النار ولابأس بالصلاة يوم الجمعة كله لأنه لا تسعر فيه النار[5].

ماورد عن طريق اهل السنة

١ ــ ما من مسلم يموت يوم الجمعة اوليلة الجمعة إلا وقاه الله تعالى فتنة القبر[6].

٢ ــ من مات يوم الجمعة أوليلة الجمعة عوفي من عذاب القبر وجرى له عمله[7].

٣ ــ من مات يوم الجمعة أوليلة الجمعة اجير من عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء[8].

---

١ ــ المستدرك للحاكم ج ١ ص ٢٧٩. وقال هو صحيح. والترمذي عن أنس بهذا المعنى ج ٢ ص ٣٦٠ وراجع النسائي ج ٣ ص ١١٥ ومن اراد التوسع فليراجع مصاد ساعة الإجابة يوم الجمعة فقد نقلها في مفتاح كنوز السنة في باب الجمعة و المنتقى ج ٢ ص ١٦ نقله عن النسائي و ابي داود و روى مثله عن أبي هريرة ونقله عن احمد و بهذا المعنى عن أنس في مصابيح السنة للبغوي ج ١ ص ٦٧.

٢ ــ الوسائل ج ٣ ص ٦٥ وفي هامشه عن الفقيه ج ١ ص ١٣٨. وعن المفيد في المقنعة ص ٢٥.

٣ ــ البحار ج ٨٩ ص ٢٦٥ و ٢٧١ نقله عن مجالس الصدوق وعن المحاسن وعن ثواب الاعمال.

٤ ــ البحار ج ٨٩ ص ٢٧١ نقله عن المحاسن.

٥ ــ البحار ج ٨٩ ص ٢٧٩ وفي هامشه عن دعائم الاسلام ج ١ ص ٤١٨ وراجع مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤١٧ عن الجعفريات.

٦ ــ كنزالعمال ج ٧ حديث (٣٣٦١) ونقل في الهامش عن احمد والترمذي عن ابن عمر.

٧ ــ كنزالعمال ج ٧ حديث (٣٣٩٩) عن الشيرازي في الالقاب عن ابن عمر.

٨ ــ كنزالعمال ج ٧ الحديث رقم (٣٤٠٠) و حلية ابن نعيم عن جابر.

٤ ــ عبدالرزاق عن ابن جريج عن رجل عن ابن شهاب أن النبي (ص) قال: **من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة برئ من فتنة القبر وقال وفي فتنة القبر وكتب شهيداً** [1].

و عن عبدالرزاق عن ابن جريج عن رجل عن المطلب بن عبدالله بن حنطب عن النبي (ص) مثله وكذا عن عبدالرزاق عن ابن جريج عن ربيعة بن سيف عن عبدالله بن عمرو عن النبي (ص) مثله.

باب: التبكير الى الجمعة

ماورد عن طريق اهل البيت (ع):

١ ــ محمدبن يعقوب عن محمدبن يحيى عن احمدبن محمد عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد عن عبدالله بن سنان عن حفص بن البختري عن محمدبن مسلم عن ابي جعفر (ع) قال: **إذا كان يوم الجمعة نزل الملائكة المقربون معهم قراطيس من فضة وأقلام من ذهب فيجلسون على ابواب المساجد على كراسي من نور فيكتبون الناس على منازلهم الاول والثاني حتى يخرج الامام. فإذا خرج طووا صحفهم، ولا يعطون في شيء من الأيام إلا يوم الجمعة يعني الملائكة المقربين** [2].

٢ ــ عن الباقر (ع) قال: **يجلس الملائكة يوم الجمعة على باب المسجد فيكتبون الناس على قدر منازلهم الاول والثاني حتى يخرج الامام** [3].

٣ ــ عن النبي (ص) أنه قال: **إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المسجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فإذا جلس الامام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر** [4].

ماورد من طرق اهل السنة:

١ ــ و حدثني ابوالطاهر وحرملة وعمرو بن سوّاد العامري قال ابوالطاهر حدثنا وقال الآخران أخبرنا ابن وهب اخبرني يونس عن ابي شهاب اخبرني ابوعبدالله الاغرأنه سمع ابا هريرة يقول قال رسول الله (ص): **إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المسجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فإذا جلس الامام طوواصحفهم وجاءوا يستمعون الذكر... الحديث** [5].

٢ ــ واخبرنا ابوعبدالله الحافظ انبأ ابوعبدالله محمدبن يعقوب ثنا جعفر بن محمد بن الحسين ومحمد ابن حجاج الوراق قالا ثنا يحيى بن يحيى انبأ سفيان بن عيينة فذكره بنحوه (حديث سابق) إلا أنه قال أن النبي (ص) قال: **ويكتبون الناس على منازلهم الاول فالاول فإذا جلس الامام طووا الصحف واستمعوا الخطبة ثم**

---

١ ــ مصنف عبدالرزاق ج ٣ ص (٢٦٩).

٢ ــ الوسائل ج ٣ ص ٤٢. و الكافي ج ٣ ص ٤١٣. الفقيه ج ١ ص ٢٧٤.

٣ ــ البحار ج ٨٩ ص ٢١٣.

٤ ــ مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤١٣ عن الشهيد في الإكمال.

٥ ــ مسلم ج ٢ ص ٧ وراجع النسائي ج ٣ ص ٩٨ والام ج ١ ص ١٧٣ و كنزالعمال ج ٧ حديث رقم ٣٣٧٠ و ٣٥٠١ في الأصل والهامش عن احمد و الطبراني و ابي يعلى و الضياء و عن مسلم و البخاري. ومجمع الزوائد ج ٢ ص ١٧٧.

ذكر المهجر بمعناه. ونقله عن مسلم باسناده الى يحيى بن يحيى[1].

٣ ــ اخبرنا ابو عبدالله اسحاق بن محمد بن يوسف السوسي انبأ ابوجعفر محمدبن محمدبن عبدالله البغدادي ثنا اسماعيل بن اسحاق القاضي ثنا حجاج بن المنهال ثنا همام انبأ مطر عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده أن رسول الله (ص) قال: **تقعد الملائكه على ابواب المسجد يوم الجمعة يكتبون مجيء الناس حتى يخرج الامام فإذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام قال فتقول الملائكه بعضهم لبعض ما حبس فلاناً وما حبس فلانا قال فتقول الملائكة اللهم إن كان مريضاً فاشفه وإن كان ضالاً فاهده وإن كان عائلا فاغنه**[2].

باب وقت الجمعة

ماورد عن طريق اهل البيت (ع):

١ ــ عدة الداعي قال الباقر (ع): **اول وقت يوم الجمعة ساعة نزول الشمس الى أن تمضي ساعة تحافظ عليها فإن رسول الله (ص) قال: لايسأل الله تعالى فيها خيراً إلا اعطاه الله تعالى**[3].

أقول: و هذه الرواية تنفع في باب (الساعة المرجوة).

٢ ــ عن محمد حدثني موسى حدثني أبي عن ابيه عن جده جعفر بن محمد عن ابيه (ع) قال سألت جابر بن عبدالله كيف كان رسول الله (ص) يصلي الجمعة قال: كنا نصلي مع رسول الله (ص) ثم يروح فنروح بنواضحنا[4].

٣ ــ علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس بن عبدالرحمن عن عبدالله بن سنان قال: قال ابوعبدالله (ع): إذا زالت الشمس يوم الجمعة فابدأ بالمكتوبة[5].

٤ ــ عن جعفر بن احمد عن العمركي عن العبيدي، عن يونس. عن علي بن جعفر عن أبي ابراهيم (ع) قال: **لكل صلاة وقتان وقت يوم الجمعة زوال الشمس**[6].

٥ ــ عن جعفر بن محمد عن آبائه (ع) قال: **قال علي (ع) تصلي الجمعة وقت الزوال**[7].

٦ ــ البصائر للصفار عن احمد بن محمد عن محمد بن اسماعيل عن علي ابن النعمان عن ابن مسكان عن عبد الاعلى بن اعين عن أبي عبدالله (ع) قال: **إن من الاشياء اشياء ضيقة وليس تجري إلا على وجه**

---

١ ــ سنن البيهقي ج ٣ ص ٢٢٦ وكذا عن سفيان بن عيينة عن ابي هريرة في ابن ماجة ج ١ ص ٣٤٧ و مثله مصابيح السنة للبغوي ج ١ ص ٦٨.

٢ ــ سنن البيهقي ج ٣ ص ٢٢٦. وراجع النسائي ج ٣ ص ٩٨ عن ابي هريرة والأم للشافعي ج ١ ص ١٧٣. و كنزالعمال ج ٧ حديث (٣٥٠١) و نقله في هامشه عن البخاري و مسلم.

٣ ــ البحار ج ٨٩ ص ٢٠٠ و نقله في الهامش عن عدة الداعي ص ٢٨.

٤ ــ الجعفريات ص ٤٤.

٥ ــ الكافي ج ٣ ص ٤٢٠.

٦ ــ البحار ج ٨٩ ص ١٧٠. وفي الهامش عن العياشي ج ١ ص ٢٧٤.

٧ ــ البحار ج ٨٩ ص ١٧٠ وفي الهامش عن دعائم الاسلام ج ١ ص ١٤٠.

واحد منها وقت الجمعة ليس لوقتها إلاحد واحد حين نزول الشمس... الحديث[1].

ماورد عن طريق اهل السنة:

١ ــ حدثنا ابوبكر بن أبي شيبة و اسحاق بن ابراهيم قال ابوبكر حدثنا يحيى بن آدم حدثنا حسن بن عياش عن جعفر بن محمد عن ابيه (ع) عن جابر بن عبدالله قال: **كنا نصلي مع رسول الله (ص) ثم نرجع فنريح نواضحنا قال حسن فقلت لجعفر (ع) في اي ساعة تلك قال زوال الشمس**[2].

٢ ــ حدثنا سريج بن النعمان قال حدثنا فليح بن سليمان عن عثمان بن عبدالرحمٰن بن عثمان التيمي عن أنس بن مالك رضي الله عنهما: **أن النبي (ص) كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس**[3].

باب: في عقاب ترك الجمعة

ماورد عن طريق اهل البيت (ع):

١ ــ محمدبن محمدبن النعمان قال: قال الصادق: **من ترك الجمعة ثلاثاً من غير علة طبع الله على قلبه**[4].

٢ ــ روى الشهيد في (رسالة الجمعة) قال: قال (ع): **من ترك ثلاث جمع متعمداً من غير علة طبع الله على قلبه بخاتم النفاق**[5].

٣ ــ محمدبن يعقوب (عن محمدبن يحيى، عن احمد بن محمد) عن الحسين بن سعيد عن النضر، عن عاصم، عن أبي بصير، ومحمد بن مسلم جميعاً، عن أبي جعفر (ع): **من ترك الجمعة ثلاث جمع متوالية طبع الله على قلبه**[6].

ورواه البرقي (في المحاسن) عن أبيه عن النضر بن سويد عن عاصم بن حميد مثله[7].

٤ ــ قال الشهيد الثاني: وقال (ع): **لينتهين اقوام من ودعهم الجمعات اوليختمن على قلوبهم ثم ليكونن**

---

١ ــ البحار ج ٨٩ ص ١٧١ وفي الهامش عن البصائر ص (٣٢٨) في حديث.

٢ ــ صحيح مسلم ج ٢ ص ٨ ونقله مسلم باسناد آخر عن جعفر (ع) عن ابيه (ع) وروي أيضاً مثله عن أبي سلمة ابن الاكوع فراجع صحيح مسلم ج ٢ ص ٩ ونصب الراية ج ٢ ص ١٩٥.

٣ ــ البخاري كتاب الجمعة ص ١٠٦ واحمد ج ٣ ص ١٢٨ عن أنس ومثله ص ١٥٠ و ص ٢٢٨ و عن الاوسط للطبراني من حديث جابر ص ١٣٤ كما في هامش نصب الراية ج ٣ ص ١٩٥ ونقل ايضاً عن ابي داوود عن انس مثله ج ١ ص ٢٨٤ و مثله في منحة المعبود ج ١ ص ١٤١.

٤ ــ الوسائل ج ٣ ص ٦ ونقل في الهامش عن القنعة ص ٢٧.

٥ ــ الوسائل ج ٣ ص ٦ وفي الهامش عن رسالة الجمعة ص ٥٥.

٦ ــ الوسائل ج ٣ ص ٥. التهذيب ج ١ ص ٣٢١.

٧ ــ المحاسن ص ٨٥.

من الغافلين [1].

٥ ــ (عقاب الأعمال) عن محمد بن الحسن الصفار، عن محمد بن عيسى بن عبيد عن النضر ابن سويد عن عاصم بن حميد، عن أبي بصير ومحمد بن مسلم قالا سمعنا ابا جعفر محمد بن علي (ع) يقول: **من ترك الجمعة ثلاثاً متواليات بغير علة طبع الله على قلبه** [2].

٦ ــ وقال (ع): **من ترك الجماعة رغبة عنها وعن جماعة المؤمنين من غير علة فلا صلاة له** [3].

٧ ــ قال الشهيد الثاني في (رسالة الجمعة) قال النبي (ص) في خطبة طويلة نقلها المخالف والمؤالف: **إن الله تعالى فرض عليكم الجمعة فمن تركها في حياتي او بعد موتي استخفافا بها اوجحوداً لها فلا جمع الله شمله ولا بارك له في امره ألا ولا صلاة ألا ولا زكاة له ألا ولا حج له ألا ولا صوم له ألا ولا بر له حتى يتوب** [4].

٨ ــ عقاب الأعمال عن الصفار عن يعقوب بن يزيد عن حماد بن عيسى عن حريز وفضيل عن زرارة عن أبي جعفر (ع) قال: **صلاة الجمعة فريضة والاجتماع اليها فريضة مع الإمام فإن ترك رجل من غير علة ثلاث جمع فقد ترك ثلاث فرائض ولا يدع ثلاث فرائض من غير علة إلا منافق** [5].

٩ ــ المعتبر. قال النبي (ص): **إن الله كتب عليكم الجمعة فريضة واجبة الى يوم القيامة** [6].

ماورد عن طريق اهل السنة:

١ ــ حدثني الحسن بن علي الحلواني حدثنا ابو توبة حدثنا معاوية وهو ابن سلام عن زيد يعني اخاه أنه سمع ابا سلام قال حدثني الحكم بن ميناء أن عبدالله بن عمرو ابا هريرة حدثاه أنهما سمعا رسول الله (ص) يقول على اعواد منبره: **لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين** [7].

٢ ــ حدثنا ابوبكر احمد بن اسحاق الفقيه أنبا ابوالمثنى ثنا يحيى بن سعيد عن محمد بن عمرو قال حدثني عبيدة ابن سفيان الحضرمي عن ابي الجعد الضمري وكانت له صحبة أن رسول الله (ص) قال: من

---

١ ــ الوسائل ج ٣ ص ٦ وفي هامشه عن رسالة الجمعة ص ٥٥.

٢ ــ الوسائل ج ٣ ص ٤ ــ عقاب الاعمال ص ١٩ ونقل البحار ج ٨٩ ص ١٨٣ عن اصل قديم مرفوعاً عن علي (ع): من ترك الجمعة ثلاثاً متتابعة لغير علة كتب منافقاً: ونقله في ص ١٩٢ عن عقاب الاعمال والمحاسن.

٣ ــ الوسائل ج ٣ ص ٤ وعقاب الاعمال ص ١٩.

٤ ــ الوسائل ج ٣ ص ٧ وفي هامشه عن رسالة الجمعة ص ٩١.

٥ ــ الوسائل ج ٣ ص ٤ وفي هامشه عقاب الاعمال ص ١٩.

٦ ــ البحار ج ٨٩ ص ١٦٥ وفي الهامش عن المعتبر ص ٢٠٠.

٧ ــ مسلم ج ٢ ص ١٠. والنسائي ج ٣ ص ٨٨ مثله ومنحة المعبود ج ١ ص ١٤١. كنزالعمال ج ٧ ص ٥١٦ نقله عن أحمد والنسائي عن ابن عباس وابن عمر. ونقل حديثاً آخر مثله ج ٧ ص ٥١٧ ونقل في الهامش عن ابن النجار عن ابن عمر ونقله عبدالرزاق في مصنفه ج ٣ ص ١٦٦ باسناده عن عبدالله بن ميناء، مصابيح السنة للبغوي ج ١ ص ٦٨.

ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه[1].

٣ ــ اخبرنا ابوالحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران العدل ببغداد انبأ ابو جعفر محمد بن عمرو ابن البختري ثنا محمد بن عبدالملك الدقيقي ثنا يزيد بن هارون انبأ فضيل بن مرزوق حدثني الوليد بن بكير ثنا عبدالله بن محمد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبدالله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على منبره يقول... الخطبة، حتى يقول... **واعلموا أن الله عزوجل قد فرض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة في مقامي هذا في شهري هذا في عامي هذا الى يوم القيامة من وجد اليها سبيلا فمن تركها في حياتي او بعدي جحودا بها واستخفافا بها وله امام عادل اوجائر فلا جمع الله له شمله الا ولابارك الله له في امره ألا ولا صلاة له ألا ولا وضوء له ألا ولا زكاة له ألا ولا حج له ألا ولا وتر له...** الخطبة.

وروي ذلك عن جابر وابي سعيد ايضاً[2].

٤ ــ من ترك الجمعة ثلاث مرات متواليات من غير ضرورة طبع الله على قلبه[3].

٥ ــ من ترك الجمعة من غير ضرورة كتب منافقاً في كتاب لا يمحى ولا يبدل[4].

وروى ابن عساكر عن أبي هريرة: من ترك الجمعة ثلاثاً من غير علة طبع الله على قلبه.

٦ ــ من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير علة ولا مرض ولا عذر طبع الله على قلبه[5].

---

١ ــ المستدرك ج ١ ص ٢٨٠ و ٢٩٢. وقال حديث صحيح. ومثله البيهقي ج ٣ ص ١٧٢ واحمد ج ٣ ص ٤٢٥ و ٤٢٤ وكنزالعمال ج ٧ ص ٥١٨ و ٥١٦ ونقله في الهامش عن الشافعي و احمد و البارودي و النسائي و ابن ماجة و ابي يعلى و الطبراني و البغوي وجماعة. و ايضاً الترمذي ج ٢ ص ٣٧٣ و المنتقى ج ٢ ص ٧ و سنن ابي داود ج ١ ص ٢٧٧ والام للشافعي ج ٣ ص ٤٢٤ ومصابيح السنة للبغوي ج ١ ص ٦٨.

٢ ــ سنن البيهقي ج ٣ ص ١٧١، وكنزالعمال ج ٧ ص ٥١١ عن جابر و حديث ٣٤٠٧ عن ابي سعيد وعن الطيالسي و ابن ماجة ج ١ ص ٣٤٣ ومجمع الزوائد ج ٢ ص ١٦٩.

٣ ــ كنزالعمال ج ٧ ص ٥١٦ عن أحمد و المستدرك عن أبي قتادة واحمد و النسائي و ابن ماجة والمستدرك عن جابر.

٤ ــ الشافعي ج ١ ص ١٨٤ و كنزالعمال ج ٧ ص ٥١٨.

٥ ــ كنزالعمال ج ٧ ص ٥١٨ و نقله عن المحاملي في الأمالي و الخطيب و ابن عساكر جميعاً عن عائشة.

المكاسب المحرمة

نقدم في مايلي بحثاً مركزاً من خلال الابحاث الضخمة التي تفضل والقاها الامام الخميني خلال سنوات طوال على تلامذته العلماء فاثرى بها المدرسة الفقهية الاسلامية ايما إثراء... وقد آثرنا نشرها حسب التعبيرات العلمية التي طرحت بها. ادام الله عمر امامنا و حقق له ولأمة الاسلامية كل الأهداف الكبرى. ومن الجدير بالذكر ان هذا البحث قد القي حوالي ــ عام ١٣٨٠ هـ.

بحث فقهي معمق حول:

حرمة القمار

القسم الاول

القمار، حرام اجماعا، و كتاباً وسنةً، اذا كان اللعب بالآلات المعدة لذلك مع رهان، و هو المتيقن من عنوان القمار والميسر، في الكتاب والسنة ومعقد الاجماع؛ ولا فرق بين انواعه من النرد والشطرنج وغيرهما؛ حتى اللعب بالجوز والبيض، للصدق على اللعب بها عرفاً، ولو للتعارف بالمقامرة معها. ولوشك في الصدق فلاشبهة في إلحاقه به نصاً و فتوى.

إنّما الإشكال والكلام في صدق العنوانين على اللعب بالآلات بلا رهان، وعلى اللعب بغيرها برهان أوغيره، ولاينبغي الريب في عدم صدقها على الاخير، وان يظهر من بعضهم اطلاقها على مطلق المغالبة. لكنه خلاف المتبادر والمرتكز في الاذهان من القمار، وخلاف كلمات اللغويين فيه، وفي الميسر الذي هوأخص منه أو مساوق له، على مايأتي الاشارة اليه.

والظاهر عدم صدقها على ماقبله ايضا، لانّ القمار عرفا ليس مطلق المغالبة برهان، فلا يقال لمن جعل الرهان بازاء الغلبة في حسن الخط؛ أو تجويد قراءة القرآن، أو سرعة العدو أوالرمي

ونحوها. انه مقامر، ولا لفعلها انه قمار، والعرف لصدق شاهد عليه. و يؤيد ما ذكرناه بل يشهد عليه ماورد من جواز السبق و الرماية مع شرط الجعل عليه[1] مع اباء قوله تعالى: انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه[2] عن التخصيص و سيأتي ان الميسر هو مطلق القمار.

واما عدم صدق الميسر فكذلك بناء على انه القمار، واوضح منه بناء على التفسير الآتي. ولا يبعد عدم صدقها على اللعب بالآلات بلا رهان، كما تشهد به كلمات كثير من اللغويين، كصاحب القاموس، والمجمع، والمنجد، ومنتهى الارب، ومحكي لسان العرب، فانها طفحت بقيد الرهان.

في القاموس: قامره مقامرة و قماراً قمره، راهنه فغلبه، وفي المنجد قمر يقمر قمراً: راهن و لعب ق القمار، ثم قال قامره مقامرة و قماراً،راهنه ولاعبه في القمار الى ان قال: تقامر القوم،تراهنوا ولعبوا في القمار الى ان قال: القمار مصدر كل لعب يشترط فيه ان يأخذ الغالب من المغلوب شيئاً، سواء كان بالورق أو غيره، و في المجمع: القمار بالكسر: المقامرة وتقامروا، لعبوا بالقمار واللعب بالآلات المعدة له على اختلاف انواعها، نحو الشطرنج والنرد و غير ذلك، وأصل القمار الرهن على اللعب بالشيء من هذه الاشياء، و ربما اطلق على اللعب بالخاتم والجوز، و يظهر ذلك ايضا من المقنع[3] الذي هومتون الاخبار بشهادة الصدوق.

نعم يظهر من بعض اطلاقه على مطلق المغالبة، وهو غير ثابت و على فرض ثبوته اعم من الحقيقة، وان كان حقيقة فهو مخالف للعرف العام، وهو مقدم على غيره (تأمل) واما عبارة الصحاح فلم يظهر منها المخالفة لما قلناه، وكان ما حُكي عن ابن دريد مجملة، و يظهر منه انه يطلق على المغالبة في الفخر وهو على فرض صحته يأتي فيه ما تقدم آنفا فالانصاف ان اثبات صدقه على ما ذكر مشكل، ولااقل من الشك فيه، فلايمكن اثبات حرمة الثلاثة بالمطلقات على فرض وجود الاطلاق.

وكذا بما دلت على حرمة الميسر كالآية الكريمة وغيرها، فانه على ما يظهر من اللغويين بل من بعض الاخبار، أما عبارة عن الجزور التي كانوا يتقامرون عليها، أو عبارة عن اللعب بالقداح وهو لعب العرب، وعلى هذا التفسير اخص من القمار، سواء فسر باللعب بالآلات مطلقا، أو مع الرهان أم فسر بالمغالبة مطلقا، لان اللعب لايكون إلا بالرهان، ولا يبعد أنْ يكون كذلك على التفسير الاول لقوة احتمال ان يكون كناية عن التفسير الثاني.

وكيف كان لاتكون الصور الثلاث منطبقة عليه ولو مع الغاء الخصوصية عن لعب العرب بالازلام، لان غاية ما يمكن دعوى الغائها هو حيث الآلات لاحيث الرهان بل الاقرب ان الميسر مطلق القمار كما فسر به في بعض كتب اللغة كالمجمع والمنجد و بعض كتب الادب، وكذا بعض التفاسير كمجمع البيان، و حُكي عن ابن العباس وابن مسعود و مجاهد وقتادة والحسن[4] و يؤيده مقابلته للازلام التي قمار العرب وتشهد له الروايات.

كرواية جابر[5] عن ابي جعفر (ع) قال «لما انزل الله على رسوله:انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه.قيل: يا رسول الله ما الميسر، قال: كل ما تقومر به حتى الكعاب والجوز».

وعن تفسير العياشي[6] عن الرضا (ع) «قال سمعته يقول: الميسر هو القمار» وعنه (ع)[7] «ان الشطرنج والنرد واربعة عشر وكل ما قومر عليه منها فهو ميسر» وهو المناسب لمادة اليسر، ففي مجمع البيان[8]

اصله من اليسر خلاف العسر، وفي مجمع البحرين الميسر: القمار، وقيل: كل شيء يكون منه قمار فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز الذي يتقامرون به، و قال: و يقال سُمّيَ ميسراً لتيسر اخذ مال الغير فيه من غير تعب ومشقة.

فتحصل مما ذكر عدم استفادة حكم الصور الثلاث من الروايات و غيرها الواردة في حرمة القمار، والميسر، إلا ان يقال: ان حكم اللعب بالآلات بلارهان يستفاد من قوله تعالى: انما الخمر والميسر (الخ) بناء على ان المراد بالميسر فيها هو آلات القمار لا القمار، بقرينة كون المراد بالثلاثة الأخر المذكورة الذوات، و بقرينة حمل الرجس عليها، و هو يناسب الذوات لا الأفعال الا بتأول سواء اريد به النجس المعهود كما ادعى الاجماع عليه شيخ الطائفة في محكي التهذيب في مورد الآية وهو واضح، أم اريد الخبيث فانه ايضا يناسب الذوات: وحمله على اللعب و الشرب لايخلو من ركاكة.

وتشهد له جملة من الروايات كرواية جابر المتقدمة، ورواية محمّد بن عيسى[9] قال: كتب اليه ابراهيم بن عنبسة يعني إلى علي بن محمد (ع) «ان رأى سيدي ومولاي ان يخبرني عن قول الله عزّوجلّ يسألونك عن الخمر والميسر. جعلت فداك، فكتب: كل ما قومر به فهو الميسر».

وفي عدة روايات عُدّ النرد والشطرنج من الميسر[10] والحمل على اللعب بها خلاف الظاهر فحمل الرجس و عمل الشيطان في الآية المتقدمة على المذكورات باعتبار ذاتها، اذ كما يصح ان يقال: ان الخمر رجس خبيث يصح ان يقال: ان الشطرنج كذلك كما تشعر به الأمر بولوغ الكلب بالغسل يد المتلبس له. وكونها من عمل الشيطان باعتبار انها مصنوعة بيد الانسان باغرائه و وسوسته فيصح ان يقال ان ذات الخمر و الآلات الحاصلة باغرائه من عمله ولو بقرينة الروايات المتقدمة.

وتدل عليه رواية ابي الجارود[11] عن ابي جعفر (ع) فانه بعد بيان معنى المذكورات قال: «كل هذا بيعه وشرائه والانتفاع بشيء من هذا حرام من الله محرّم وهو رجس من عمل الشيطان».

فان الظاهر منها ان نفس المذكورات التي لايجوز بيعها رجس من عمل الشيطان، فعليه يكون الأمر بالاجتناب عن الآلات ذواتها مقتضى لحرمة الانتفاع بها انتفاعا مقصوداً متعارفا، ولا شبهة في ان اللعب بها للتقمر يعم والمغالبة من الانتفاعات المقصودة المتداولة، سيما لدى الامراء وخلفاء الجور. وليس الامر بالاجتناب مخصوصا باللعب برهان، بل اعم منه سيما مع كيفية تعبير الآية الكريمة بانه رجس من عمل الشيطان.

نعم ورد في بعض الروايات تفسير الميسر بالقمار. كرواية الوشاء[12] عن ابي الحسن (ع) قال سمعته يقول «الميسر هو القمار» وعن تفسير العياشي نحوها[13] وفي رواية ابي الجارود[14] عن ابي جعفر (ع) في قول الله تعالى: انما الخمر (الخ) «واما الميسر فالنرد والشطرنج وكل قمار ميسر».

فيمكن حمل الروايات المتقدمة على بيان المراد من الآية كما يظهر منها، والروايتين المتقدمتين آنفا على تفسير الميسر مطلقا لا المراد بالآية، واما الاخيرة فيحتمل فيها ان يكون المراد بكل قمار كل آلة له بقرينة النرد والشطرنج، كما يحتمل ان يكون المراد بها بقرينة كل قمار اللعب بها ففيها اجمال.

بل يمكن ان يقال ان الروايات في تفسير الميسر على طوائف:

منها مادلت على انه الآلات كالروايات المتقدمة.

ومنها ما دلت على انه الرهن، كصحيحة محمد بن خلاد[15] عن ابي الحسن (ع) قال «النرد والشطرنج والاربعة عشر بمنزلة واحدة وكل ما قومر عليه فهو ميسر». ورواية العياشي في محكي تفسيره عن ياسر الخادم[16] عن ابي الحسن الرضا (ع) قال سألته عن الميسر قال: «التفل من كل شيء قال: والتفل ما يخرج بين المتراهنين من الدرهم وغيره» وضبط التفل مختلف في الوسائل،ففي مورد بالتاء والفاء،وفي مورد بالشاء المثلثة والقاف، وفي مورد بالنون والعين ولم يظهر معنى مناسب في اللغة لما فسر في الرواية ومن المحتمل ان يكون بالنون والفاء محركة بمعنى الغنيمة فيكون ما بين المتراهنين نفل و غنيمة.

ومنها مادلت على انه الآلات والرهن جميعا عن تفسير العياشي[17] عن الرضا (ع) قال سمعته يقول «ان الشطرنج والنرد واربعة عشر وكل ما قومر عليه منها فهو ميسر». فان الظاهر منه ان الشطرنج وتاليه ذاتها ميسر وكل ما قومر عليه ايضا ميسر، وما قومر عليه هوالرهن، وارجاع احد المعطوف والمعطوف عليه الى الآخر بان يقال: ان المراد بالشطرنج وتاليه رهانها أو ان المراد بما قومر عليه ما قومر به: خلاف الظاهر سيما الاول منها.

فيمكن ان تجعل الرواية شاهدة جمع لساير الروايات بان يقال: ان المراد بالتفاسير المذكورة التفسير بالمصاديق، و يكون الميسر في الآية جميع المذكورات من آلاته، والعمل والرهن ولو باستعمال اللفظ في اكثر من معنى مع قرينية الروايات أو استعماله في جامع انتزاعي أو ارادة المعاني ونو بنحو من الكناية كما في غيره من الموارد الكثيرة الواردة في الكتاب العزيز المفسرة بالروايات، وعليه ايضا يصح الاستدلال بالآية الكريمة على حرمة اللعب بالآلات بلا رهن بمثل ما تقدم.

واما ما عن امير المؤمنين (ع) انه قال «كل ما الهى عن ذكر الله فهو من الميسر»[18] فلا بد من تأو يله، أو تقييده؛ أو رد علمه اليه، مع انه ضعيف سنداً.

ثم ان ما ذكرناه من استفادة الحكم من الآية الكريمة لاينا في ذيلها بتوهم ان ما يوجب الوقوع في البغضاء والعداوة،القمار برهن لا مطلق اللعب بالآلات للتفريح ونحوه، وذلك مضافا الى ان التنافس في الغلبة على الخصم ليس باقلّ من التنافس في تحصيل الاموال التي تجعل رهنا سيما عند ارباب التنزه والمترفين.وعليه يوجب ذلك الوقوع فيها: ان الوقوع فيها ليس علة للحكم، ضرورة حرمة الخمر والميسر برهن مطلقا، سواء حصل منها العداوة والبغضاء ام لا، كما لايحرم مطلق ما يوقع فيها، فالوقوع فيها احيانا و معرضيتها لذلك نكتة الجعل، ولا ريب في حصوله باللعب بلا رهن.

مضافا الى ان مفاد الآية: ان الشيطان يريد ان يوقعها بينكم، لا ان السر وقوعها، ولايجب وقوع مراده دائما بل يكفي كونها في معرض ذلك، ولاشبهة في ان اللعب بلا رهان في معرض ذلك، و يكون آلة وشبكة للشيطان لايقاع فساد، ولو كان في الآية نوع كناية أو استعارة لايفترق ايضا بين اللعب برهن و غيره. والانصاف ان استفادة الحكم من الآية ليست بعيدة.

ويمكن الاستدلال على المطلوب بروايات:

منها رواية ابي الجارود[19] عن ابي جعفر (ع) في قول الله: انما الخمر والميسر (الخ) وفيها «اما الميسر فالنرد والشطرنج وكل قمار ميسر» ثم عدّ الانصاب والازلام فقال: «كل هذا بيعه وشرائه والانتفاع بشيء من هذا حرام من الله محرّم وهو رجس من عمل الشيطان» (الخ).

يتقرر يب ان المراد من الميسر في الآية ان كان

الآلات أو الأعم منها كما تشهد به الرواية فقد مرت دلالتها على المطلوب، وان كان المعنى المصدري وكان التقدير في الخمر وغيرها مايناسبها كالشرب والعبادة: يكون المراد بالنرد والشطرنج في الرواية ايضا اللعب بها، و يكون عطف كل قمار عليها عطف العام على الخاص بقرينية كونها مفسرة للميسر، فعلى هذا يراد بقوله كل هذا بيعه وشرائه (الخ): الخمر وآلات القمار والانصاب والازلام فكأنه قال: شرب الخمر واللعب بآلات القمار وعبادة الانصاب حرام، و بيع المذكورات والانتفاع بها حرام، فيكون المراد منها بقرينة المحمول: متعلقات الموضوعات فتدل على حرمة الانتفاع بآلات القمار، سواء الشطرنج وغيره. والانتفاع المتعارف المطلوب من تلك الآلات بما هي آلات يعم اللعب للتنزه والتفريح بلا رهن.

واما ما افاد شيخنا الانصاري[20] من الشاهدين على ان المراد بالقمار ليس المعنى المصدري (فغير وجيه) سيما مع بنائه في غير المورد على ان المقدر في كل من المذكورات ما يناسبها، اذ مع استظهار ذلك من الآية لامحيص عن حمل الشطرنج والنرد على اللعب بها وارجاعها الى عنوان القمار لا العكس، ومع الغض عنه لايكون الشطرنج والنرد قرينة على ان المراد بكل قمار آلاته، لاحتمال ان يراد بها نفسها، و بكل قمار عنوان القمار اي المعنى المصدري فيكون المنظور اثبات شمول الآية للآلات وللقمار.

وعليه وان يمكن الاستدلال بالآية ببركة الرواية لكن لابطريق افادة، بل باطلاق الاجتناب المأمور به، واما قوله كل هذا بيعه وشرائه (الخ) لايدل على مارامه لان المشار اليه بهذا: مايصح بيعه من المذكورات اي الخمر والشطرنج والنرد ونحوها والانصاب والازلام، من غير احتياج الى ارتكاب خلاف الظاهر اي حمل القمار الظاهر في المعنى المصدري على الآلات. سيما ان ارادة الآلة من القمار لاتخلو من بعد بخلاف ارادتها من الميسر. والانصاف ان التمسك بها لايحتاج الى ذلك التكلف، بل على احتمال يكون للآية الدلالة عليه وعلى احتمال للرواية.

ومنها موثقة زرارة[21] عن ابي عبدالله (ع) «انه سأل عن الشطرنج ولعبة شبيب التي يقال لها لعبة الامير، وعن لعبة الثلث فقال: ارأيتك اذا ميز الله الحق والباطل مع ايها نكون، قال: مع الباطل، قال: فلا خير فيه» فان لاخير فيه وان لم يدل لوخلا ونفسه على التحريم، لكن مقتضى اطلاق الشطرنج وغيره شموله للعب برهان، ولا شبهة في حرمته، فيكون ذلك قرينة على انه كناية عن حرمة الارتكاب وجعله كناية عن معنى اعم بعيد جداً. ولا شبهة في ان ذكر المذكور فيها من قبيل المثال.

نعم لولا لعبة الامير ومابعدها يمكن دعوى الخصوصية في الشطرنج لكثرة الروايات في خصوصه وتشديد الامر فيه، لكن مع ذكر غيره لا يبقى مجال لتوهم الخصوصية فتدل على حرمة اللعب بكل آلة، ومقتضى اطلاقها عدم الفرق بين جعل الرهن وعدمه ودعوى الانصراف غير مسموعة سيما مع تداول المغالبة بلا رهن في عصر الصدور بين الخلفاء واتباعهم، بل لايبعد ان يكون كثير من الاسئلة مربوطة باللعب بلا رهن حيث كان محل الخلاف بين فقهاء غير الامامية.

فعن الشافعية[22] حلية اللعب بالشطرنج، وعن الحنابلة[23] يكره اللعب به وعن الشافعي[24] هو مكروه وليس بمحظور، ولا ترد شهادة اللاعب به الا ما كان فيه قمار وعنه[25] ان النرد مكروه وليس بمحظور لايفسق فاعله، والخلاف انما هو مع اللعب

بها بلا رهن والآ فالقمار حرام عند الجميع.

ثم على ما ذكر يشكل استفادة الحرمة من الرواية و كذا الرواية الآتية إلا ان يقال: ان كون محط نظر السائل ماذكر لايوجب عدم الاطلاق فلايجوز رفع اليد عن اطلاقها.

ومنها حسنة الفضيل بن يسار[٢٦] قال: «سألت ابا جعفر (ع) عن هذه الاشياء التي يلعب بها الناس والنرد والشطرنج حتى انتهيت الى الكبر، فقال: اذا ميز الله بين الحق والباطل مع ايها تكون، قلت مع الباطل قال فالك والباطل». بتقريب تقدم في الرواية السابقة.

ومنها رواية تحف العقول[٢٧] قال في ذيلها: «وذلك انما حرم الله الصناعة التي حرام هي كلها التي يجيء منه الفساد محضاً نظير البرابط والمزامير والشطرنج وكل ملهو به والصلبان والاصنام وما اشبه ذلك من صناعات الاشربة الحرام وما يكون منه وفيه الفساد محضا ولا يكون فيه ولا منه شيء من وجوه الصلاح: فحرام تعليمه وتعلمه والعمل به واخذ الاجر عليه وجميع التقلب فيه من جميع وجوه الحركات كلها الآ ان تكون صناعة» (الخ).

فانه عدالشطرنج وكل ملهوّ به اي ساير آلات القمار مما يجيء منه الفساد محضا، فلا يصح القول ان في اللعب بها للتفريج صلاحا، وهو يؤيد ما في صدرها من تفسير الصلاح بما فيه قيام الناس كالمأكول والملبوس لامطلق مافيه غرض كالتفريج والتفرج.

وتدل على المطلوب فقرة اخرى منها و هي قوله: «وكذلك كل مبيع ملهوّ به وكل منهي عنه مما يتقرب به لغير الله، أو يقوى به الكفر والشرك من جميع وجوه المعاصي أو باب من الأبواب يقوى به باب من ابواب الضلالة أو باب من ابواب الباطل أو باب يوهن به الحق فهو حرام محرم بيعه وشرائه وامساكه وملكه وهبته وعاريته وجميع التقلب فيه الآ في حال تدعو الضرورة فيه الى ذلك»، ضرورة ان آلات القمار اوضح مصاديق الملهو به الذي يقوي باب من ابواب الباطل و يوهن به الحق، واللعب بها ولوبلا رهن من مصاديق التقلب فيها، فلا اشكال في دلالتها لولا الخدشة في سندها.

ويمكن الاستدلال للعموم بروايات واردة في الشطرنج والنرد بضميمة مادلت على التسوية بينها و بين غيرهما.

كمرسلة ابن ابي عمير[٢٨] عن ابي عبدالله (ع) في قول الله عزوجل: فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور، «قال: الرجس من الاوثان هو الشطرنج وقول الزور الغناء» ونحوها رواية زيدالشحام[٢٩]. ودلالتها لا تقصر عن دلالة رواية ابي الربيع الشامي[٣٠] عن ابي عبدالله (ع) «قال سئل عن الشطرنج والنرد فقال: لا تقربوهما»، ولاشبهة في اطلاقها للعب بلا رهن.

ورواية الحسين بن عمر بن يزيد[٣١] عنه (ع) وليس في سندها الاسهل الذي امره سهل ومحمّد بن عيسى الذي لايبعد وثاقته «قال: يغفرالله في شهر رمضان إلا لثلاثة: صاحب مسكر أو صاحب شاهين أو مشاحن» ونحوها رواية عمر بن يزيد الصيقل[٣٢] مع تفسير الشاهين بالشطرنج. ولفظ الصاحب وان يشعر أو يدل على نحو ادمان، لكن لاشبهة في صدقه على المقيم على اللعب بلارهن والظاهر اطلاقها له.

وموثقة مسعدة[٣٣] عن ابي عبدالله (ع) «انه سئل عن الشطرنج فقال دعوا المجوسية لاهلها لعنها الله».

وموثقة السكوني[٣٤] عنه (ع) «قال نهى رسول الله (ص) عن اللعب بالشطرنج والنرد» ونحوها رواية المناهي[٣٥] عنه (ص).

ورواية ابي بصير عن مستطرفات السرائر[٣٦] عن

ابي عبدالله (ع): «قال: بيع الشطرنج حرام واكل ثمنه سحت واتخاذها كفر واللعب بها شرك، والسلام على اللاهي بها معصية وكبيرة موبقة، والخائض فيها بده كالخائض بده في لحم الخنزير لا صلاة له حتى يغسل يده كما يغسلها من مس لحم الخنزير والناظر اليها كالناظر في فرج امه، واللاهي بها والناظر اليها في حال مايلهى بها، والسلام على اللاهي بها في حالته تلك في الاثم سواء» (الخ).

والانصاف ان الخدشة في دلالة الروايات وفي اطلاقها في غير محلها.

نعم هي لا تدل على حرمة اللعب بمطلق الآلات لاحتمال خصوصية في النرد والشطرنج كما يظهر من التأكيدات الواردة فيها، سيما الشطرنج لكن يمكن الاستدلال على المطلوب بعموم المنزلة في صحيحة معمر بن خلاد[37] عن ابي الحسن (ع) «قال: النرد والشطرنج والاربعة عشر بمنزلة واحدة، وكل ما قومر عليه فهو ميسر». والظاهر انه بصدد نفي الخصوصية عن آلة خاصة كالنرد والشطرنج والحاق سايرالآلات بها، هذا كله حال اللعب بالآلات المعدة للقمار.

واما اللعب بغيرها مع رهن، فقد حكي عن جمع حرمته تكليفا وعن بعض[38] دعوى الاجماع أوعدم الخلاف فيه، لكن الاعتداد بها لايجوز بعد تراكم الادلة واحتمال تشبثهم بها، بل من المحتمل ان يكون نقله من الاجتهاد في كلمات القوم واستظهار الحرمة تكليفا منها مع ارادة كلهم او بعضهم الوضعية، فلا اعتداد بنقل الاجماع و عدم الخلاف، كما لا اعتداد بدعوى صدق القمار عرفا على مطلق اللعب برهن لما قلنا من الجزم بعدم صدقه على المغالب في الخط والقراءة والعدو ونحوها، وكلمات اللغويين مختلفة، فربما يظهر من اطلاق بعضهم كصاحب القاموس ومنتهى الارب ويحكي لسان العرب انه مطلق المغالبة برهن، لكن صريح مجمع البحرين و ظاهر المنجد ان للآلات المعهودة دخالة في الصدق، ولا يبعد استظهار الدخالة من غيرهما كصاحب الصحاح و اقرب الموارد، كما لا يبعد دعوى عدم الاطلاق في عبارة القاموس و ما يمثلها، فلا يمكن استفادة صدقه على ما ذكر من كلماتهم لولم نقل بالعكس.

(كما ان دعوى) استفادة كونه قماراً موضوعا من بعض الروايات مثل ما فسرت الميسر بكل ما تقومر به حتى الكعاب والجوز، او قومر عليه، بدعوى ان المراد التغالب به او عليه و من رواية اسحق بن عمار[39] قال: قلت لابي عبدالله (ع) «الصبيان يلعبون بالجوز والبيض و يقامرون، قال لا تأكل منه فانه حرام» حيث عدّهما من القمار مع عدم كونها آلة له، و برواية العلاء بن سيابة[1] عنه (ع) وفيها «وكان يقول: ان الملائكة تحضر الرهان في الخف والحافر والريش وماسوى ذلك فهو قمار حرام): (ليست وجيهة).

لان عدّ اللعب بالجوز والبيض من القمار لعله لاجل تصارف اتخاذهما آلة للقمار». واين هذا مما لايكون كذلك، مع ان الاطلاق اعم. (ودعوى) ارادة مطلق المغالبة من قوله كل ما قومر عليه او به كما ترى (فانها بلا بينة) واطلاقه احيانا على مطلق المغالبة او على المغالبة في التفاخر كما يظهر من بعض اللغويين لايوجب حمل الاخبار عليه، مع ان الظاهر من الجوهري في الصحاح ان المستعمل في غلبة التفاخر: من قمر يقمر بضم الميم، وفي المغالبة في اللعب بكسرها، ورواية اسحٰق لا تدل الاّ على استعماله وهو اعم، ورواية ابن سيابة على خلاف المطلوب ادل، لان الظاهر منها ان السابقة في المذكورات ليست قماراً وانّ غيرها قمار حرام مع انّ

الصدق في جميعها سواء، فلا محالة تحمل الرواية على الالحاق الحكمي، وتنزيل غير القمار منزلته.

واحتمال ان يكون المراد ان غير المذكورات قمار حرام وهي قمار غير حرام (بعيد جداً) مع ما عرفت من اباء الآية الكريمة من التخصيص مضافا الى ان الاستعمال اعمّ. والانصاف ان الاستدلال للحكم بصدق عنواني القمار والميسر عليه في غيرمحله.

(كما ان الاستدلال له) بالآية الكريمة اي قوله انما الخمر والميسر (الخ) تارة بان يقال: ان عطف الازلام على الميسر ظاهر في كونه عنوانا مقابلا له فيكون الاستقسام بالازلام محرما لا بعنوان القمار وبالغاء الخصوصية منها عرفا يستفاد الحكم في مطلق استنقاذ المال باللعب، فان الظاهر المتفاهم منه ان كون الازلام رجسا من عمل الشيطان ليس لخصوصية في القداح ولا في عددها ولا في الجزور التي كانوا يقتسمونها، بل لاستنقاذ المال بوجه غير مستقيم كالتجارة ونحوها بتوسط الازلام ونحوها، واخرى بقوله: انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء[41] بدعوى ان مايوجب ذلك يكون من عمل الشيطان ويجب الاجتناب عنه (غيروجيه).

لان استظهار مغايرة اللعب بالازلام مع القمار بمجرد العطف مع عدماللغويين الازلام قمار العرب: غير صحيح، وتخصيصه بالذكر لعله لاجل التعارف بينهم، لا لأشدية حرمته من غيرها حتى يقال: ان الشطرنج كأنه اشد كما يظهر من التأكيد والتشديد في امره والغاء الخصوصية وان يمكن بالنسبة الى بعض الآلات كتبديل الازلام بالاوراق ونحوها، لكن بالنسبة الى مطلق اللعب برهن: غير ممكن كالقراءة والخط والمصارعة ونحوها. وقد مرّ ان ذيل الآية ليس تعليلا حتى يدل على حكم غير المورد.

نعم لايبعد جواز الاستدلال على المطلوب بقوله تعالى: لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض[42] بان يقال انه بعدمعلومية ان قوله: لا تأكلوا كناية: يحتمل ان يكون كناية عن مطلق التصرفات فيكون المراد لا تتصرفوا في الاموال الحاصلة بالباطل الا ماحصل بتجارة عن تراض، ويحتمل ان يكون كناية عن تحصيل الاموال بالباطل فيكون النهي متعلقا على سبب تحصيلها فيكون المعنى،لايجوز تحصيل المال بالاسباب الباطلة كالقمار والبخس والسرقة ونحوها و يرجح هذا الاحتمال بالروايات الواردة في تفسيرها.

كصحيحة زياد بن عيسى[43] «قال: سألت ابا عبدالله (ع) عن قوله عزوجل ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل فقال: كانت قريش يقامر الرجل بأهله وماله فنهاهم الله عزّوجلّ عن ذلك». فان الظاهر منها ان الله تعالى نهاهم عن القمار بالمعنى المصدري لاعن التصرف في الأموال.

ونحوها رواية العياشي عن اسباط بن سالم[44] «قال: كنت عندابي عبدالله (ع) فجاء رجل فقال: اخبرني عن قول الله عزّوجلّ: يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل،قال يعني بذلك القمار» وقريب منها رواية محمّد بن عيسى المروية عن نوادر ابنه.[45]

واظهر منها رواية العياشي الأخرى عن محمّدبن علي[46] عن ابي عبدالله (ع) في قول الله عزّوجلّ: يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل، «قال: نهى عن القمار؛ وكانت قريش يقامر باهله وماله فنهاهم الله عن ذلك».

و يؤيده استثناء التجارة عن تراض فكأنه قال: لايجوز استنقاذ الاموال بشيء من الاسباب الباطلة، لكن لابد وان يكون بنحو التجارة عن

تراض، فاذا كان النهي متعلقا بالأسباب التي تحصل بها الأموال كالقمار والبخس والربا والسرقة كما فسرت بها ايضاً على ما حكي؛ و يكون المعنى لايجوز تحصيل المال بتلك الأمور: تدل الآية باطلاقها على حرمة كل لعب يكون فيه رهن، وكذا لو كان المذكور جزء مدلولها. واحتمال أنْ يكون النهي ارشاداً الى البطلان: غير وجيه؛ لانَّ ما تدخل في الآية غالباً لا تكون من قبيل المعاقدات التي تتصف بالصحة والبطلان فلايجوز رفع اليد عن ظاهر النهي الدال على التكليف.

والانصاف ان الاستدلال بالآية لايخلو من وجه وان لايخلو من مناقشة بان يقال: ان غاية ما يمكن اثبات دخوله في الآية القمار لورود روايات فيه يصح اسناد بعضها، فحينئذ يمكن ان يكون النهي عن الأكل كناية عن تحصيل المال باسباب كالقمار مقابل التجارة، لا كالسرقة والخيانة؛ فمع تعلق النهي بالتحصيل بالاسباب لايستفاد منه الحرمة التكليفية لظهوره في الارشاد الى البطلان و عدم السببية كساير الموارد من الاشباه و النظائر.

نعم لو قام دليل على دخول السرقة والظلم ونحوهما فيها لأمكن الاستدلال بها بما تقدم، مضافا الى امكان ان يقال: ان القمار الوارد في الاخبار المفسرة بمعنى الرهن، كما قيل: انه اصله، فعليه يمكن حفظ ظهور الآية في دلالتها على حرمة التصرف في الاموال الحاصلة بالباطل، بل لقائل ان ادخال القمار في الآية تعبدي لامفاد لها كتفسير الاوثان بالشطرنج، فلايجوز رفع اليد عن ظاهرها بدخول مصداق تعبدي فيها لايعلم كيفية ارادته ودخوله.

الهوامش :

١ ــ الوسائل ــ كتاب السبق والرماية ــ الباب ٣.
٢ ــ سورة المائدة ــ الآية ٩٢.
٣ ــ باب الملاهي.
٤ ــ راجع مجمع البيان ــ في تفسير قوله تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر الخ) سورة البقرة ــ الآية ٢١٨.
٥ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ٣٥ ــ من ابواب مايكتسب به ــ ضعيفة بعمرو بن شمر.
٦ و ٧ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ٣٥ ــ من ابواب ما يكتسب به هما مرسلتان.
٨ ــ في تفسير قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الخ) سورة المائدة الآية ٩٠.
٩ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ١٠٤ ــ من ابواب ما يكتسب به ــ مرسلة.
١٠ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ٣٥ ــ ١٠٢ ــ ١٠٤ ــ من ابواب مايكتسب به.
١١ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ١٠٢ ــ من ابواب ما يكتسب به ــ ضعيفة بابي الجارود.
١٢ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ٣٥ ــ من ابواب ما يكتسب به ــ صحيحة على الظاهر ــ في سندها سهل والامر فيه سهل.
١٣ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ١٠٤ ــ من ابواب ما يكتسب به ــ مرسلة.
١٤ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ١٠٢ ــ من ابواب ما يكتسب به ــ ضعيفة بابي الجارود.
١٥ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ١٠٤ ــ من ابواب ما يكتسب به.
١٦ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ٣٥ ــ ١٠٤ ــ من ابواب ما يكتسب به ــ مرسلة.
١٧ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ٣٥ ــ من ابواب ما يكتسب به ــ مرسلة.
١٨ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ١٠٠ ــ من ابواب ما يكتسب به ــ ضعيفة. ←

١٩ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ١٠٢ ــ من ابواب ما يكتسب به ــ ضعيفة بابي الجارود.

٢٠ ــ في المسألة الخامسة عشرة من النوع الرابع مما يحرم الاكتساب به ــ في القمار.

٢١ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ١٠٢ ــ من ابواب ما يكتسب به ــ موثقة بابن فضال وابن بكير.

٢٢ و ٢٣ ــ راجع ج ٢ ــ فقه المذاهب ص ٥١.

٢٤ ــ راجع الخلاف ــ كتاب الشهادات ــ مسألة ٥١.

٢٥ ــ اي عن الشافعي ــ راجع الخلاف ــ كتاب الشهادات ــ مسألة ٥٣.

٢٦ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ١٠٤ ــ من ابواب ما يكتسب به ــ حسنة بعبيد الله بن عاصم والهيثمي.

٢٧ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ٢ ــ من ابواب ما يكتسب به.

٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ١٠٢ ــ من ابواب ما يكتسب به ــ الثانية ضعيفة بدرست و الثالثة ضعيفة بخالد وابي الربيع الشامي والرابعة صحيحة على الاصح والخامسة ضعيفة بمحمد بن حكم وعمر بن يزيد.

٣٣ و ٣٤ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ١٠٢ ــ من ابواب ما يكتسب به ــ ان كانت مسعدة التي تكون في سند الرواية الاولى مسعدة بن زياد فهي صحيحة و ان كانت مسعدة بن صدقة فهي موثقة.

٣٥ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ١٠٤ ــ من ابواب ما يكتسب به ــ ضعيفة بشعيب بن واقد.

٣٦ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ١٠٣ ــ من ابواب ما يكتسب به ــ صحيحة ظاهراً.

٣٧ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ١٠٤ ــ من ابواب ما يكتسب به.

٣٨ ــ هو العلامة الطباطبائي في مصابيحه.

٣٩ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ٣٥ ــ من ابواب ما يكتسب به ــ موثقة على الظاهر.

٤٠ ــ الوسائل ــ كتاب السبق والرماية ــ الباب ٣ ــ ضعيفة بعلاء بن سيابة والظاهر ان محمد بن موسى الذي يكون في سندها هو محمد بن موسى السمان وهي ضعيفة به ايضاً.

٤١ ــ سورة المائدة ــ الآية ٩٣.

٤٢ ــ سورة النساء ــ الآية ٣٣.

٤٣ و ٤٤ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ٣٥ ــ من ابواب ما يكتسب به ــ الثانية مرسلة.

٤٥ و ٤٦ ــ الوسائل ــ كتاب التجارة ــ الباب ٣٥. من ابواب ما يكتسب به الاولى صحيحة على تأمل والثانية مرسلة.

فقه

الأنفال

آية الله العظمى الشيخ المنتظري

الفصل الثاني

وفي هذا الفصل، سنتطرق الى حكم الأنفال، وتملكها، والتصرف فيها ولاسيا في عصر الغيبة، ضمن مسائل:

المسألة الأولى: لايخفى ان المالك لجميع الأموال والأملاك أولاً و بالذات هو الله تعالى، فهو يملكنا ويملك جميع الأشياء والأموال بالملكية الحقيقية والواجدية التكوينية والإحاطة القيومية وهي بشراشر ذاتها وعمق وجوداتها تعلق الذات به تعالى.

هذه حقيقة الملكية، وأما ملكنا للأشياء فهو ملكية اعتبارية محضة، يعتبرها العقلاء و يعتبرها الشرع المقدس، في موضوعات خاصة وشروط مخصوصة.

ولعلّ أساس الملكية الإعتبارية ـ أيضاً ـ مرتبةٌ من الملكية التكوينية. فان نظام التشريع الصحيح هوالذي ينطبق على نظام التكوين، فالانسان. مالك لقواه، ولجهاز فاعليته، و بتبع ذلك لنفس فعله مالكية تكوينية في طول مالكية الله تعالى لكل شيء، و بتبع مالكيته تكويناً لأفعال نفسه، يملك محصول أفعاله، ونتائج أعماله؛ من إحياء الأراضي وحيازة المباحات، وآثار صنعه في الاشياء والمواد الأولية، فيملك الحياة والمحوز والمصنوع تبعاً، فيستفيد منها شخصاً أو يعامل عليها أو يهبها أو يورثها ورثته.

ولازم ذلك عدم مالكيته لما لم يقع تحت صنعه وفعله: كالبحار، والقفار، والآجام، والأودية،

والجبال، والمعادن ونحوها، بل وغنائم الحرب فهي لله تعالى، وقد جعلها في طول ذلك للرسول (ص). فالأنفال لله والرسول بمقتضى الكتاب والسنّة والإجماع، بل العقل، وجعلت بعد الرسول (ص) بمقتضى الأخبار الكثيرة المتواترة للإمام القائم مقامه يفعل فيها مايراه صلاحاً للإمامة والأمة، وقدمرّ كثير من الأخبار فراجع.

فما في خبر حريز، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبدالله ـ عليه السلام ـ يقول: **كل قرية يهلك أهلها أو يجلون عنها فهي نفل لله عزّوجلّ، نصفها يقسم بين الناس ونصفها لرسول الله (ص)، فما كان لرسول الله فهو للامام**[1]. ونحوه ما رواه العياشي عن حريز[2] ومن المحتمل اتحادهما وسقط محمد بن مسلم من الثاني، بجب تأويله بارادة القسمة تفضلاً أوحمله على التقية كما احتمله في الحدائق أو طرحه لمخالفتها للاخبار الكثيرة والاجماعات.

وحمل آية الأنفال على التشريك بين الله ورسوله فيصرف سهم الله في الناس ويختص بالرسول سهمه مخالف للاجماع والأخبار، مضافاً الى ما في خبر معاذ عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ قال: «**وما كان الله من حق فانما هولوليه**»[3].

والذي يسهّل الخطب هوماذكرناه مراراً من أنّ الفيء والأنفال ليست لشخص الإمام بل هي أموال عامة جعلت لمنصب الإمامة ولامحالة تصرف في مصالح الإمامة والأمة، فمصالح الأمة من مصارفها ولعلّ المراد بالنصف في الخبر بن شطر من المال لاخصوص النصف، نظير ماورد في آية الفيء من سورة (الحشر) حيث يذكر القرآن فيها: اليتامى والمساكين وابن السبيل، و بعدها فقراء المهاجرين. مع ان الفيء بمقتضى الأخبار والفتاوى كله للرسول و بعده للامام.

المسألة الثانية: لايجوز عقلاً وشرعاً، التصرف في مال الإمام من الخمس والأنفال إلاّباذنه، فانه مقتضى كون المال للغير وفي اختياره، ولو تصرف متصرف، كان غاصباً، ولو حصل له فائدة تابعة للملك، كانت للامام من غير فرق بين الحضور والغيبة، ولو ثبت منهم التحليل لشخص أو في عصر أو مطلقاً، كان اذناً منهم فيخرج موضوعاً.

وحينئذ فيقع البحث في انه ثبت التحليل في الخمس والأنفال مطلقاً أو في الغيبة أو في المناكح والمساكن والمتاجر أو في المناكح خاصة أوثبت في الأنفال وسهمه من الخمس دون سهم الأصناف الثلاثة أو لم يثبت اصلاً؟ وجوه بل أقوال.

وقبل الورود في البحث نقول: ان الخمس مالية وميزانية اسلامية عبّرعنه في رواية المحكم والمتشابه بوجه الإمارة، وقدشُرع لإدارة شؤون الإمامة والحكومة الإسلامية ومن شؤونها سدّ خلة السادة الذين هم من أغصان شجرة الرسالة.

والأنفال أموال عمومية خلقها الله تعالى للبشر وجعلها في اختيار الإمام ليستفيد منها على وجه العدل في مصالح الإمامة والأمة، ولاغنى للبشر في حياتهم منها بل يبتني عليها أساس حياتهم و بقائهم.

فلو قيل: بأن في عصر الغيبة لايجب على المسلمين تأسيس حكومة اسلامية مجر بة لأحكام الاسلام وحدوده، بل هوعصر الهرج والمرج وإنْ طال الزمان، والإسلام أهمل الناس فيه حتى يظهر الولي المنتظر ـ عجل الله تعالى في فرجه ـ فلامحالة كان على الأئمة ـ عليهم السلام ـ ان يحللوا الأنفال لجوامع البشر ولا أقل للمسلمين و بالأخص لشيعتهم إذ لايمكن بقاؤهم واعاشتهم بدونها. نعم لايصح تحليلهم لسهم السادة بعد ما حرموا من الزكاة وعوضهم الله عنها بالخمس.

وأما إذا قلنا بأن الاسلام الذي هوالدين الكامل والكافل لسعادة الدارين لايهمل الناس في الهرج والمرج ولوساعة، والحكومة لابدّ منها في إدامة الحياة واجراء أحكام الاسلام وحدوده في الأبواب

المختلفة وتأمين العدالة الاجتماعية، كما في نهج البلاغة: «وَإِنَّهُ لَابُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلْ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ» (الخطبة: ٤٠).

و في كتاب (سليم بن قيس الهلالي) عن علي ـ عليه السلام ـ:

«والواجب في حكم الله وحكم الاسلام على المسلمين بعد ما يموت إمامهم، أو يقتل ضالاً كان أو مهتدياً، مظلوماً كان أو ظالماً، حلال الدم أو حرام الدم، أن لايعملوا عملاً، ولايحدثوا حدثاً، ولايقدموا يداً ولا رجلاً، ولايبدأوا بشيء قبل أن يختاروا لأنفسهم؛ إماماً عفيفاً، عالماً، ورعاً، عارفاً بالقضاء والسنة، يجمع أمرهم، ويحكم بينهم، و يأخذ للمظلوم من الظالم، ويحفظ أطرافهم، ويجبي فيأهم، و يقيم حجهم وجمعتهم، ويجبي صدقاتهم...»[1].

فلا محالة يوجد في كل عصر ولو في عصر الغيبة من يصلح للحكومة ولإجراء أحكام الاسلام وحدوده، ويجب طاعته بعد تصديه، والقدر المتيقن منه؛ الفقيه العادل، الشجاع، المدبر، العارف بحوادث الزمان وحوائج الانسان، القادر على اجراء حدود الاسلام وأحكامه،

والأخبار الدالة على ولايته كثيرة مذكورة في محلها ومن جملتها ما في (تحف العقول) عن السبط الشهيد ـ سلام الله عليه ـ: «ذلك بأن مجاري الامور والأحكام على ايدي العلماء بالله الامناء على حلاله وحرامه»، وقال الله تبارك وتعالى: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»، وعن كتاب سليم بن قيس عن علي قال رسول الله «ص»: «ما ولت أمة قط أمرها رجلاً وفيهم أعلم منه ألم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتى يرجعوا الى ماتركوا»

كيف؟! وفقهاؤنا ـ رضوان الله عليهم ـ ذكروا أموراً سموها أموراً حسبية، وقالوا: انها أمور ضرورية لايجوز اهمالها كالتصرف في أموال اليتامى والغيّب والقصر فجعلوا الفقيه العادل القدر المتيقن ممن يجوز له التصرف في هذه الأمور فنقول: هل يكون اهمال مال الصبي أو السفيه أو الغائب مقطوع الفساد ولايكون اهمال الجوامع الاسلامية مقطوع الفساد فاهملوا مع الهرج والمرج وسلطة الطواغيت عليهم حتى يظهر صاحب الأمر(عج) وليس لنا بالنسبة الى ادارة شؤونهم وظيفة أصلاً؟!

فاذا ظهر لك لزوم تأسيس الحكومة الاسلامية بأيّ نحو أمكن والميسور منه لايترك بالمعسور ومالا يدرك كله لايترك كله، فلامحالة تحتاج هذه الحكومة الى الضرائب والميزانيات و تكون مرجعاً في النزاعات والاختلافات فيجب أنْ يجعل الخمس الذي هو وجه الامارة وكذا سائر الميزانيات الاسلامية في اختيارها ويجعل الأنفال التي هي أموال عامة تحت سلطتها لتستفيد منها في مصالح الحكومة والأمة. فان الملاك الذي أوجب جعلها في اختيار الامام ـ عليه السلام ـ في عصر ظهوره، يوجب جعلها في اختيار نوابه، وإلا لما تيسر له إدارة شؤون الحكومة واجراء العدالة الاجتماعية وقطع جذور الاختلاف والنزاع.

نعم، الأئمة الاثناعشر ـ سلام الله عليهم ـ كانوا معصومين، والنواب ليسوا بمعصومين، ولكن عمال الحكومة على وزان واحد فربما يعصون وربما يخطأون، ولكن وجود الحكومة الناقصة أولى من الهرج والمرج، ومالا يدرك كله لايترك كله.

فالأنفال محللة في عصر الغيبة للمسلمين أو لاتباعهم، ولكن للحكومة الحقة النظر فيها والتصدي لتقسيمها أو الإستنتاج منها بنفع الاسلام والمسلمين، ويجب لامحالة على الناس اطاعتها واجراء

أوامرها.

ما الفرق بين سهم الإمام الذي أفتوا بإيصاله الى الفقيه وبين الأنفال مع كون كليهما للامام لا لشخصه بل لمنصب إمامته وحكومته؟ فتدبر.

هذه خلاصة نظرنا في جميع الأنفال، وكذا جميع الميزانيات الاسلامية في عصر الغيبة.

والآن نذكر الأقوال فيما يرتبط بالأنفال. فعن (عوالي اللئالي) سئل الامام الصادق ـ عليه السلام ـ فقيل له يابن رسول الله ماحال شيعتكم فيماخصكم الله به إذا غاب غائبكم واستتر قائمكم؟ فقال(ع): **ما أنصفناهم ان آخذناهم ولاأحببناهم ان عاقبناهم بل تبيح لهم المساكن لتصح عباداتهم، وتبيح لهم المناكح لتطيب ولادتهم، وتبيح لهم المتاجر ليزكوا أموالهم**[٧].

وفي النهاية: «وأما في حال الغيبة، فقد رخصوا لشيعتهم التصرف في حقوقهم ممايتعلق بالأخماس وغيرها فيما لابدلهم منه من المناكح والمتاجر والمساكن، فأما ما عدا ذلك فلايجوز له التصرف فيه على حال» ونحو ذلك في المبسوط أيضاً.

وفي التهذيب: «أما الغنائم والمتاجر والمناكح ومايجري مجراها مما يجب للامام فيه الخمس فانهم ـ عليهم السلام ـ قدأباحوا لنا ذلك وسوغوا لنا التصرف فيه ... وأما أراضي الخراج وأراضي الأنفال والتي قد انجلى أهلها عنها فانّا قد أبحنا أيضاً التصرف فيها مادام الامام ـ عليه السلام ـ مستتراً فاذا ظهر يرى هو ـ عليه السلام ـ في ذلك رأيه».

وقال سلار في المراسم: «والأنفال له أيضاً، وهي كل أرض فتحت... فليس لأحد أن يتصرف في شيء من ذلك إلاّ باذنه، فمن تصرف فيه بإذنه فله أربعة أخماس المستفاد منها وللامام الخمس، وفي هذا الزمان فقد احلّونا ممايتصرف فيه من ذلك كرماً و فضلاً لنا خاصة». و ظاهر كلامه تحليل الأنفال لا الخمس كما لايخفى.

وفي السرائر: «وأما في حال الغيبة وزمانها... فقد رخصوا لشيعتهم التصرف في حقوقهم مما يتعلق بالأخماس وغيرها ممالابدلهم منه من المناكح والمتاجر والمساكن... فأما ماعدا الثلاثة فلايجوز التصرف فيه على حال».

وفي الشرائع: «يثبت اباحة المناكح والمساكن والمتاجر في حال الغيبة وان كان ذلك بأجمعه للامام أو بعضه ولايجب اخراج حصة الموجودين من أرباب الخمس منه».

وفي الجهاد منه «وماكان موات وقت الفتح فهو للامام خاصة ولايجوز إحياؤه إلاباذنه إنْ كان موجوداً... ويملكها المحيي عند عدمه من غير إذن».

وفي النافع قال بعد ذكر الأنفال: «لايجوز التصرف فيما يختص به مع وجوده إلا باذنه، وفي الغيبة لابأس بالمناكح، وألحق الشيخ المساكن والمتاجر».

وفي التذكرة «قد أباح الأئمة ـ عليهم السلام ـ لشيعتهم المناكح والمساكن والمتاجر حال ظهور الامام وغيبته لعدم امكان التخلص من المأثم بدون الاباحة وذلك من أعظم أنواع الحاجة».

وفي الجهاد منه: «الأرض الخربة والموات و رؤوس الجبال و بطون الأودية والآجام من الأنفال يختص بهاالامام، ليس لأحد التصرف فيها إلا باذنه حال ظهوره ويجوز للشيعة حال الغيبة التصرف فيها لأنهم أباحوا شيعتهم ذلك».

وفي المنتهى: «قد أباح الأئمة ـ عليهم السلام ـ لشيعتهم المناكح في حالتي ظهور الامام وغيبته وعليه علماؤنا أجمع... وألحق الشيخ المساكن والمتاجر».

وفي الجهاد منه: «قديبنا ان الأرض الخربة والموات و رؤوس الجبال و بطون الأودية والآجام من الأنفال يختص بهاالامام ليس لأحد التصرف فيها إلا باذنه إنْ كان ظاهراً، وإنْ كان غائباً، جاز للشيعة التصرف فيها بمجرد الإذن منهم

ـ عليهم السلام ـ».

ولا يخفى ان ما ذكرناه من العبارات بعضها يختص بالأنفال، و بعضها يعم الخمس والانفال معاً.

ولكن في المختلف عن أبي الصلاح ما حاصله: «و يلزم من تعين عليه شيء من أموال الأنفال ان يصنع فيه مابيناه من شطر الخمس لكون جميعها حقاً للامام، فان أخلّ المكلف بمايجب عليه من الخمس والأنفال كان عاصياً لله ـ سبحانه ـ ومستحقاً لعاجل اللعن وآجل العقاب، ولا رخصة في ذلك بما ورد من الحديث فيها، لأن فرض الخمس والأنفال ثابت بنص القرآن والإجماع من الأمة، ولإجماع آل محمد على ثبوته و كيفية استحقاقهم وحمله اليهم وقبضهم إياه ومدح مؤديه وذم المخلّ به، ولايجوز الرجوع عن هذا بشاذالاخبار». فهو ـ قدس سره ـ أنكر الرخصة في الخمس والأنفال مطلقاً.

وفي المقنعة: «وليس لأحد أن يعمل في شيء مما عددناه من الأنفال إلاّ باذن الامام العادل، فمن عمل فيها بإذنه فله أربعة أخماس المستفاد منها وللامام الخمس، ومن عمل فيها بغير إذنه فحكمه حكم العامل فيما لايملكه بغير إذن المالك من سائر المملوكات».

و فيها أيضاً: «والأنفال على ماقدمناه للامام خالصة، إنْ شاء قسّمها، وان شاء وهبها، وان شاء وقفها، ليس لأحد من الأمة نصيب فيها ولايستحقها من غير جهته».

وفي الدروس: «والأشبه، تعميم إباحة الأنفال حال الغيبة كالتصرف في الأرضين الموات والآجام ومايكون بها من معدن وشجر ونبات لفحوى رواية يونس والحرث، نعم لايباح الميراث إلا لفقراء بلد الميت».

وفي الروضة: «والمشهور أن هذه الأنفال مباحة حال الغيبة، فيصح التصرف في الأرض المذكورة بالإحياء وأخذ ما فيها من شجر وغيره نعم يختص ميراث من لا وارث له لفقراء بلد الميت وجيرانه للرواية، وقيل بالفقراء مطلقاً لضعف المخصص وهو قوي، وقيل مطلقاً كغيره».

وفي الحدائق: «ظاهر المشهور هنا هو تحليل ما يتعلق من الأنفال بالمناكح والمساكن والمتاجر خاصة، وانّ ماعدا ذلك يجري فيه الخلاف على نحو ما تقدم في الخمس وظاهر جملة من متأخري المتأخرين القول بالتحليل في الأنفال مطلقاً وهوالظاهر من الاخبار».

أقول: قد أطلنا الكلام بنقل الأقوال وحصل للقراء الكرام الملل، ولكن المسألة عامة البلوى، وقدمرّ منّا إجمالاً ان الأنفال أموال عامة خلقت لرفع حوائج البشر، غاية الأمر جعل اختيارها بيدالامام ليوزعها بالنحو الأصلح الأعدل فلا يتصور عدم تحليلهم(ع) في عصر الغيبة للمسلمين ولاأقل لاتباعهم المتمسكين بأذيالهم، ولاسيمابالنسبة الى الأراضي والمعادن والآجام المتوقف عليها حياة البشر وأصحابنا، وان خص أكثرهم التحليل بخصوص المناكح والمساكن والمتاجر، ولكن: لايظن بهم منع تحليل الأراضي والمعادن ونحوها.

والعجب من أبي الصلاح المنكر للتحليل مطلقاً بل والمفيد الغير المتعرض لتحليل الأراضي ونحوها، وأدلة تخميس المعدن واحياء الأراضي الميتة من أوضح الدلائل على التحليل، هذا مضافاً الى السيرة القطعية المستمرة من عصر الأئمة ـ عليهم السلام ـ على التصرف في الأنفال من غير ردع.

و في (الوسائل): بسند صحيح عن عمر بن يزيد قال: سمعت رجلاً من أهل الجبل يسأل أبا عبدالله ـ عليه السلام ـ عن رجل أخذ أرضاً مواتاً تركها أهلها فعمّرها وكرى أنهارها و بنى فيها بيوتاً وغرس فيها نخلاً وشجراً، قال: فقال أبو

عبدالله ــ عليه السلام ــ كان أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ يقول: من احيا أرضاً من المؤمنين فهي له وعليه طسقها يؤديه الى الامام في حال الهدنة فاذا ظهر القائم ــ عليه السلام ــ فليوطن نفسه على أن تؤخذ منه[9].

و يستفاد من الخبرين الشريفين تحليل الأراضي للشيعة وانه ليس بنحو التمليك وإلا لما اخذ الطسق ولما اخذت منه عند الظهور.

وعن يونس بن ظبيان، أوالمعلى بن خنيس قال: قلت لأبي عبدالله: مالكم من هذه الأرض؟ فتبسم ثم قال: **ان الله بعث جبرئيل وأمره ان يخرق بابهامه ثمانية أنهار في الأرض منها: سيحان وجيحان وهو نهر بلخ، والخشوع وهو نهر الشاش، ومهران وهو نهر الهند، ونيل مصر، ودجلة والفرات. فاسفت السماء أو استفت فهو لنا وما كان لنا فهو لشيعتنا وليس لعدونا منه شيء إلا ما غصب عليه، وان ولينا لفي أوسع فيما بين ذه الى ذه يعني بين السماء والأرض**، ثم تلا هذه الآية: «قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا (المغصوبين عليها) خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ» بلاغصب[10] الى غير ذلك من الأخبار الواردة في الأراضي ومضافاً الى التعليل بطيب الولادة الواردة في تحليل الخمس وغيره من حقوقهم التي يبتلى بها الشيعة و يعسر عليهم الاعاشة بدونها، ولاسيما في المنتقلة اليهم من قبل من لايعتقد بحقوقهم ــ عليهم السلام ــ وقد مرّ كثير منها في البحث عن خمس أرباح المكاسب فراجع.

المسألة الثالثة: في تقسيم الأرضين وحكمها إجمالاً على المشهور بين الأصحاب، فالأرض؛ أماموات، وأماعامرة، وكل منهماأما أن تكون كذلك بالأصالة، أو بالعرض فهذه أربعة أقسام.

فالموات بالأصالة من الأنفال فتكون ملكاً للامام كمامرّ وكذا العامر بالأصالة.

وأما الموات بالعرض، فان كانت العمارة السابقة أصلية أو من معمر و باد أهلها فهي أيضاً للامام، وان كانت من معمر ولم يبد فني بقائها على ملك معمرها أوخروجها عن ملكه أو يفصل بين ما كان الملك بغير الاحياء فالأول أو بالاحياء فالثاني؟ وجوه سيأتي تفصيلها.

وأما العامر بالعرض، فان كانت بنفسها فهي أيضاً للامام، وان كانت بالاحياء من معمر فهي له وملكها المحيي، وحينئذفان كان مسلماً فلا تخرج عن ملكه إلا بالمعاملات أوالميراث أوصيرورتها مواتاً على الاختلاف فيه، وكذا الذمي وان اختلفوا في مالكيته للقربة كيماياتي.

وان كان المالك لها كافراً محارباً فان أخذت منه بغير حرب و عنوة فهي للامام، وكذا إن صولح عليها على أن تكون للامام، وان صولح عليها على أن تكون ملكاً للمسلمين أو اغتنمت عنوة فهي للمسلمين بماهم مسلمون، وتكون في اختيار الامام يصرف حاصلها في مصالح المسلمين.

وقد مرّ منا انه لايوجد فرق أساسي بين كون الأرض للامام بما هو إمام، و بين كونها للمسلمين بماهم مسلمون، وانما الفرق بالإعتبار، فقد يعتبر المالك مقام الإمامة، وقديعتبر عنوان المسلمين، ولكن في كلاالقسمين يكون اختيارها بيدالامام وتصرف في مصالح المسلمين، ومصارف شخص الامام أيضاً من مصالح المسلمين، ولذلك ترى في رواية البزنطي وصفوان عن الرضا ــ عليه السلام ــ انه قال: **من أسلم طوعاً تركت أرضه في يده... ومالم يعمروه منها أخذه الامام فقبله ممن يعمره وكان للمسلمين... وما أخذ بالسيف فذلك الى الامام يقبله بالذي يرى كما صنع رسول الله (ص) بخيبر**، ونحوه ما في صحيحة البزنطي[15] فجعل فيها الموات للمسلمين وما اخذت عنوة بيدالامام.

المسألة الرابعة: قدمرّ ان الموات بالأصالة من الأرضين وكذا الخربة التي باد أهلها للامام وهو

بضم الميم وفتحها، و يسمّى أيضاً ـ ميتة وموتاناً ـ بفتح الميم والواو، والموتان بضم الميم وسكون الواو: الموت الذريع و بفتح الميم وسكون الواو: عمى القلب.

والأولى في معنى الموات والاحياء، الرجوع الى العرف لعدم كونها حقيقة مخترعة من قبل الشارع، وقدمرّ بعض ما قيل في تعريف الموات في القسم الثاني من الأنفال فراجع.

وَاحياء الموات جائز إجمالاً بالنص والإجماع، بل هو مستحب لما فيه من السعي في تحصيل الرزق المأمور في قوله تعالى ـ: «فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ» و من اخراج العاطل من العطلة المشتملة على تضييع المال.

وعن جابر، عن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ: **«من أحيا أرضاً ميتة فله فيه أجر، وما أكله العوافي منها فهي صدقة»**[16]

وعن أنس عنه ـ صلى الله عليه وآله ـ انه قال: **«ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه انسان أو طير أو بهيمة الا كانت له صدقة»**[17].

و يدل على الجواز، الأخبار الكثيرة، بل المتواترة إجمالاً من طرق الفريقين، منها:

صحيحة زرارة، ومحمد بن مسلم، وأبي بصير، وفضيل، و بكير، وحمران، وعبدالرحمن بن أبي عبدالله عن أبي جعفر، وأبي عبدالله ـ عليهما السلام ـ قالا: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: **من أحيا أرضاً مواتاً فهي له.** ومثله صحيحة زرارة عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ[18].

ومنها: صحيحة محمد بن مسلم أوحسنته قال: سمعت أبا جعفر ـ عليه السلام ـ يقول: **أيّما قوم أحيوا شيئاً من الأرض وعمروها فهم أحق بها وهي لهم،** ومثله صحيحة محمد بن مسلم الى قوله: «أحق بها»[19].

و منها: موثقة محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبدالله ـ عليه السلام ـ عن الشراء من أرض اليهود والنصارى فقال: **ليس به بأس، قد ظهر رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ على أهل خيبر فخارجهم على ان يترك الأرض في أيديهم يعملونها و يعمرونها فلا أرى بها بأساً لوأنك اشتريت منها شيئاً، وأيّما قوم أحيوا شيئاً من الأرض وعملوها فهم أحق بها وهي لهم**[20]:

ومنها: صحيحة: أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله ـ عليه السلام ـ عن شراء الأرضين من أهل الذمة فقال: «لابأس بأن يشتريها منهم إذا عملوها وأحيوها فهي لهم، **وقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ حين ظهر على خيبر وفيها اليهود خارجهم على ان يترك الأرض في أيديهم يعملونها ويعمرونها**[21].

و منها: موثقة السكوني عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: **من غرس شجراً أو حفر وادياً بديّاً لم يسبقه اليه أحد، أوأحيا أرضاً ميتة فهي له قضاء من الله ورسوله**[22].

و في موطأ مالك (ج ٢ كتاب القضاء) عن عروة بن الزبير، ان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ قال: «**من أحيا أرضاً ميتة فهي له وليس لعرق ظالم فيه حق**» ونحوه في البخاري (ج ٢ كتاب الوكالة) و مثله في أبي داود عن عروة وعن سعيد بن زيد، وفي الترمذي عن سعيد بن زيد.

وروى في أبي داود (ج ٢ كتاب الخراج والفيء) عن عروة قال: أشهد انّ رسول الله (ص) قضى ان الأرض، أرض الله، والعباد عباد الله، ومن أحيا مواتاً فهو أحق به.

وعن سمرة، عن النبي (ص) قال: **من أحاط حائطاً على أرض فهي له.**

وفي تذكرة العلامة «عن سمرة، انّ النبيّ (ص) قال: **عادي الأرض لله ولرسوله، ثم هي لكم مني أيّها المسلمون** ـ يريد بذلك ديار عاد وثمود ـ **وروي انه قال: موتان الأرض لله ولرسوله ثم هي لكم**

مني». وفي البخاري (ج ٢ كتاب الوكالة) عن النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ: **من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق**. الى غير ذلك من أخبار الفريقين وسيأتي بعضها.

ولايخفى اطلاق الاخبار لعصر الحضور ولعصر الغيبة معاً. فان قلت: قد مرّ منكم أخبار كثيرة تدل على أنّ الموات بالأصل وكذا الخربة التي باد أهلها من الأنفال وهي للامام، ومقتضى ذلك عدم جواز التصرف فيها بغير إذنه، فكيف الجمع بين تلك الأخبار وبين الاخبار المجوزة للاحياء والمرغبة فيه؟

قلت: جواز الاحياء والترغيب فيه لاينافي اشتراطه بشروط؛ كالاستيذان، وعدم سبق الغير اليها بالتحجير، وعدم الاضرار بالغير، وعدم كونها مرفقاً وحريماً لملك الغير... الى غير ذلك، وقد قيد أصحابنا الامامية الاحياء بإذن الامام.

ففي الخلاف (المسألة ٣): «الأرضون الموات للامام خاصة لايملكها أحد بالاحياء إلا أن يأذن له الامام. وقال الشافعي: من أحياها مَلَكَها. أذِنَ له الامام أولم يأذن. وقال أبوحنيفة: لايملك إلا باذن وهو قول مالك، وهذا مثل ما قلناه. إلا انه لايحفظ عنهم انهم قالوا: هي للامام خاصة بل الظاهر انهم يقولون: لامالك لها، دليلنا إجماع الفرقة واخبارهم وهي كثيرة.

وروي عن النبي (ص) انه قال: **ليس للمرء إلاما طابت به نفس إمامه، وانما تطيب نفسه إذا أذن فيه**».

أقول: قَدَّمرَّمنّا ان الأنفال ليست لشخص الامام بشخصه، بل هي اموال عامة خُلقت لنفع الانسان و يتنافس فيها قهراً فجعلت بيد الامام ليقطع بذلك جذور الاختلاف والنزاع، فلايجوز لأحدأن يتصرف فيها إلا بإذنه، ومن قال من أهل الخلاف بالإحتياج الى الاذن و بعدم المالك لها لعلهم يريدون الإذن من الامام وعدم كونها ملكاً لشخصه فلاخلاف لنا معهم في هذه المسألة بل في تعيين الامام.

وفي المبسوط: «الأرضون الموات عندنا للامام خاصة لايملكها أحد بالاحياء إلا أن يأذن له الامام».

وفي التذكرة بعد ذكر الموات: «وهذه للامام عندنا لايملكها أحد وان أحياها مالم يأذن له الامام، واذنه شرط في تملك المحيي لها عند علمائنا، ووافقنا أبوحنيفة على انه لايجوز لأحداحياؤها إلا بأذن الامام لمارواه العامة عن النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ انه قال: **ليس للمرء إلا ماطابت به نفس إمامه**.

ومن طريق الخاصة حديث الباقر السابق الذي حكى فيه ماوجده في كتاب علي (ع) ولأن للامام مدخلاً في النظر في ذلك فان من يحجر أرضاً ولم يبنها طالبه بالبناء والترك فافتقر ذلك الى اذنه كسائر بيت المال. وقال مالك: إنْ كان قريباً من العمران في موضع يتشاح الناس فيه افتقر الى اذن الامام وإلا لم يفتقر. وقال الشافعي: احياء الموات لايفتقر الى إذن الامام و به قال أبو يوسف ومحمد».

ومن عبارة التذكرة أيضاً يستفاد مانصّ اليه من عدم كون الأنفال لشخص الامام بل من بيت المال.

وفي المنتهى: «قدبيّنا ان الأرض الخربة والموات ورؤوس الجبال و بطون الأودية والآجام من الأنفال يختص بها الامام ليس لأحد التصرف فيها إلا بإذنه إنْ كان ظاهراً، وإنْ كان غائباً جاز للشيعة التصرف فيها بمجرد الإذن منهم ــ عليهم السلام ــ».

وفي الشرايع، بعد ذكر الموات: «فهو للامام لايملكه أحد وان أحياه مالم يأذن له الامام، واذنه شرط، فمتى أذن ملكه المحيي له إذا كان مسلماً ولايملكه الكافر».

وفي المسالك: «اذا كان الامام حاضراً فلا شبهة في اشتراط اذنه في احياء الموات فلا يملك بدونه اتفاقاً».

وفي جامع المقاصد: «لا ريب انه لا يجوز احياء الموات إلا بإذن الامام، و هذا الحكم مجمع عليه عندنا» الى غير ذلك من كلماتهم.

هذه بعض كلمات الأصحاب في المقام. وهل أرادوا بذلك توقف الاحياء والتصرف على الإذن كما هو مقتضى كون المال للامام ولا يحل لأحد أن يتصرف في مال غيره بغير إذنه، الشهرة المحققة والاجماعات المنقولة وقول النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ على ما رواه العامة: «ليس للمرء إلا ما طابت به نفس إمامه» (الخلاف المسألة ٣)، بل واخبار تحليل الأرض للشيعة التي منها صحيحتا عمر بن يزيد[٢٤] الماضيتان في المسألة الثانية، وصحيحة الكابلي الآتية[٢٥]. فان التحليل منهم ـ عليهم السلام ـ فرع كون الأرض باختيارهم وتوقف التصرف فيها على إذنهم هذا.

ولكن مرّ منّا ان الأرض والمعادن وغيرهما من الأموال العامة خلقت لإعاشة البشر وتتوقف حياتهم عليها وسعادتهم في الدارين، فلو قيل بأن في عصر الغيبة لا يجب على المسلمين تأسيس حكومة اسلامية مجرية لأحكام الاسلام وحدوده بل هو عصر الفوضى والأسر في أيدي الطواغيت وان طال الزمان حتى يظهر الولي المنتظر ـ عجل الله تعالى فرجه ـ فلا محالة حلّل الأئمة ـ عليهم السلام ـ الأنفال لجميع البشر ولا أقل للمسلمين و بالأخص لشيعتهم، إذ لا يمكن لهم العيش والبقاء بدونها. وقد دلت الأخبار الكثيرة على تحليلهم حقوقهم في الأرض وغيرها لشيعتهم ليطيبوا.

وأما إذا قلنا بضرورة الحكومة للبشر، وان الاسلام والأئمة ـ عليهم السلام ـ ما تركوا المسلمين يعانون الفوضى أو الأسر في أيدي الطواغيت فلا محالة يكون اختيار الأموال التي كانت بأيديهم من قبل الله تعالى والرسول بأيدي من يجوز له تصدي الحكومة الاسلامية و يكون منصوباً من

و بالجملة، يكون وزان أخبار الباب وزان أخبار التحليل الواردة في الخمس والأنفال فلا تنافي كون الأرض للأئمة بل التحليل متفرع على كونها لهم ـ عليهم السلام ـ هذا.

و يدل على اشتراط إذن الامام في الاحياء مضافاً الى ما مرّ من الأخبار الكثيرة الدالة على كون الأرض له ولا يحل لأحد أن يتصرف في مال غيره بغير إذنه، الشهرة المحققة والاجماعات المنقولة وقول النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ على ما رواه العامة: «ليس للمرء إلا ما طابت به نفس إمامه» (الخلاف المسألة ٣)، بل واخبار تحليل الأرض للشيعة التي منها صحيحتا عمر بن يزيد[٢٤] الماضيتان في المسألة الثانية، وصحيحة الكابلي الآتية[٢٥]. فان التحليل منهم ـ عليهم السلام ـ فرع كون الأرض باختيارهم وتوقف التصرف فيها على إذنهم هذا.

ولكن مرّ منّا ان الأرض والمعادن وغيرهما من الأموال العامة خلقت لإعاشة البشر وتتوقف حياتهم عليها وسعادتهم في الدارين، فلو قيل بأن في عصر الغيبة لا يجب على المسلمين تأسيس حكومة اسلامية مجرية لأحكام الاسلام وحدوده بل هو عصر الفوضى والأسر في أيدي الطواغيت وان طال الزمان حتى يظهر الولي المنتظر ـ عجل الله تعالى فرجه ـ فلا محالة حلّل الأئمة ـ عليهم السلام ـ الأنفال لجميع البشر ولا أقل للمسلمين و بالأخص لشيعتهم، إذ لا يمكن لهم العيش والبقاء بدونها. وقد دلت الأخبار الكثيرة على تحليلهم حقوقهم في الأرض وغيرها لشيعتهم ليطيبوا.

وأما إذا قلنا بضرورة الحكومة للبشر، وان الاسلام والأئمة ـ عليهم السلام ـ ما تركوا المسلمين يعانون الفوضى أو الأسر في أيدي الطواغيت فلا محالة يكون اختيار الأموال التي كانت بأيديهم من قبل الله تعالى والرسول بأيدي من يجوز له تصدي الحكومة الاسلامية و يكون منصوباً من

قبلهم بنحو العموم، والقدر المتيقن منه الفقيه العادل العارف بحوادث زمانه القادر على اجراء أحكام الله وحدوده، فان الملاك الذي اوجب جعلها في اختيار الامام يوجب جعلها في اختيار نوابه والا لما تيسّر له ادارة شؤون الحكومة واجراء العدالة الاجتماعية وقطع جذور الاختلاف، فالأنفال محللة في عصر الغيبة للمسلمين أو لا نباعهم قطعاً، ولكن للحكومة الحق النظر فيها والتصدي لتقسيمها أو الإنتفاع منها بنفع الاسلام والمسلمين، ويجب لاحالة على المسلمين إطاعتها فتدبر.

---

١ و ٢ــ الوسائل ج٦ الباب ١ من أبواب الانفال، الحديث ٧، ٢٥.

٣ ــ اصول الكافي ج ١ ص٥٣٧ باب صلة الامام، الحديث ٣.

٤ ــ بحارالانوار ج ٨ ص٥٥٥ من الطبع القديم.

٥ ــ سورة يونس، الآية ٣٥.

٦ ــ كتاب سليم بن قيس، ص١١٨.

٧ ــ المستدرك ج ١ الباب ٤ من أبواب الأنفال، الحديث ٣.

٩ ــ الوسائل ج٦ الباب ٤ من ابواب الانفال، الحديث ١٣.

١٠ ــ الوسائل ج٦ الباب ٤ من ابواب الانفال، الحديث ١٧. الاعراف: ٣٢.

١٥ ــ الوسائل ج ١١ الباب ٧٢ من أبواب جهاد العدو، الحديث ١و٢.

١٦ ــ المسالك، احياء الموات.

١٧ ــ الترمذي ج ٢ ــ التاج الجامع للاصول ج ٢ ص ٢٣٠.

١٨ ــ الوسائل ج١٧ الباب ١ من أبواب احياء الموات، الحديث ٥و٦.

١٩ ــ الوسائل ج١٧ الباب ١ من ابواب احياء الموات، الحديث ٤ و ٣.

٢٠ ــ الوسائل ج ١١ الباب ٧١ من أبواب جهاد العدو، الحديث ٢.

٢١ ــ الوسائل ج١٧ الباب ٤ من أبواب احياء الموات، الحديث ١.

٢٢ ــ الوسائل ج١٧ الباب ٢ من ابواب احياء الموات، الحديث ١.

٢٣ ــ الوسائل ج٦ الباب ٣ من أبواب الأنفال، الحديث ٦.

٢٤ ــ الوسائل ج٦ الباب ٤ من ابواب الانفال، الحديث ١٢ و ١٣.

٢٥ ــ الوسائل ج١٧ الباب ٣ من ابواب احياء الموات، الحديث ٢.

الاستحسان المقارن

الشيخ محمد علي التسخيري

نودُّ قبل كل شيء أن نوضح منهجنا في هذا البحث:

منهج البحث

إننا نحاول فيما يلي، تعريف الإستحسان أولاً، ثم تمييزه من ملابساته، ثم بيان مذاهب الأصوليين فيه، ثم تحرير النزاع، ثم الوصول الى النتيجة المرجوة من هذا البحث.

أمّا أسلوب البحث، فربما كان خليطاً بين منهجين:

المنهج الاول:

منهج الاتباع التاريخيين لمدرسة ما: وهم يعمدون الى دراسة الفروع الثابتة في تلك المدرسة التي آمن بها مؤسسها، ثم استنباط القاعدة التي تفرعت منها تلك الفروع.

ونحن نجد هذا المنهج متداولاً في كتب الكثير من المؤلفين امثال:

ابوبكر احمد بن علي الجصاص المتوفى سنة (٣٧٠) هـ.

ابو زيد القاضي الدبوسي المتوفى سنة (٤٣٠)هـ.

والسرخسي شمس الأئمة المتوفى سنة (٣٨٣)هـ.

وفخر الاسلام البزدوي.

ومن المتأخرين: عبدالله بن احمد المعروف بـ (حافظ الدين النسفي) المتوفى سنة (٧٩٠) هـ.

المنهج الثاني:

منهج الفلاسفة الذين يعمدون الى المبادئ والأصول بكل حرية و يدرسونها دون النظر لموافقتها لمسلمة فرعية مسبقة أوعدمها. وحينئذ فإن تمّ الدليل على المبدأ، قبلوه وراحوا يعيدون النظر في مسلماتهم.

وقد الف على هذه الطريقة مؤلفون من أمثال:

أبي الحسين محمد بن علي البصري المعتزلي المتوفى سنة (٤٦٣) في كتابه (المعتمد).

وأبي المعالي عبدالملك بن عبدالله الجويني إمام الحرمين في كتابه (البرهان).

والحجة الغزالي في كتابه (المستصفى من علم الأصول).

ومن الطبيعي أن نعمد الى منهج يجمع بين هذين المنهجين، فهو من جهة يتبع المنهج الأول ليكتشف رأي أي مذهب، ولكنه يسلك المنهج الثاني للوصول الى نتائج موضوعية، وهو المنهج المتبع في المدارس التي لم يغلق فيها باب الاجتهاد.

تعريف الاستحسان

لغة يقال: استحسن الشيء عدّه حسناً، اما اصطلاحاً فقد تكاثرت تعاريف القوم وراحت تدور على الحد المتعارف. فلكل مذهب تعاريف، وحتى تعاريف المذهب الواحد مختلفة المبنى، خاصة وعامة ومتباينة. وهناك تعاريف مجموعة تبعد حتى عن التعريف اللفظي.

وقد ذكر منها: انه؛

ترك القياس والأخذ بما هو أوفق للناس.

طلب السهولة في الأحكام فيما يبتلي به الخاص والعام.

الأخذ بالسعة وابتغاء الدعة.

الأخذ بالسماحة، وانتقاء ما فيه الراحة.

وقد ذكر صاحب أصول الفقه المقارن ان التعاريف التي ينبغي الاهتمام بها هي:

(١) ماذكره البزدوي من الحنفية من انه:

«العدول عن موجب قياس، الى قياس أقوى منه، أو هو تخصيص قياس بدليل أقوى منه».

(٢) ما ذكره الشاطبي من المالكية من انه:

«العمل بأقوى الدليلين».

(٣) ما ذكره الطوفي من الحنابلة في مختصره من انه:

«العدول بحكم المسألة عن نظائرها لدليل شرعي خاص».

وقد ذكر له ابن قدامة معاني ثلاثة:

احدها: «العدول بحكم المسألة عن نظائرها لدليل خاص من كتاب أوسنة».

ثانيها: «ما يستحسنه المجتهد بعقله».

ثالثها: دليل ينقدح في نفس المجتهد لا يقدر على التعبير عنه».

ويمكن أن نضيف اليها تعاريف أخرى، كتعريف النسفي ــ من الحنفية ــ له بانه: **العدول عن قياس الى قياس أقوى منه أو هو دليل يعارض القياس الجلي.**

و يعرفه ابن العربي ــ من المالكية ــ بانه: **«ايثار ترك مقتضى الدليل على طريق الاستثناء والترخيص لمعارضة ما يعارض به بعض في بعض**

مقتضياته».

و يقول ابن رشد عنه انه: «طرح القياس الذي يؤدي الى غلو في الحكم ومبالغة فيه الى حكم آخر في موضع يقتضي أن يستثنى من ذلك القياس».

هذا وقد حاول عبدالوهاب خلاف، والخضري، وأبوالحسين البصري، الجمع بين التعاريف، ورفض بعضها وجمعها في تعريف جامع هو(ترجيح دليل على دليل يعارضه برجح معتبر شرعا) ولكنها محاولة لايتضح لها وجه فقد يكون صاحب التعريف الأخص مثلاً قد استوفى الأدلة عنده و خرج بما قامت لديه الحجة عليه.

الاستحسان وأنواعه

يقسّم الإستحسان من حيث السند لدى الحنفية الى:

(١) استحسان سنده القياس الخفي:

ومثاله سؤر سباع الطير: فالقياس يقتضي نجاسته حملاً على سؤر سباع البهائم لأنّ السؤر معتبر باللحم وكل منها نجس اللحم ــ عندهم ــ والاستحسان يقتضي الطهارة قياساً خفيا على الآدمي لان كليها غير مأكول اللحم. و يقدم الاستحسان لأنّ القياس قد ضعف مؤثره وهو مخالطة اللعاب النجس للماء في سؤر البهائم وليس كذلك في سباع الطير لانها إنّما تشرب بمنا قيرها وهي عظم طاهر فانتفت علة النجاسة فكان طاهراً كسؤر الآدمي.

(٢) استحسان سنده النص:

كالنهي عن بيع المعدوم ثم يأتي النص القائل بجواز بيع السلم.

(٣) استحسان سنده الضرورة:

كما في طهارة الحياض واغتفار الغبن اليسير.

وتشمل هنا الضروري وهو: «المتضمن لحفظ مقصود من المقاصد الخمسة التي لم تختلف فيها الشرائع بل هي مطبقة على حفظها».

والمقاصد الخمسة هي: **حفظ النفوس والعقول والدين والمال والعرض.**

و يشمل الحاجي وهو: «ما يقع في محل الحاجة لا الضرورة، كتشريع أحكام البيع وغير ذلك».

فالمراد ــ إذن ــ بالإستحسان الذي سنده الضرورة، ماهو أعم من الضرورة والمصلحة.

و ينقسم الاستحسان من حيث السند عند المالكية الى:

(١) استحسان سنده المصلحة:

«فالأجيرالمشترك لايضمن المال الهالك في يده بمقتضى القياس وعدل عن ذلك للمحافظة على حقوق الناس».

(٢) استحسان سنده العرف ــ كماسبق.

(٣) استحسان سنده رفع الحرج كاغتفار الغبن.

الفرق بين الاستحسان ومالابسه

الاستحسان والمصلحة المرسلة:

يقول الشاطبي وهو يتحدث عن الإستحسان بمعنى الأخذ بالمصلحة:

فان قيل هذا من باب المصالح المرسلة، قلنا نعم، إلاّ انهم صوّروا الإستحسان تصور الاستثناء من القواعد بخلاف المصالح المرسلة». لأنّ فيها تشريعاً ابتدائياً وفق المصلحة وليست استثناء من قاعدة معينة.

و يكاد يقاربه في التفريق، **الدكتور خلاف** حين يرى ان واقعة الإستحسان واقعة تعارض في حكمها دليلان، عدل الى اقواهما.

و واقعة المصالح المرسلة: «**واقعة بكر وجدت فيها**

مصلحة فشرع لها حكم».

ولكنه أرجعها بعد ذلك الى القياس والذي لايوجد في واقعته نص ولا إجماع فتلحق بما فيها ذلك .

وربما نوقش خلاف بانه كيف يرجعها الى القياس مع هذا التفريق بينها، كما ان الاستحسان قد يكون عدولاً سنده نص، فهل يعتبر هذا قياساً؟

الآراء في الاستحسان

ذهب جمهور الحنفية والمالكية والحنابلة الى انه دليل شرعي تثبت به الاحكام حتى روي عن مالك ان: «**الاستحسان تسعة أعشار العلم**» في حين ذهب الشافعي الى انه: (**من استحسن فقد شرع**).

وقد نفى الطحاوي الإستحسان وهو من الحنفية، كما حمل أصحاب المذهب الظاهري ومنهم ابن حزم على كل من القياس والإستحسان والمصالح المرسلة والتعليل وغير ذلك من وجوه الرأي.

والمعروف هنا ان هذه السبل كلها تنبع من عنصر (الرأي) وقد نشط في المائة الثانية للهجرة وقوي حتى عاد رابع الأصول الثلاثة: «**الكتاب والسنة والاجماع**) و بالغوا فيه حتى قدموه على الاجماع أحياناً، بل ردت به بعض الأحاديث أو أولت به الآيات (تراجع مقدمة ابطال القياس لابن حزم).

أما مدرسة أهل البيت فقد قاومت العمل بالرأي بشدة،وجاءت شتى الأحاديث تناقش العمل به، وربما أمكن اعتبار هذه المقاومة هي العلة في أمرين:

الاول: إتجاه الظاهرية في إنكار الرأي بكل سبله.

الثاني: إتجاه أهل الرأي في وضع الحدود والقيود التي كادت أنْ تسد منافذه ــ أحياناً ــ أو تقربه مما يعرف لدى مدرسة أهل البيت بـ (**تنقيح المناط**) واستظهار عموم العلة، مما كاد أنْ يوفق بين المدرستين.

والواقع، ان هناك الكثير من أنماط الخلاف قد يبدأ واقعياً، ثم تأتي القيود والتعديلات العلمية حتى تنفيه، أو يعود لفظياً أحياناً يقوم على أساس اختلاف التعبير، أو اختلاف زوايا النظر، وهذا مانراه في الإستحسان بشكل دقيق.

فان مالك حين يقول: «**الإستحسان تسعة أعشار العلم**» يعني مايقول،إنْ كان يقصد من الإستحسان تقديم اقوى الدليلين كما هو واضح من عرض أقوال اتباعه، إذْ اننا نراه يشمل أبواب التزاحم والتعارض والحكومة والورود والتخصيص وغير ذلك، مما يشكل قوام علم الأصول فلاغرو اذا كان تسعة أعشار العلم.

والشافعي حين يقول: «**من استحسن فقد شرع**» يعني ــ أيضاً ــ ما يقول، إنْ كان يقصد منه (ما ينقدح في نفس المجتهد ولا يعرف مأتاه على التحقيق) وهو ما يقصده كما يبدو للمتتبع حين يراه ينسبه الى الوهم والهوى.

اما ابن حزم، فمن الطبيعي له ان ينفي كل انواع الإستحسان ــ ماعدا مسألة تقديم أقوى الدليلين ــ وذلك بحكم مذهبه في التمسك بحرفية النصوص دون التعدي عنها الى رأي أو اجتهاد.

والواقع ان مذهب أهل البيت هو العمل بالإستحسان إذا كان يعني تقديم أقوى الدليلين بل هي سنة العقلاء.

وقبل كل شيء، لابدَّ من الإشارة الى أننا مهما فسّرنا الإستحسان فانه لايشكل اصلاً في مقابل الأصول الأخرى إلاّ إذا فُسّر بمعنى (**الانقداح النفسي**) وهو معنى باطل قطعاً.

معاني الاستحسان وحجيتها

لايمكن البحث في حجية الاستحسان إجمالاً مادام يتفاوت بين التعريفات المختلفة، وانما الطبيعي هو مانصنعه في «أصول الفقه المقارن» من ارجاعها الى معانٍ رئيسية محدودة، ثم إقامة الدليل أو ذكره لكل معنى منها. وسوف نتبع هذا المنهج للوصول الى الحق في هذه المسألة.

الإستحسان بمعنى تقديم أقوى الدليلين المتنافيين

ومن الطبيعي ان الدليلين قديكونان لفظيين، أو غير لفظيين، أو مختلفين. وما نود توضيحه هو الإختلاف في الأدلة اللفظية فقط.

وهذا الإختلاف يرجع الى مناشيء أهمها: «التزاحم، والورود، والتعارض»، ولتوضيح الفرق بينها نقول:

إنَّ هناك في الدليل مراحل متصورة نذكر منها ما ترتبط ببحثنا وهي:

مرحلة الجعل: أي اعتبار المولى للحكم الشرعي. وهذا الجعل يثبت بمجرد تشريع المولى.

مرحلة المجعول: أي نفس الحكم الناتج عن الجعل الإلهي، وهذا المجعول يختلف من فرد لآخر تبعاً لتحقق الموضوع والقيود.

فإنَّ مدلول قوله تعالى: «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً» (آل عمران: ٩٧) هو جعل وجوب الحج على المستطيع، أما تحقق الوجوب المجعول فهو يتبع توفر الموضوع وقيوده، كالإستطاعة في الشخص.

مرحلة الامتثال: حيث يستجيب المكلف لما كلف به و ينفذه، والتنافي بين الدليلين اذا كان في مرحلة الجعل والتشريع كان المورد مورداً للتعارض المصطلح لدى الاصوليين، وذلك كجعل وجوب شيء على المكلف و حرمته في نفس الآن. أما اذا كان في مرحلة المجعول فقط دون التنافي في المرحلة السابقة فان المورد هو مورد ما يسمى بـ (الورود).

و ملخصه ان المجعول في هذا الدليل مثلاً ينفي موضوع المجعول في الدليل الآخر أو يوجد فرداً جديداً له.

ومثاله مالوجاء دليل يقول: «يجوز الافتاء بحجة».

ودليل آخر يقول: «خبر الواحد حجة». فان هذا الأخير يحقق فرداً من موضوع الدليل السابق.

اما التنافي في مرحلة الإمتثال فيسمى اصطلاحاً بـ (التزاحم) (كما لو أشرف مؤمنان على الغرق ولم يستطع المكلف إلاّ على انقاذ أحدهما). فللاحظ كلا من هذه الأنماط باختصار:

أ ـ التزاحم:

والقاعدة في باب التزاحم بين حكمين من الشارع المقدس في مقام الامتثال صدفة هي تقديم الأهم على المهم، كتقديم الحكم المضيق على الحكم الموسع، وتقديم ما ليس له بدل على ما له بدل، وتقديم الواجب المعين على المخير، وتقديم ما كان مشروطاً بالقدرة العقلية على ما كان مشروطاً بالقدرة الشرعية، كتقدم الأمر بوفاء الدين على الأمر بالحج اذا لم يمكن امتثالهما معاً.

والجامع في كل ذلك كما أسلفنا، هو تقديم الأهم على المهم حرصاً على أهداف الشارع.

ولمدرسة أهل البيت(ع) بحوث قيمة و نظريات رائعة في هذا المجال لايسعنا في هذا البحث التعرض اليها، ولكننا نشير الى ان تقديم الأهم إنّما هو في الواقع تعيين للحجة الفعلية من بين الحكمين المتزاحمين بعد أنْ لم يعقل أن يكونا معاً حجتين فعليتين كما هو لم يعقل ترجيح المهم على الأهم.

ومن الطبيعي انهما اذا تساويا من جميع الجهات في الأهمية لم يكن بد من التخيير.

وقد جاءت هنا بعض البحوث:

ومنها: ان المكلف اذا ترك كلا المتزاحمين المتساويين في الأهمية، فهل يستحق عقابين ـ كما هو الصحيح ـ أو انه لايستحق إلا عقاباً واحداً باعتباره لايقدر على تنفيذهما معاً؟

ومنها: ان تقديم أحد الواجبين لأهميته هل يعني سقوط الواجب الآخر رأساً كما في حالة التعارض أولا؟ وانما يبقى وجوباً منوطاً بعدم الاشتغال بالأهم وهذا ما يسمى بالوجوب الترتبي.

فاذا اشتغل المكلف بصلاة تزاحم انقاذ غريق مخالفاً بذلك ما يحكم به التزاحم، كانت صلاته مأموراً بها فهي صحيحة وإنْ كان عاصياً.

ومنها: ماجاء في ما يسمى بـ مسألة (الضد).

وكلها بحوث ضخمة المضمون، أبدعت فيها عقول فقهاء أهل البيت ايما إبداع.

ب ـ التعارض:

قلنا إنَّ التعارض إنَّما يتصور في مورد حصول تناف بين الجعلين كأن يقول الدليلان (صلِّ) و(لا تصلِّ).

وهذا التعارض لايتصور إلا بين ما يسمى بـ (الأدلة المحرزة) أي التي تكشف الواقع التشريعي. اما تلك المسماة بـ (الأصول العملية) والتي تعين مجرد الوظيفة الشرعية، فان التنافي بينها في الواقع يرجع الى تنافي دليليها، وهكذا الأمر فيما اذا كان هناك تعارض بين (دليل محرز) و(أصل عملي).

كما أنَّ هذا التعارض لايتصور بين دليل مقطوع به وآخر ظني معتبر، فالدليل القطعي يؤدي للقطع بعدم صدور الدليل الظني.

والتعارض بين الدليلين اللفظيين قد يكون مستقراً، وقد ينتفي بعد العلاج بتحقيق جمع عرفي بينهما.

وللجمع العرفي قواعد ترجع جميعاً الى أنَّ المولى يفسر بعض كلامه بعضاً، حيث يكون بعض كلامه قرينة مفسرة ومقدمة على كلامه الآخر.

وهذه القرينة اما ان ينصبها بنفسه، فتسمى بالقرينة الخاصة (وتأتي في ما يسمى ببحث الحكومة) كما اذا ورد دليلان أحدهما يقول: (الربا حرام)، والآخر يقول: (لاربا بين الوالد وولده)، فان هذا يحكم على الدليل الأول ويقدم عليه لانه ينظر اليه.

وقد تكون القرينة من قبل العرف الذي يجري وفقه المتكلم، وهذا مايسمى ببحث (الخاص والعام) أو (المطلق والمقيد).

وهنا ايضاً راحت مدرسة الاجتهاد المفتوح تتعمق وتتعمق حتى أبدعت أروع النظريات في البين، ونحن نغمطها حقها اذا حاولنا أن نعرضها دون توضيح لا مجال له هنا.

فلنعد إذن الى التعارض المستقر، وهنا يتحدث تارة عن مقتضى القاعدة وبقطع النظر عن الروايات الخاصة التي عالجت هذا التعارض، وأخرى عن هذه الروايات.

اما في المرحلة الأولى: فالقاعدة هي تساقط الدليلين. وهناك بحوث هامة في هذا المجال.

واما في المرحلة الثانية: فيبحث عن المرجحات الخاصة سواء في السند، أو في المضمون.

ج ـ الورود:

و يأتي عند التنافي في المجعول مع عدم التنافي في الجعل كما مثلنا لذلك من قبل،و التفصيل فيه متروك الى مظانه.

الاستحسان والعرف

العرف عند خلاف هو:

«ما تعارفه الناس وساروا عليه من قول أو فعل أو ترك »، و يتحقق الإستحسان بالعرف فيما اذا كان ما اعتاده الناس و تعارفوا عليه مخالفاً لقياس أو لقاعدة مقررة.

والعرف،قسمان،عام و خاص:

(١) **العرف العام:** و يشترك فيه غالبية الناس فيكون أقرب الى بناء العقلاء، ومن أمثلته (الاستصحاب).

(٢) **العرف الخاص:** و يصدرعن فئة خاصة تجمعهم وحدة في زمانٍ أو مكانٍ أو مهنةٍ أو فنٍ و ينتظم انواع السلوك عند مختلف الأمم.

والعرف، صحيح وفاسد:

الصحيح: هو مالم يخالف في حكمه أدلة الشرع وأحكامه الثابتة التي لا تتغير بتغير البيئات والعادات، كالبيع والرهن.

والفاسد: كمثل شرب الخمور.

مجالات العرف

(١) ــ منها ما يستكشف منه حكم شرعي فيما لانص فيه، من مثل عقد الاستصناع.

(٢) ــ ومنها ما يرجع لتشخيص بعض المفاهيم التي أوكل الشارع معرفتها اليه، كلفظ الصعيد.

(٣) ــ ما يرجع فيه لاستكشاف مرادات المتكلمين عند اطلاق اللفظ.

أمّا الحديث عن حجية المضمون العرفي هذا فيقال فيه:

أمّا القسم الأول، فحجيته تتم لوأمكن للبناء العرفي أنْ يكشف عن الحكم الشرعي، وهولايتم إلا اذا إمتدَّ الى عصر المعصوم فسكت عنه و سكوته امضاء له.

واما القسم الثاني، فليس يعني إلا استكشاف الصغرى والموضوع.

واما الثالث، فهو يعني معرفة الظهور التصديقي الذي يتبع حجية الظهور.

أمثلة على الإستحسان المستند للعرف

ذُكرت لذلك بعض الأمثلة، نذكر منها مايلي:

أولاً: عقد الاستصناع.

(وهو أنْ يتعاقد شخص مع صانع على أنْ يصنع له شيئاً نظير مبلغ معينٍ بشروطٍ مخصوصةٍ مبينةٍ في كتب الفقه) . فالقاعدة المقررة، عدم جوازه لأنَّ المعقود عليه معدوم وقت العقد، والعقد على المعدوم لايجوز، ولكنه جاز استحساناً لجري العرف عليه. وقد جعله شعبان من أمثلة العدول عن القاعدة باستحسان سنده الاجماع، ثم عاد وقال في مبحث العرف المستقل انه من أمثلة العرف. ولعله أراد بالاجماع، العرف، وإنْ كان العرف يختلف في تعريفه لانه يعني عمل غالبية الناس.

ويجب ان نلحظ هنا:

(١) ــ ان الأمر لايتبع العرف فقط، فقد يقال؛ إنَّ المعدوم لم يمنع منه إلا لانه مجهول، أمّا اذا علم أمكن العقد عليه.

(٢) ــ وربما كان من باب بيع نتيجة العمل، وفيه ما يصححه دون الرجوع الى العرف.

(٣) ــ وهناك مصححات أخرى في البين.

(٤) إنَّ العرف كما قلنا يختلف من حيث العمل. وهنا لابد من استكشاف امتداده الى عصر المعصوم وسكوته عنه، ولا يبعد ذلك بل هو مسلم، بل قد ينصرف عنه النهي عن بيع المعدوم لوتم في نفسه.

ثانياً: القاعدة المقررة في الوقف.

هي أنّ يكون مؤبداً، فعليه لايجوز وقف المنقول إستقلالاً، لانه معرض لهلاك فلا يقبل التأبيد، ولكنّ الشيباني أجاز وقف ماجرى به العرف منها كالكتب استحسانا.

وهنا نقول إنّ المستند قد يكون مايلي وهو:

إنّ التأبيد عرفي لا دقي هنا.

وإنّ المنقول قد يكون أطول عمراً من غير المنقول، وحينئذ فلا نحتاج للعرف بعد بطلان أصل القاعدة.

ثالثاً: لو حلف أنْ لايأكل لحماً فأكل سمكاً فانه لا يحنث لذلك.

والواقع انه لوصح ذلك فانه يقوم على أساس انصراف اللحم الى لحم الغنم والبقر دون السمك. واتباع الانصراف يعني عملاً بالظهور وليس شيئاً وراء ذلك.

وعلى أي حال،

فان الإستحسان العرفي، ليس أصلاً في قبال الأصول، وإنما هو أخذ بمتقرر بين الشارع وعمل بالسنة.

الاستحسان والمصلحة

كثيراً ما نجد بعض الأصوليين يفرقون هنا بين؛ الإستحسان والمصلحة، والاستحسان والضرورة. وعند الرجوع الى أمثلة كل من القسمين والشرح المرفق لها نجد انها من سنخ واحد، فهي ترجع الى حجية المصالح المرسلة، وهي كما حقق في محله ترجع الى دليل العقل.

والعقل إنْ قطع بالمصلحة في مورد مادون تردديد، تمّ له قطع بالحكم الشرعي وفقها، والقطع حجة ذاتية لايمكن نفيها أو اثباتها من قبل الشارع، إذ ليست من مختصاته كمشرع بل كمكون، إذ يستطيع أن يزيل القطع، لا أن يبقى ثم ينفي عنه الحجية تشريعاً.

اما عدم القطع، فلايمكن الاستناد لشيء غير قطعي، والخروج عن مقتضى قاعدة شرعية ثابتة.

الاستحسان وما ينقدح في النفس

ذكر خلاف ان الحنفية لا تقول بالإستحسان المستند الى مجرد انقداح في النفس لا يعرف مأتاه على التحقيق.

وقال زكي الدين شعبان مانصه: (ولا شك أنّ الإستحسان بهذا ــ أي المعنى المشار اليه ــ باطل باتفاق الجميع لايسوغ لأحدٍ أنْ يأخذ به، فضلاً عن إمام من أئمة المسلمين) وبالتالي فهو يستنتج ان الحنفية لا يقولون به.

في حين إننا نجد الآمدي في (الأحكام في أصول الأحكام) يؤكد انّ قسماً من أصحاب أبي حنيفة عرفه بانه (دليل ينقدح...) وقد ذكر ابن قدامة نفس التعريف.

ولما اختلف النقل صار لزاماً على الباحث أنْ يتأكد من صحة النسبة وعدمها.

والذي وجدته في حدود تتبعي: إن أبا حنيفة كان يرى للإستحسان معنى آخر هو (ما يستحسنه المجتهد بعقله).

وهذا المعنى في الواقع لايصل الى مستوى المدلول الذي سنده نص أو اجماع أو مصلحة أو ضرورة، كما وانه لا يقاس بمستوى التعريف موضع البحث.

ولعل المقصود ــ والله أعلم ــ الإستناد الى حكم عقلي قطعي ــ وإنْ كان هذا خلاف الظاهر ــ ولما لم يكن الظاهر الاستناد الى القطع فقد قال

ابن قدامة في (الأشباه والنظائر) متحدثا عن هذا المعنى انه (حكي عن ابي حنيفة انه قال: هوحجة) فاستفاد منه انه امارة ظنية تحتاج الى البحث واثبات الحجية.

والمتتبع للادلة التي سيقت لحجية الإستحسان، يستطيع التأكد من انها تقصد هذا المعنى في الأغلب، وإلا لم يكن هناك أي داع للاستدلال بما سنذكره بعد وجود أدلة مقنعة كأن يستندوا ــ في مجال تقديم القياس الأقوى عند التعارض مع القياس الأضعف ــ الى الدليل (تعيين الحجة الفعلية) الذي ذكرناه من قبل.

وعلى أي حال، فان الآمدي يرى ان المجتهد إنْ انقدح في نفسه هذا المعنى، ولم يستطع أن يعبر عنه فانه يتصور على حالتين:

الأولى: ان يتردد فيه انه من الشرع أم من الوهم. فلا يمكن والحال هذه أن يقول أحد بحجية ذلك.

الثانية: انه تحقق انه من الشرع ولكن لم يستطع التعبير عنه فانه لا نزاع في حجيته.

وتعليقنا على هذا الكلام يتلخص في أنَّ الحالة الأولى أمر لا يتنازع في بطلانها اثنان، فلا تدخل مجال النزاع.

أمّا الحالة الثانية أي تأكد انها تسربت اليه من مسرب شرعي لا يعلمه فانه لا يستطيع والحالة هذه أن يركن اليه لانه لا يحدده ولا يدري مدى ما يعترضه من عقبات وهل يصمد أمام الأدلة المعارضة أم لا؟

نعم إذا بلغت به هذه الحالة الى القطع، فهي أمر شخصي وحجة عليه، ولكننا لا نستطيع حينئذ أن نعتبر الإستحسان أصلاً بعد أن كان يتبع الحالة الشخصية للمستحسن.

وقد ذكر في (أصول الفقه المقارن) ان هذه الحالة تقرب من المعنى الشائع أحياناً والمسمى بـ (الذوق الفقهي) وهي مما لا اعتبار به ان لم يرجع الى شيء معتد به.

ادلة الاثبات

إستدلَّ المثبتون بأدلة من الكتاب والسنة والاجماع والعقل:

الادلة الكتابية:

(١) ــ قوله تعالى: «الذينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أحْسَنَه» ــ الزمر: ٥٥ ــ.

(٢) ــ قوله تعالى: (وَاتَّبِعُوا أحْسَنَ ما أُنْزِلَ إلَيكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) ــ الزمر: ٥٥ ــ.

بحجة ان المدح علامة الحجية، والواقع:

(١) ــ ان الأحسنية هنا، لفظية لا علاقة لها بالاصطلاح المتأخر.

(٢) ــ ان المجال في أحسنية حكم على حكم، يعني الاطلاع على الملاكات ولا سبيل للعقل الى ذلك، فاذا بيَّن الشارع نفسه ذلك ووقع تزاحم في البين، قدَّمنا الأهم على المهم، وهذا لا نزاع فيه.

(٣) ــ ان التأمل في سياق الآية الثانية، لا يبقي مجالاً حتى لمسألة تقديم الأهم على المهم، فليست تتعرض لمورد من هذا القبيل، وانما هي استعملت لفظ التفضيل ــ كما هو الظاهر ــ لتعميم هذه الصفة على كل ما أنزل من الرب، أو لتحيذ التوبة بقرينة ذكر العقاب مباشرة وسبق ذلك بالدفع نحو الانابة والاسلام.

أمّا الآية الأولى، فالظاهر انها تعطي تعليماً منطقيا للحجاج والاستدلال، أو على الأقل يحتمل فيها ذلك، ومع الاحتمال لا يبقى مجال للاستدلال.

يقول حجة الاسلام الغزالي في (المستصفى)

(ص١٣٨) راداً على هذا الاستدلال:

(قلنا اتباع احسن ما انزل الينا هو اتباع الادلة. فبينوا لنا ان هذا مما انزل الينا فصلاً عن ان يكون احسنه) وهو بهذا يتحدث عن قاعدة تقول (ان القضية لا تثبت موضوعها) فالآية لايمكنها أن تعيّن الإستحسان نفسه مما انزل أو مما لم ينزل.

(٤)ــ ان الغزالي أجاب بجواب آخر قائلا:

(الجواب الثاني أن يلزم من ظاهر هذا اتباع استحسان العامي والطفل والمعتوه لعموم اللفظ. فان قلتم: المراد به بعض الاستحسانات وهو استحسان من هو أهل النظر، فكذلك نقول: المراد كل استحسان صدر عن أدلة الشرع وإلافأي وجه لاعتبار أهل النظر في الأدلة مع الاستغناء عن النظر).

ولعمري ان في كلام الغزالي ضعفاً وفي ردهم قوة لانه يقال في قباله:

إنَّ هنا في المقام قدراً متيقناً وهم أهل النظر ينصرف اليهم اللفظ بلا قرينة تستوجب الصرف غير وجود نفس هذا القدر المتيقن. ومعه كيف يمكن التعويل على عموم اللفظ أو اطلاقه، ومقدمات الحكمة في البين ــ كما حقق في محله ــ لا تكمل إلاّ بعد العلم بعدم وجود مثل هذا القدر المتيقن.

أو يقال بتعبير آخر: ان قيد أهل النظر، عرفي واضح، ولذا فهو بشكل قرينة إرتكازية للاطلاق هنا.

فلايتم جواب الغزالي هنا.

الأدلة من السنة:

أولاً ــ روى عبدالله بن مسعود انه قال: (ما رآه المسلمون حسناً، فهو عندالله حسن).

وقد استدل بهذه الرواية لأُصول مختلفة.

و يناقش هذا الاستدلال بأُمور:

أولاً: انها موقوفة على ابن مسعود، وربما كانت كلاماً له لاحديثاً عن النبي(ص) ومعه لا تصلح للدليلية.

ثانياً: انها خبر واحد لا تثبت به الاصول ــ كما يقول الغزالي ــ.

ثالثاً: أنّى يعرف ان لفظة (حسن) يراد بها الإستحسان المصطلح وهو متأخر، على ان هناك معاني مختلفة. فأي المعاني هوالمراد؟ خصوصاً وانه ليس بينها قدر جامع.

ثم ان الاحتمالات في هذه الرواية أكثر من واحد:

(١) ــ ان يراد بها: العرف الشائع بين المسلمين و هو الظاهر، و يعني الرجوع الى عرف المتشرعة، وقد أشرنا الى معيار دليليته.

(٢) ــ ان يراد بها: بيان قاعدة الملازمة بين حكم العقل و حكم الشرع و ذلك فيما اذا كان المراد بالمسلمين هنا حيثية كونهم عقلاء ــ كمايراه السيد الحكيم في (أصول الفقه المقارن) ــ وهو بعيد عن الظاهر.

(٣) ــ ان يراد بها: بيان الاجماع بعد حملها على العموم المجموعي وأخذ خصوصية الاسلام في المسلمين.

(٤) ــ ولا يمكن ان يراد بها: العموم الاستغراقي، أي إستحسان كل فرد فرد، فانه ينتهي الى اعتبار (استحسان العامي وهو مؤدٍ الى فوضى لا تحمد عقباها، بل حتى لواعتبرنا استحسان أهل النظر، أو الأكثرية دون المطالبة بسند شرعي فانه مسلك خطير.

ثانيا ــ قبل انه ثبت عدول الشرع عن العموم الى الخصوص، فقد نهى عن بيع المعدوم ثم عدل فرخص في بيع السلم. وهذا يعني تجويز الإستحسان والعدول، والرد على مثل هذا الاستدلال سهل:

فانه كيف يعتبر ماشمي هنا بالعدول، دالاً على علة العدول، وهو الاستحسان ... إنَّ هذا

الدليل لايعرض إلا سنة جرى عليها الشارع، وهي بيان بعض العمومات، ثم المجيء بمخصص يكشف عن ان العموم لم يكن من قبل على سعته. وهل هذا إلا العمل بالسنة المخصصة واين هو من جعل الإستحسان اصلاً في قبال الأصول؟

الاجماع

و يقصدون به، إجماع الأمة على بعض الاستحسانات من قبيل؛ دخول الحمام، و شرب الماء من أيدي السقائين من غير تقدير لزمان المكث وتقدير الماء والأجرة.

وهذا الإجماع لو تمّ، فانما يقوم على هذا الحكم لاعلى منشئة المدعى وهو الاستحسان.

وماهو في الواقع إلا السيرة الممتدة الى عصر المعصوم وتقريره لها ــ كما عن الآمدي ــ.

وقد قال الحجة الغزالي: إنّ شرب الماء بتسليم السقاء مباح، واذا اتلف ماءه فعليه ثمن المثل، وهو المبذول له في الغالب، وباستلام السقاء للمال يتم القبول. وبهذا الأسلوب يعلل مسألة الدخول للحمام.

وربما كان هذا المعنى غير ملتفت اليه من قبل العرف، وانما هو يجري عقد معاوضة طبيعية في نظره.

مايرجع للعقل

وما يمكن صياغته في هذا المجال وأمثاله، مدعيان:

الاول: أنْ يقال: إنّ الأحكام قد وضعت لمصالح ومفاسد في متعلقاتها أوفي نفس جعلها ــ إنْ صحّ ذلك، ولم يرجع الى مصلحة في المتعلق ــ.

ولما كان فتح باب العدول للمجتهد، يحقق مصلحة، و يدفع مفسدة، اقتضى العقل بحكم العدل والسماح والرحمة فتح هذا الباب له.

ومع الغض عن أن القائل بالإستحسان، قد لايقبل مسألة التعليل بالمصالح والمفاسد. يقال إنّ الدليل أخص المدعى، فكيف يمكن اثبات ان الإستحسان بوجوهه حجة به، وغايته انه يؤدي إجمالاً الى تجويز العدول، وليكن العدول من قاعدة مقررة أو قياس بدليل وسند أقوى ولا نحتاج فيه الى دليل من هذا القبيل، وأين هذا من الاستدلال على حجية ما يستحسنه المجتهد؟ على انه يقال هنا إنّ المجتهد لو أدرك بعقله مصلحة تامة قطعاً وأدرك عدم مانع في إدائها للحكم قطعاً، أدرك حكم الشارع قطعاً تبعاً لذلك، ولكن أنّى له ذلك والعقول قاصرة عن ادراك ملاكات الاحكام؟

ثانيا: دليل الانسداد.

ويمكن ان يستدل به، لاعلى الإستحسان فحسب، بل على حجية كل ظن، وهو يتركب من مقدمات ــ انتهى بها صاحب كفاية الأصول ــ الى خمس ونتيجة، وملخصه:

(١) ــ إنّ هناك علماً اجمالياً بوجود تكاليف كثيرة في الشريعة.

(٢) ــ إنّ باب العلم التفصيلي، وكذا باب ما قامت عليه الحجة القطعية (و يسمى بالعلمي) مسدودان علينا.

(٣) ــ إننا نقطع بعدم جواز إهمال الأحكام وعدم التعرض لامتثالها أصلاً.

(٤) ــ كما نعلم بعدم وجوب الاحتياط التام بالإتيان بكل ما نحتمله للزوم العسر بل يحرم ذلك اذا أدى لاختلال النظام، بل قد لايمكن الاحتياط إنْ دار الأمر بين المحذورين.

والرجوع الى الأصل من استصحاب أو تخيير أو براءة أو احتياط، غير صحيح، لانه يتنافى و مقتضى العلم.

وهكذا تسد كل المنافذ واحداً بعد الآخر.

(٥) ــ إنَّ ترجيح الراجح على المرجوح، قبيح عقلاً، فلا يمكن ترجيح الوهم أو الشك على الظن.

والنتيجة، حجية الظن، أي ظن كان إلا الظن المنهي عن اتباعه.

وقد قام العلماء في مدرسة أهل البيت(ع) بمناقشة هذا الدليل مناقشة دقيقة وأبطلوه بشتى الاعتراضات عليه، مما لامجال للتعرض اليه، ولكننا نشير الى اعتراض هام يبطل أهم مقدمة وهي المقدمة الثانية، وهي انسداد باب العلم أو العلمي، فيقال كيف يدعى هذا وقد نهضت الأدلة القطعية على حجية الخبر مثلا ففتحت باباً علمياً واسعاً يؤدي بنا الى احكام الشريعة؟

بالاضافة لانفتاح باب العلم أحياناً والعلمي في موارد أخرى، وبهذا يبطل هذا الدليل.

وهكذا رأينا انه لم يثبت للإستحسان بمعنى ــ ما ينقدح في النفس ــ أي دليل يؤكد حجيته، فكيف يجعل أصلاً الى جنب الأصول الأخرى؟

أدلة النافين للإستحسان

إنَّ أبرز نُفاة الإستحسان، هوالشافعي ــ كما هو المعروف ــ.

وقال صاحب كتاب (الرأي في الفقه الاسلامي): إنَّ الذي ينفي الإستحسان بكل أنواعه هو ابن حزم لا الشافعي باعتبار انه ورد في كلام الشافعي أحيانا (إني أستحسن) وانه ــ أي الشافعي ــ إنَّما نفى القسم الأخير من معاني الإستحسان، إلا أنَّ الظاهر من كلامه انه ينفي الإستحسان العقلي أيضاً.

وقد صور اعتراض الامام الشافعي على الإستحسان بأشكال هي:

(أ)ــ إنَّ الشرع أوجب على المسلم اتباع حكم الله الذي وجد فيه نص خبر أو اجماع، أو اتباع حكم مقيس على ذلك، أمّا الحكم الاستحساني، فليس داخلاً في القسمين، وانما هو تصرف حسب الهوى والميل.

(ب) ــ إنَّه ما من واقعة إلاَّ ولله فيها حكم والطريق الى الحكم امّا أنْ يكون النص أو القياس، ولا طريق غيره، وهو تعبير آخر عن الرد الأول.

(ج) ــ إنْ أجاز المجتهد لنفسه أنْ يستحسن، فإنه أجاز لغيره أنْ يستحسن كذلك، فيقال في الواقعة الواحدة بضروب من الفتيا فان كان هذا جائزاً عندهم، فقد أهملوا أنفسهم، فحكموا حيث شاءوا، وان كان ضيقاً فلا يجوز أنْ يدخلوا فيه.

وهذه الاستدلالات قابلة للمناقشة:

اما الأول والثاني: فهما في الواقع ترديد للمدعي، إذْ التركيز في النزاع، يدور حول وجود طريق آخر غير النص والقياس أم لا، ولا مانع من أنْ يكون الإستحسان سبيلاً آخر. وهنا يقول الغزالي:

«لاشك انا نجوز ورود التعبد باتباعه عقلاً بل لورود الشرع بان ماسبق الى أوهامكم أو استحسنتموه بعقولكم أو سبق الى أوهام العوام مثلا فهو حكم الله عليكم لجوزناه».

اما التقرير الثالث: فلوتمَّ، لأغلق باب الاجتهاد، فليس الاختلاف في الفتيا يصلح دليلاً للرد على الإستحسان، ولكن الظاهر ــ كما تنبه اليه السيد الحكيم ــ انه يسير الى القسم الأخير، وهو مايقدح في النفس ــ ولا ريب في انَّ هذا القسم يؤدي الى الفوضى ــ كما تنبه له الشافعي ــ وهو بهذا مرفوض إسلامياً، بل يؤدي للتلاعب بالإسلام.

أمّا الغزالي فانه يرد الاستحسان بمسلكين:

الأول: إنَّ الإستحسان جائز الحجية عقلاً، ونحن نسلم للشرع حتى لو عبدنا بأوهام العوام،

ولكن ما الدليل عليه؟

أهي ضرورة العقل؟ وهي خلاف الحقيقة.

فيجب إذن أنْ يكون هناك سمع متواتر قطعي، لأنَّ ما بالغير يجب أنْ ينتهي الى ما بالذات، والاّ لتسلسل الأمر.بل لم تنقل الحجية له حتى اخبار الآحاد، ولو نقلت فانَّ الأصل لايثبت ــ عندهـ ــ بخبر الواحد، بحجة ان جعل الإستحسان مدركاً من مدارك أحكام الله تعالى بمنزلة الكتاب والسنة والاجماع وأصلاً من الأصول، لايثبت بخبر الواحد، ومهما انتفى الدليل، أوجب النفي وكان الغزالي يريد بهذا ما شاع لدى الاصوليين من أنَّ الشك في الحجية كافٍ للقطع بعدمها.

وهذاالدليل تام في نفسه،إلا أنَّ ادعاءعدم كفاية خبر الواحد لاثبات حجية الأصل مما لاوجه له بعد القبول بقيام الدليل القطعي على حجية خبر الواحد ذلك انه يقطع التسلسل المشارإليه.

الثاني: إنّا نعلم قطعاً بأنَّ الأمة أجمعت على انَّ العالم ليس له أنْ يحكم بهواه، وذلك قبل أنْ يأتوهم بهذا الأصل، والإستحسان مصداق للهوى والشهوة.

ولكن هذا الدليل أيضاً تكرار للمدعى.

ختام البحث

سرنا مع الإستحسان،ورأينا انّه لا يستند الى ظواهر لفظية تعينه، وتعيّن حجيته، ولا الى ملازمة عقلية بعد أنْ ناقشنا دليل العقل.

فلم يبق لدينا إلا أنْ نقول:

ان اريد من الإستحسان، المعنى المدعى له من قبل جماعة وهو تقديم أقوى الدليلين، فما أمسته وأمتن حجته! ولكنه مع ذلك لايعود أصلاً في مقابل الأصول الباقية.

أمّا لو أريدت المعاني الأخرى فلا، دليل عليها، والشك في الحجية كافٍ للقطع بعدمها.

هذا،

ويمكن أن يدعى ان الإستحسان بالمعنى غير المقبول آنفا، يشكل أحد أظهر مصاديق الظن المرفوض بقوله تعالى:

«ان الظن لايغني من الحق شيئاً». وكذلك قوله تعالى «ولا تقف ما ليس لك به علم» وكذا «ان يظنون إلاظنا» وما الى ذلك من النصوص الناهية عن العمل بالظن.

أمّا إذا شئنا أنْ نستثني منه الإستحسان ــ بهذه المعاني الفضفاضة والمصالح المرسلة وأمثالها، لم يبق هناك شيء يستحق الذكر مما تنطبق عليه هذه الآيات، فيبقى النهي عن الظن بلا موضوع ــ كما يقول المرحوم المظفر ــ ومن الطبيعي ان يقبح تخصيص الأكثر فضلاً عن التخصيص الذي لايبقى موضوعاً للعام.

وهنا نقول:

انه ما أحوجنا ــ و نحن نعيش فترة تتطلب أنْ يفهم كل منا الآخر ــ الى بحوث مقارنة تنفي أي جمود على معطيات معينة، ومن بعد يحصل التفاعل المرجو،لتختمر الأفكار برهة، ثم لنشهد انَّ ما عشناه من التمزق ــ في الغالب ــ لم يك إلا حصيلة عدم التلاقي والتفاهم والتحليل العلمي وتسليم الأمورالى أهلها المتخصصين بها. وستجد ان كثرة كاثرة من المواضيع التي قام عليها الخلاف لا بين مذهب ومذهب بل حتى بين المذاهب كلها، يعود الى اختلاف في المصطلح أوفي الجهة، و من هذه المواضيع؛ الاستحسان.

فمنهم من عدّه بدعة و نشر يعاً، وآخرون عدّوه تسعة أعشار العلم، في حين أنَّ البحث يطوي هذه المسافة الشاسعة بين الرأيين، و يعود النزاع لفظياً.

فالى الفناء الفكري الأوسع، ندعو كل الساحتين والمسلمين عموماً. ولنقف كلّ العوامل المزقة التي تشكل خسراً تمر عليه خطط الاستكبار العالمي لمحض، ولنرفض كلّ أولئك الذين يبنون عروشهم على أركام الخلاف بين المسلمين، في حين يدعوهم ربهم و قرآنهم و إسلامهم و لزوم الحفاظ على شخصيتهم ووجودهم المتعرض للتآمر الكافر ضده، يدعوهم الى الاعتصام والتلاحم والنظر الى الخلاف الفكري على انه رحمة، وعدم تحويله الى نقمة و عذاب.

مراجع البحث

• كفاية الأصول للمحقق محمد كاظم الخراساني المكتبة العلمية طهران طبع ونشر (١٣٧٤).

• أصول الفقه محمد رضا المظفر المطبعة العلمية النجف (١٣٧٨ ١٩٤٩).

• المستصفى من علم الأصول لأبي حامد الغزالي ـ القسم الأول مصطفى محمد مصر (١٣٥٦/١٩٤٧).

• المعالم الجديدة للأصول آية الله الشهيد الصدر مطبعة النعمان ـ النجف (١٣٨٥).

• حلقات في علم الأصول آية الله الشهيد الصدر الطبعة الاولى / بيروت دار الكتاب اللبناني سنة ١٩٨٠.

• أصول الفقه الاسلامي للدكتور زكي الدين شعبان دار التأليف ـ مصر (١٩٦٥).

• أصول الفقه الشيخ محمد الخضري ط ٢ الاستقامة ـ مصر (١٣٥٨/١٩٣٨).

• ملخص إبطال القياس والرأي والإستحسان والتقليد والتعليل لابن حزم دمشق ـ (١٣٧٩/١٩٦٠).

• روضة الناظر وجنة المناظر عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي المطبعة السلفية ـ القاهرة (١٣٧٨).

• الأصول العامة للفقه المقارن السيد محمد تقي الحكيم ط ١ ـ دار الاندلس ـ بيروت (١٩٦٣).

• الرسالة للامام المطلبي الشافعي ط ١ ـ مصر (١٣٥٨ـ١٩٤٠).

• الاحكام في أصول الأحكام لسيف الدين الآمدي ج ٤ مؤسسة الحلبي ـ مصر.

• المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري المعتزلي ج ٢ المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت (٣٠ نشر بن الاول / ١٩٦٤).

• الاعتصام لابراهيم بن موسى الشاطبي مطبعة السعادة ـ مصر.

• الموافقات لأبي اسحاق الشاطبي ج ٤ المطبعة الرحمنية ـ مصر (١٩٦٥).

المعرفة بلغة الفطرة

الفصل الرابع

سلسلة من المحاضرات التي القاها

آية الله الشهيد الدكتور بهشتي

موضوع الذهنيات

سنتطرق في هذا الفصل الى: المعرفة والذهنية، والصور الذهنية.

لكن وقبل كل شيء نتساءل: هل ان الصور الذهنية متغيرة أم ثابتة؟ واذا كانت متغيرة فما القاعدة التي تبتنى عليها تلك التغيُّرات؟

نحن نلاحظ الثبات والتغيُّر في أمورنا الذهنية وذهنياتنا.

١ ـ نقول ـ في بعض الأحيان: إنَّ ذهنياتنا تتغير ازاء الأشياء على سبيل المثال نقول:

«عندما جئنا في العام الماضي الى هذه المنطقة فان مساحة كبيرة من اراضيها كانت متروكة، لكنها اليوم عادت تضم أبنية كثيرة».

وهذا التغيُّر يعتبره الأفراد العاديون، تغيُّراً في الذهنية، حيث يقولون: «إنَّ الصورة الذهنية التي كنتم تحملونها في العام الماضي حول هذه المنطقة قد تغيَّرت اليوم، إذ انكم حصلتم على صورة ذهنية أخرى».

في حين ان الصورة الذهنية لم تتغير هنا، والذي حصل هو ان موضوع المعرفة قد تغيَّر. فالصورة الذهنية يجب ان تبقى على حالها، لكي يكون بمقدورنا أن نقول: إنَّ اراضي هذه المنطقة كانت متروكة في العام الماضي، بينما أُحدثت عليها بعض الأبنية في هذا العام.

فعندما نقول بتعجب: «لقد أُحدثت أبنية عديدة في هذه المدة» فإنَّ كلامنا هذا يعني ان الصورة الذهنية التي كُنَّا نحملها في العام الماضي

عن هذه الأرض أو هذه المنطقة لازالت باقية في أذهاننا. وفي هذه المرة نحصل على صورة ذهنية جديدة عن هذه الأرض، ثم تقوم أذهاننا بمقارنة الصورة الذهنية التي كانت تحملها في العام الماضي ولا تزال، مع الصورة التي تحملها في الوقت الحاضر بعدها نقول بتعجب؛

«إنَّ أبنيةً كثيرة قد أُحدثت في العام الماضي!»

إذن فان هذا التغيير الذي طرأ على صورتنا الذهنية، لايمكن اعتباره تغيراً في صورتنا الذهنية التي حصلنا عليها في العام الماضي. إذ ان الصورة السابقة باقية على حالها، كما واننا نملك صورة جديدة في هذا العام. وعندما نقارن هاتين الصورتين مع بعضهما نشاهد تغيُّراً في موضوع المعرفة، أي تغيُّراً في وضع الأرض.

٢ ــ وأحياناً يكون التغير في الصورة نفسها، كأنْ تزورون مدينةً وتتجولون في شوارعها وأزقتها وتتعرفون عليها، فتبقى صورة من المدينة أو منطقة من المدينة مع شوارعها وازقتها وأبنيتها وعلاتها في أذهانكم. ثم تسافرون بعد عام الى نفس المدينة وانتم تحملون صورة سابقة عنها، فتجدون اختفاء بعض المناطق من الصورة السابقة، أي ان بعض الأماكن التي كانت معروفة لكم في العام الماضي قد اصبحت غير بيِّنة عليكم في هذا العام. وحين تمعنون النظر فيها بشكل جيد تتذكرون انكم زرتموها في العام الماضي.

أوعلى سبيل المثال عندما تمرون في شارع تقولون مع أنفسكم؛ صحيح، إننا جئنا الى هذا الشارع في العام الماضي، في حين تصورنا اننا لم نَرَ هذا الشارع من قبل. وهذا يعني ان الصورة التي كنتم تحملونها عن الشارع قد تغيَّرت بعض الشيء، وبعبارة ثانية ان جزءاً منها قد حذف. لذلك فعندما تزورون تلك المدينة مرةأخرى فان الصورة الباقية في أذهانكم حول تلك المدينة تختلف بعض الشيء عن الصورة التي كنتم تحملونها في العام الماضي.

٣ ــ وتكون الصورة في بعض الأحيان مزيفة. مثلاً انكم تحملون صورة عن منطقة ما، إلا انّ تصوراتكم قد اضافت أشياء جديدة الى تلك الصورة، أي ان صورة العام الماضي كانت صحيحة وقد اختفت اجزاء منها بمرور الزمان، بينما اضافت تصوراتكم بعض الأشياء الجديدة الى تلك الصورة وعندما تزورون المنطقة من جديد تلاحظون ان هذه المنطقة لا تشبه المنطقة التي كانت صورتها في أذهانكم، بمعنى ان أذهانكم اضافت اشياء جديدة لهذه المنطقة.

على سبيل المثال: انكم ذهبتم في العام الماضي الى بُستان وكان هناك بناء وأمامه حوض ماء من نوع الأحواض العادية الموجودة في اكثر البساتين، وذهبتم أيضاً الى مكان آخر فيه حوض مجهز ومنظم. و بمرور الزمان تختلط الصورتان في أذهانكم بحيث تتصورون ان الحوض المنظم يوجد في ذلك البستان. وعندما يقولون لكم أتأتون معنا الى البستان؟ تجيبون بنعم وتقولون مع أنفسكم؛ حسناً، سنذهب الى البستان ونستفيد من بنائه وايضاً من حوضه المنظم والمجهز. لكن عندما تدخلون البستان تلاحظون ان الحوض الذي كنتم تحلمون به غير موجود هنا، ثم تتذكرون ان الحوض لم يكن في ذلك البستان بل في مكان آخر.

وعلى هذا الأساس فانكم في هذا العام تذهبون الى ذلك البستان وانتم تحملون صورة ذهنية عنه، لكن تلك الصورة قد تغيَّرت، و يتمثل التغير بمايلي؛ وهو ان شيئاً جديداً (صورة الحوض المنظم والمجهز) قد جاء من مكان آخر واضيف الى (صورة البستان).

فالتغيُّر في التصورات الذهنية يتمثل باختفاء جزء من الصورة أو اضافة اشياء جديدة عليها.

اما كيف تغيّرت هذه الصورة الذهنية؟ فهو بحث بحد ذاته، لكننا الآن لانتوي خوضه، حيث نريد ان ندفع ببحثنا نحو جهة معينة.

في المثال الأول الذي قلنا فيه؛ إننا ذهبنا في العام الماضي الى منطقة كانت أبنيتها قليلة، وحين ذهبنا اليها في هذا العام وجدنا أبنية كثيرة، فان تغييراً طرأ على صورتنا الذهنية عن تلك المنطقة. وهذا التغيير تابع لمتغير آخر الا وهو موضوع المعرفة، أي وضع الأرض المتغيرة لتلك المنطقة. إذن فان التغيير الذي طرأ على الصورة الذهنية، تابع لتغيّر في الموضوع الخارجي نفسه.

اما في المثالين الثاني والثالث، فان التغيير حصل في ذهنياتكم، حيث لا المدينة تغيّرت ولا البستان، وان التغيير الحاصل في ذهنياتكم وصوركم الذهنية ليس تابعاً لتغير في موضوع المعرفة. لكن لأي شيء يتبع؟ يتبع لأمر آخر سنتعرف عليه فيما بعد.

وهناك تغيّر آخر، الا وهو التغير الذي يطرأ على الدماغ و بقية اعضاء المعرفة. فدماغ الانسان يتغير بعض الشيء بالضبط مثل بقية اعضاء الجسم، حيث يخضع؛

أولاً: لتغييرات مستمرة: فكل ذرة من ذرات الدماغ تحتوي على حركة في داخلها مثل سائر الذرات الأخرى، فهي تتجزأ وتبدأ بالتغذية.

ثانياً: ومثلها تنمو بقية أعضاء جسم الإنسان فان الدماغ ينمو في مرحلة النمو و يتجزأ بعد تلك المرحلة ثم يبدأ بالتغذية فينمو من جديد. لكن بأي ميزان، هل مثل بقية الأعضاء أو بميزان آخر؟ فهو بحث لانريد خوضه.

و بصورة عامة توجد حالة من التغيُّر والتجدد في الدماغ وفي الأجهزة العصبية وفي الأعضاء الأخرى.

لكن هل ان التغييرات التي تطرأ على ادراكاتنا تابعة لهذا المتغير (اي التغييرات التي تطرأ على الدماغ والأعصاب واعضاء الجسم)؟ أم انها غير تابعة لهذا المتغير؟ وهذا سؤال في غاية الأهمية.

و يتم في التفسير المادي للادراك والذهن، الاهتمام بهذه المسألة وهي ان هذه التغييرات هي جملة من التغييرات الفيزياوية في الدماغ وفي الأعصاب.

هل هذا الكلام صحيح؟

لنضرب مثالاً: لو سُئِلَ انسان عادي لم يقرأ في حياته كتاباً ولايتابع البرامج التعليمية للاذاعة والتلفزيون، عن كيفية حصول الليل؟ فانه يقول ان الشمس تهبط في مكان فيحصل الغروب. وعندما يُسأَلُ عن السبب في عدم اضاءة القمر؟ يقول؛ ان القمر يتحرك من المشرق الى المغرب ويهبط هناك، وهذا كل ما أعرفه. فاذا قيل له؛ ان الأرض كروية، يقول؛ لقد فهمت! ان الشمس تدور حول هذه الكرة! وكذلك الحال بالنسبة للقمر.

فعندما نزوده ببعض المعلومات ونفهمه بان شروق الشمس وغروبها وطلوع القمر وغروبه لاعلاقة لها بحركة الشمس والقمر، بل ان الأرض ومافيها تدور كل يوم، وبذلك تواجه الشمس في مرة والقمر في مرة أخرى. فشروق الشمس وغروبها يتوقفان على حركة الكرة الأرضية، لا على الحركة الانتقالية للقمر أو الشمس.

و بعد ان يفهم ماهية الأمر يتغير ادراكه وايضاً معرفته للأشياء.

في الأمس كان ذلك الشخص يتصور ان القمر والشمس يتحركان في الفضاء و يدوران حول الأرض، بينما يفهم اليوم ان شروق الشمس وغروبها أوطلوع القمر وغروبه لايحصلان نتيجةً لحركة الشمس أو القمر، بل نتيجة لحركة الكرة الأرضية التي تدور حول نفسها.

والآن نسأل؛ هل أن تغيرّ الرأي والمعرفة يعتبر تغيراً في إدراكات ذلك الشخص؟ أم انه حصل على ادراكات جديدة؟ وهل تغير ادراكه السابق؟ أم لم يتغير إدراكه السابق بل فهم انه كان على خطأ في كلامه السابق، ذلك انه كان لحد اليوم يقول ان الشمس تدور حول الأرض وهكذا الحال بالنسبة للقمر؟.

إذن، فالذي تغيّر هو انه كان يتصور بان ادراكه صحيح، لكنه يعي ـ الآن ـ بطلان و خطأ تصوره، و بذلك حصل على إدراك جديد.

فالشيء الذي تعتبرونه تغيّراً في الإدراك ليس صحيحاً، حيث ان الادراك السابق باق على حاله، وقدظهر ادراك جديد وذهنية جديدة، وتقول هذه الذهنية الجديدة بان ذهنيتي السابقة كانت باطلة.

ولنفرض ان هذا التغير يُدعى تغيُّر الادراك، فهل ان التغيير الذي طرأ على ادراك ذلك الشخص تابع لتغيُّر الدماغ؟ أي بما ان هذه المادة الرمادية اللون للدماغ قد تغيّرت خلال هذه المدة من ناحية التغيُّرات الفيز ياوية والتغيُّرات المادية، لذلك حصل تغير في ادراك الشخص وفي رأيه ومعرفته.

هل هذا الكلام له اساس من الصحة؟ أم لا، ان منشأ هذا التغيُّر في الرأي والمعرفة ليس الا المعلومات التي اعطيت له؟ أيهما؟

فلولم يُزوَّد ذلك الشخص بهذه المعلومات، فهل ان تغييرات فيز ياوية كانت لا تطرأ على دماغه نتيجة للتغذيه؟ الجواب: نعم كانت تطرأ.

وهل ان ذلك النمو للدماغ وتغذيته وتجزأه ونموه من جديد لم تكن كافيه لاعطائه مثل هذا الإدراك الجديد الجواب: كلا.

إذن لانستطيع ان نقول: ان التغيير الذي طرأ على معرفة ذلك الشخص كان تابعاً لذلك المتغيّر.

صحيح ان ذلك الشخص قد نما دماغه وتجزّأت خلاياه وحصل دماغه على خلايا جديدة بمساعدة جهاز التغذية ودوران الدم. كل هذه الأشياء، صحيحة، لكنها لاعلاقة لها بشكل مباشر وليست لها علاقة كاملة مع تغيُّر رأي ذلك الشخص في نظام الشروق والغروب، حيث ان منشأ هذا التغيير في فكر الانسان ليس التغيُّرات الفيز ياوية للدماغ، بل شيء آخر الا وهو المعلومات التي زودت له.

وعلى هذا الأساس فان التغييرات التي تطرأ على الادراكات، ليست تابعة على ـ الدوام ـ لتغيُّر في الوضع المادي والفيز ياوي للدماغ وأجهزة الادراك والأعصاب.

والمهم هنا هو ان التغيُّر في إدراكاتنا يمكن ان يكون منشأ لتغيُّرات جينيه دقيقة، اي انه من الممكن أن نقبل بان مع كل تفكر وتصور جديد ومع أية معلومات جديدة يحدث تحول جديد في جينات (مورّثات) الدماغ. على سبيل المثال انني في الوقت الحاضر اتحدث معكم وأشرح لكم مواضيع جديدة. لذلك يمكن ان يحدث تحول فيز ياوي في جينات أدمغتكم مع كل موضوع اطرحه. لكننا لانستطيع ان نقول بان التغييرات التي تطرأ على ادراكاتنا تابعة لهذه التغييرات الجينية. بل على العكس، يبدوأن التغييرات الجينية التي تطرأ على أدمغتكم على اثر التعلم واكتساب معلومات جديدة تابعة لهذه الادراكات الذهنية الجديدة والتغيُّر في الادراكات.

والمسألة الهامة الأخرى هي: هل ان هذا الأثر المادي الجيني، الذي يظهر في خلايا الدماغ على اثر التعلم يبقى في الجينات (الجينات التي تشكل الآلاف منها خلية واحدة) أم لا ان هذا الأثر الجديد يزول ولن يبقى ثابتاً في مقطع زماني على الدوام؟ و بعبارة ثانية هل ان الأثر الفيز ياوي الجيني الذي يطرأ على جين من خلية الدماغ نتيجة للتعلم، يبقى في ذلك الجين؟ أم ان هذا الأثر يزول على اثر التغيرات الفيز ياوية.

فلو قلتم ان هذا الأثر الجيني يبقى في خلية الدماغ، فهذا يعني اننا نواجه في مجال الأمور الذهنية، سلسلة من الواقعيات العينية الثابتة في الجينات المكوّنة للدماغ؟

وايضاً لوقلتم ان هذه الآثار الجينية لا تبقى على حالها وتزول بمرور الزمان فاننا سنواجه سؤالاً هاماً يتوجب الإجابة عليه وهو:

مما لاشك فيه اننا نملك ذهنيات بقيت في اذهاننا لفترة قصيرة، فكيف ذلك؟

لنضرب مثالاً عينياً: اغلقوا اعينكم ثم افتحوها وانظروا الى هذه اللوحة. هذه اللوحة مدون فيها عبارة «بسم الله الرحمن الرحيم». فهل هناك عدا هذه العبارة كلمة أخرى وحرف آخر؟ كلا.

ثم اغلقوا اعينكم مرة أخرى وافتحوها من جديد وانظروا الى اللوحة.

والسؤال هو: هل انّ حرفاً حذف خلال هذه المدة الزمنية من عبارة «بسم الله الرحمن الرحيم» أم لم يحذف؟ وهل أضيف حرف جديد الى اللوحة؟ الجواب كلا.

إذن كيف اجبتم بكلمة: كلا؟

وكيف تستطيعون ان تجيبوا قائلين: انه لم يُحذف اي حرف من العبارة ولم يضف لها حرف خلال هذه المدة الزمنية؟

بديهي انكم تحملون في الوهلة الأولى صورة عن اللوحة، وتحملون صورة أخرى في المرة الثانية، وعندما تقارنون الصورتين مع بعضهما تقولون: لم يضف أيُّ حرف للعبارة ولم يُحذف شيء.

وهل يوجد جواب غير هذا؟

واضح انه لايوجد غير هذا الجواب.

لكن هل تستطيعون الآن ان تقولوا كيف احتفظتم في اذهانكم بالصورة الذهنية التي حصلتم عليها في المرة الأولى الى وقت حصولكم على صورة ذهنية أخرى وحتى مقايستها مع بعضهما واصدار الحكم بشأنها؟

هذا الأمر لايخرج عن نطاق إحدى الحالتين التاليتين:

امّا ان تقولوا إنّ الصورة الذهنية الأولى قد ظهرت بصورة أثر مادي جيني في خلايا الدماغ ولازلنا نحتفظ بهذا الأمر (بشكل ثابت اوكاتيتين). وهذا يعني انّ القبول العيني الجيني ثابت أو ان تقولوا: بما ان الأمر المادي في حالة تغيّر مستمر فان صورتنا الذهنية هذه مستقلة عن ذلك التغيُّر المادي المتواجد دائماً في جينات أدمغتنا لذلك فان الصورة الذهنية تبقى ثابتة لنا في أذهاننا سواء لخمس دقائق أو لخمس ثوان. وعلى هذا فاننا تعرّفنا على أمر ذهني وذهنية ثابتة غير متغيرة وليست تابعة لتغيُّرات الدماغ.

وأقول مرة أخرى: اننا خلال دراستنا لهذا الحدث الذهني البسيط والواضح، توصّلنا الى النتيجة التالية وهي: اما ان حصل الترجيني وصورة جينية على مادة ادمغتنا من خلال النظرة الأولى الى اللوحة ولم يتغير الى زمان النظرة الثانية. واننا استطعنا من خلال بقاء الأثر المادي الجيني، مقارنة ما استطعنا ان نحصل عليه في المرة الثانية مع ما حصلنا عليه في المرة الأولى. وفي هذه الحال فاننا اعترفنا بقبول ثبوتية الواقع العيني الخارجي في ادمغتنا وان كان بمقدار معين ولفترة زمنية قصيرة.

أو نقول اننا استطعنا ان نقارن الصورة الذهنية التي ظلّت في أذهاننا مع الصورة التي حصلنا عليها في النظرة الثانية. وان الآثار الجينية قدظللت في اذهاننا. وفي هذه الحالة نتوصل ايضاً الى امر ذهني ثابت.

والنتيجة هي:

توجد في الأذهان أمور ثابتة حتى ولو لفترة زمنية قصيرة. وهذه الأمور الثابتة يمكن ان تكون عبارة عن صور جينية ثابتة في خلايا الدماغ وفي الجينات

المكوّنة لخلايا الدماغ. ويمكن ان تكون مستقلة عن الدماغ وتغيراته المستمرة. الا ان النتيجة هي واحدة لاغير وهي اننا نمتلك اموراً ذهنية ثابتة حتى ولو لفترة قصيرة.

لذلك اتضح لدينا ان الفكر المادي لو استطاع ان يقنع شخصاً على ان المادة هي في حالة تغير مستمر وليس لنا واقع ثابت في العالم، فان دراسة الأمور الذهنية توضح لنا ان هناك واقعاً ثابتاً في العالم. وذلك الواقع الثابت أوالأثر الثابت يتواجد في جينات الدماغ، أو مستقل عنه «أمر ذهني مستقل عن الجينات وثباتها وتغيراتها».

ظاهرة الغلاء في النظام الرأسمالي

الاستاذ الشهيد محمد صالح الحسيني

إنّ ظاهرة الغلاء الفاحش في وسائل المعيشة في ظل الأنظمة الرأسمالية التي يعاني منها ملايين الناس الكادحين في معظم بلدان العالم، ليست أزمة طارئة ولا هي حالة استثنائية بالنسبة لطبيعة وأهداف النظام الاقتصادي الذي يحدد سير المعاملات الانتاجية والاستهلاكية.

حيث ان قواعد التفكير والأسس والقوانين والمفاهيم التي يتقيد بها كل من يعمل في ظل النظام الرأسمالي وجميع انواع الممارسات الاقتصادية هي التي تخلق ظاهرة الغلاء الخانقة. فالظاهرة إذن هي احد افرازات النظام والنتيجة الطبيعية لأسسه المذهبية.

أما النظام الاقتصادي الاسلامي المرتبط أشد الارتباط بالنواحي الفكرية والروحية والانسانية والمثل والقيم الخالدة فانه يختلف تمام الاختلاف عن النظام الاقتصادي الرأسمالي بكل وسائله وأهدافه وغاياته خلال جميع مراحل الانتاج والاستهلاك، ولذلك نرى اختلاف النتائج كلياً في المجتمعين الاسلامي والرأسمالي.

فقواعد التفكير التي تتحكم بعمليتي الانتاج والاستهلاك في النظام الرأسمالي والتي تسبب، بالضرورة حدوث ظاهرة الغلاء واختناق الجماهير اقتصادياً و اختلاف قواعد التفكير هذه مع مثيلاتها في النظام الاقتصادى الاسلامي وتباين الغايات والنتائج هي كمايلي:

١ ــ حرية التصرف في الملكية:

لم يضع النظام الاقتصادي الرأسمالي أي حدود لحرية التصرف بالملكية، فالمواطن له تمام الحرية في التصرف بملكه في عمليتي الانتاج والاستهلاك، وان اعطاء مثل هذه الحرية يفسح المجال لممارسات استغلالية واستثمارية ظالمة و يعطي المبررات القانونية لظهور ونمو الانانيات البغيضة و بالتالي نشوء الأحقاد والتصارع الخطير على وسائل المعيشة والتكالب على جمع الأموال بأية وسيلة وتكديس الثروات بدون حدود أومراعاة للآخرين. ورغم

مافي هذه الحرية من حسنات في زيادة الانتاج العام في المجتمع وظهور المبادرات والابداعات نتيجة للتنافس الشديد بين الافراد ولكنها تخلق من التمزق والتشتت والتحلل الاجتماعي امراضاً اجتماعية تأتي على جذور وأسس لبناء المجتمعات. لذلك نرى النظام الاقتصادي الاسلامي يضع حدوداً لحرية التصرف في الملكيات فهو يحدد سيطرة المالك على ملكه و يلزمه بالانتفاع بما ينفع الجماعة وعدم السماح له بالانتفاع بما يضر الجماعة، لأنَّ اصل الملكية في الاسلام نابع من اعتبارها وظيفة اجتماعية يؤديها الفرد لمنفعة الجميع بمافيهم الفرد ذاته... اذ لا ضرر ولا ضرار في الاسلام... كما قالها رسول الانسانية ومنقذها محمد بن عبدالله (ص) عند ما اراد سمرة بن جندب ان ينتفع بملكه ومارس حقه بالتصرف فيه بما يضر شخص آخر فمنعه حينئذ من ممارسة سيطرته على ما يملك..

من هذه القاعدة العظيمة نستنتج بان الفرد في المجتمع الاسلامي وتحت ظل النظام الاقتصادي الاسلامي ليس حراً في مايريد في عمليتي الانتاج والاستهلاك بل هو مقيد بمبدأ منفعة المجتمع وعدم الاضرار به...

٢ ــ النقد ومشاكله:

عندما كانت الحياة الاجتماعية بدائية كانت عمليتا البيع والشراء تتمان بالمقايضة اي بتبادل السلع مباشرة بدون أية وساطة مثل النقود ــ اليوم ــ، و بعد ان تعقدت وسائل المعيشة بنشوء الحضارة اضطر الانسان لانشاء الوسيط في عملية التبادل تلك فكان النقد... واصبحت العمليتان البيع والشراء منفصلتين تماماً... ويمكن القول بان للنقد دورين اساسيين في المعاملات بين الناس هما:

١ ــ المقياس العام للقيمة.

٢ ــ والأداة العامة للتبادل.

فمن اجل تحديد قيمة آلاف البضائع تقاس جميعها بالنسبة لشيء واحد وهوالنقد، فهو بذلك اصبح المقياس العام للقيمة... وتشترى وتباع كل تلك البضائع بواسطته ايضاً، فهو الأداة العامة للتبادل...

اذن الغاية من وجود النقد هي حل مشكلة التبادل ــ أي البيع والشراء ــ في المجتمع المتحضر. وليس شيئاً آخر قط. ولكننا نرى بان النقد قد تحول الى اداة اكتناز، واختزان لقوة العمل مما سبب تكوين اضطراب قاعدة العرض والطلب، أي تحول الى مشكلة بعد أنْ كان وسيلة لحل مشكلة.. فباكتناز النقد و غيابه عن سوق التداول والتبادل تبرز الظواهر الاقتصادية الخطيرة في المجتمعات كظاهرة الغلاء.

والنظام الرأسمالي قد شجَّع هذه الظاهرة باغراء اصحاب الأموال «بتشغيلها» وأخذ الفوائد منها بدون المباشرة بأي عملٍ انساني، مثل فائدة البنوك وفائدة الربا وغيرها، وقد برر تلك الفائدة بمبررات زائفة و خاطئة خلقت أخطر الحالات بالنسبة للجماهير الكادحة في المجتمعات.

بينما نرى النظام الاسلامي يمنع مثل هذا التحول في الغاية الأساسية من النقد ويحصره في نطاقه النافع للجميع. قال الامام جعفر الصادق (ع): «**إنَّ الله انما اعطاكم هذه الفضول من الأموال لتوجهوها حيث وجهها الله، ولم يعطكموها لتكنزوها.**»

ولم تكتشف الشريعة الغراء في النهي عن اكتناز النقد بل عمدت الى عدة تشريعات للحد من تراكم هذا الاكتناز الخطير فوضعت ضريبة الزكاة السنوية و شريعة نظام الارث الذي يفرِّق الثروات المجتمعة الى أيدٍ عديدة وغيرها من الانظمة والقوانين والضرائب.

٣ ــ الغاية من الانتاج:

ان هدف جميع الانظمة الاقتصادية على

اختلافهما هو زيادة الانتاج وتنميته واتباع أفضل الوسائل لتطويره وتنويعه.. ولكن الاختلافات تبرز عندما نريد أن نحدد الغاية والهدف من وراء الانتاج وزيادته وتطويره...

فالنظام الرأسمالي يفصل ما بين عمليتي الانتاج والتوزيع، و يدّعي بان الغاية من وراء الانتاج هي تلبية طلبات المستهلكين، فهو:

أولاً: يعتبر عملية الانتاج، عملية مستقلة بحد ذاتها، و يسن لها القوانين بعيداً عن عملية التوزيع، و بذلك ينقل الصراع فيما بين زيادة الانتاج ونموه وتطوره من جهة وعدم تلبية الطبيعة من توفير الامكانات المادية من المواد الخام والثروات من جهة اخرى فتصبح المشكلة في كيفية استغلال الثروات الطبيعية الى اقصى حد لتلبية هدف زيادة الانتاج. فبهذه الطريقة ينجح المجتمع في تحقيق نمو عام في الانتاج لامثيل له وتتحقق القفزات الهائلة نحو الامام ولكن يتم كل ذلك على حساب أوسع الجماهير من الكادحين.. حيث تتركز الثروة والخيرات وارباح زيادة الانتاج في يد حفنة صغيرة جداً من الناس وهم أصحاب الحظوظ والذكاء والمقدرة وتمنع أوسع الفئات من كل تلك الخيرات، بل وتعيش الجماهير الشعبية في حالة الارهاق الكلي والبؤس وعدم الاكتفاء المعاشي والانسحاق التام تحت اقدام الانتاج العام، لان خطوات الانتاج لم ترسم على ضوء سعادة ورخاء الجماهير بل رسمت من أجل زيادة الانتاج فحسب، أي من أجل زيادة ارباح النظام الرأسمالي.

ثانياً: يدّعي بانه يقوم بعملية الانتاج من اجل تلبية طلبات المستهلكين!! ولكننا نرى بان الرأسماليين يلبون الطلبات التي تملك القدرة النقدية فقط ولايعيرون أي اهتمام الى أي طلب اجتماعي لايوجد مقابله رصيد أو قوة نقدية شرائية.. فهم يتراكضون لانتاج أي بضاعة يطلبها الموسرون واصحاب الدخول ولايفتش أي منهم عن طلبات الجماهير الفقيرة والسبب واضح جداً، و ذلك لان الفقراء لايملكون القوة الشرائية.. فهدف الانتاج في النظام الرأسمالي اذن هو الربح، وليس الأخلاق والمثل والقيم الانسانية أي دخل في ذلك، بل وهناك وسائل حقيرة يستعملها الرأسماليون بواسطة الاعلام ومعارض الازياء لخلق الحاجات الدائمة عند الموسرين لتصريف الانتاج ولوكانت تلك الحاجات مزيفة..

اذن هناك وسائل حقيرة لخلق الحاجات عند الاغنياء وعدم بذل أية محاولة لتلبية الحاجات الطبيعية والضرورية للفقراء. أهناك دليلٌ أوضح من هذا على ان هدف الانتاج في النظام الاقتصادي الرأسمالي هو الربح المادي فحسب؟

بينما نرى النظام الاقتصادي الاسلامي الى جانب اهتمامه بزيادة الانتاج ونموه وتطوره يهتم بطريقة توزيع هذا الانتاج، والغاية التي يجب ان تكون لخير الناس جميعاً، و يعتبر النظام الاسلامي بان المشكلة ليست في عدم تلبية الطبيعة لاغراض زيادة الانتاج، بل المشكلة كيفية توزيع الانتاج بين الناس، فالصراع حاد وعنيف مع الظالمين والجشعين والمستغلين والمحتكرين الذين يريدون تكديس الثروات، الصراع حاد وعنيف من أجل تحقيق العدالة والسعادة والرخاء للناس كافة.

النظام الاقتصادي الاسلامي يوضح نظرته بالنسبة للانتاج ببعض النصوص التي تبدو متناقضة للوهلة الأولى ولكنها في الحقيقة تعبّر عن الانتاج كسلاح ذي حدين، فالنظام الاسلامي بنصوصه هذه يحدد موقفه من الانتاج حسب الغاية والهدف من وراء الانتاج.. فان كانت الغاية من وراء الانتاج الخير العام والرخاء الكلي وتوزيعه بعدالة بين الناس فهو موافق على ذلك بل مشجع ودافع اليه.. وانْ

كانت الغاية هي الاستئثار بالخيرات وحرمان الجماهير منه فهو يقف ضده و ينهي عنه و يعتبره رأس كل خطيئة. وطبيعي ان مصطلح الانتاج هو حديث ولم يكن مستعملاً في زمان تلك النصوص، وكان البديل له هو نعابير: الغنى، والدنيا، وجمع الأموال... الخ. والنصوص هي كمايلي:

أ ــ قال رسول الله (ص): نعم العون على تقوى الله الغنى.

ب ــ قال الامام الصادق (ع): ان نعم العون على الآخرة الدنيا.

ح ــ عن الامام الباقر (ع): ان نعم العون الدنيا على طلب الآخرة.

د ــ قال رسول الله (ص): اللهم بارك لنا في الخبز، ولا تفرق بيننا وبينه ولولا الخبز ما صلينا ولا صمنا ولا ادينا فرائض ربنا.

هـ ــ قال الامام الصادق (ع): لاخير فيمن لايحب جمع المال من حلال و يكف به وجهه و يقضي به دينه، ويصل به رحمه.

و ــ قال رجل للصادق (ع): «والله إنّا لنطلب الدنيا ونحب ان نؤتاها فقال له: نحب ان تصنع بها ماذا؟ قال: اعود بها على نفسي وعيالي واصل بها واتصدق بها واحج واعتمر فقال له الامام: ليس هذا طلب الدنيا، هذا طلب الآخرة».

ز ــ وفي الحديث أيضاً: ليس منّا من ترك دنياه لآخرته أو آخرته لدُنياه.

هذه النصوص مجتمعة تحث على طلب الدنيا والاستعانة بها واستثمارها وعدم تركها ولكن كل ذلك وفق مبادىء الحق والعدالة و وفق تعاليم الخير والاصلاح. فطلب الانتاج والتوسع به يجب أنْ يكون مقروناً بمبادئ وقيم ومُثُل انسانية واخلاقية سامية ليس فيها ظلمٌ أوغبنٌ أوتسلط أواستئثار. و في هذه الحالة وجدنا النصوص تدفعنا الى الانتاج الاقتصادي وجمع الثروات والتمسك بالدنيا.

وهناك نصوص مخالفة ظاهرياً ولكنها في الحقيقة تعطي الصورة للوجه الثاني من الانتاج والذي يغلب عليه الربح المادي البحت دون تحكيم مبادىء الحق والعدل والصدق والاخلاق وحب الخير للآخرين، والنصوص هي:

أ ــ عن الرسول (ص): «من أحبَّ دُنياه أضرَّ بآخرته.

ب ــ عن الامام الصادق (ع): رأس كل خطيئة حب الدنيا.

ح ــ عن الامام الصادق (ع): ابعد مايكون العبد من الله اذا لم يهمه إلاّ بطنه وفرجه.

د ــ عن الامام علي (ع): إنّ من أعون الاخلاق على الدين، الزهد في الدنيا.

انه ليس صحيحاً من يدّعي بان الامام علي (ع) أراد من كلمة الزهد في الدنيا تركها والانشغال بالعبادة والعيش بتقشف! بل هو أراد ان يربط بين الوسيلة والهدف، أراد أنْ يقول بان من يطلب الدنيا من اجل الدنيا دون هدف اخلاقي وانساني شامل رفيع هو بعيد عن الدين، وان العكس بالعكس.. والدليل على ذلك كتابه الموجه الى واليه في مصر محمد بن ابي بكر والمنقول عن كتاب أمالي الشيخ الطوسي وهو:

«يا عباد الله ان المتقين حازوا عاجل الخير وآجله، شاركوا اهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، اباح لهم الله الدنيا ما كفاهم به واغناهم، قال الله عزوجل ــ من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ــ سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، واكلوها بأفضل ما اكلت، وشاركوا اهل الدنيا في دنياهم فأكلوا معهم طيبات ما يأكلون، وشربوا من طيبات ما يشربون، ولبسوا من افضل ما يلبسون، وسكنوا من افضل ما يسكنون وركبوا من افضل ما يركبون،

اصابوا لذة الدنيا مع أول الدنيا وهم غدا جيران الله يتمنون عليه فيعطيهم مايتمنون لا ترد لهم دعوة، ولاينقص لهم نصيب من اللذة فاني هذا يا عباد الله بشتاق من كان له عقل، و يعمل له بتقوى الله، ولاحول ولاقوة الا بالله».

فحديث الامام واضح لايحتاج الى شرح أو تعليق ما عدا التأكيد على كلمة واحدة وهي الميزان. الاوهي ــ و يعمل له بتقوى الله ــ أي التأكيد على الوسيلة المتبعة والتي يجب ان تكون وفق مبادىء الحق والعدل وهي الحد الفاصل بين الرغبة في الدنيا والزهد بها.

وخير دليل نضيفه الى بقية الأدلة والذي يحسم الموضوع هوكلام الله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه. قال الله عزّوجلّ:

«يا ايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم، ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين».

لاحظوا هذا الربط المحكم بين لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم و بين لا تعتدوا.. أي تمتعوا بالخيرات كلها و بالطيبات التي خلقها الله لكم ولكن اياكم وان تظلموا.. اياكم ان تعتدوا على حقوق الآخرين، فيصبح الله خصمكم وعدوكم وهو أتعس المصير.

اما كيفية تحقيق هذا التوازن الضروري بين الانتاج والتوزيع وتحديدهماوفق مبادىء الحق والعدل، فان ذلك يتم بتدخل السلطة الشرعية التي هي مسؤولة امام الله مسؤولية كاملة عن تطبيق وتنفيذ الرسالة الاسلامية بكل حذافيرها. فتتدخل السلطة من أجل تحديد الحد الأدنى من الانتاج الضروري للمجتمع بكل فئاته و ضمان ذلك بصورة عملية ومباشرة وتحديد الحد الأقصى من الانتاج الكمالي، لكي تمنع المنتجين والمستهلكين من الاسراف والتبذير واللهو الفارغ الذي لاينفع بل و يضر، ولكي تمنع الغش والاحتيال والسرقة بمعانيها القديمة والجديدة. ونقصد بمعانيها، الاعلام والدعاية من أجل ايهام المستهلكين وتعميمهم وخلق حاجات مزيفة في نفوسهم من اجل ابتزاز أموالهم وثرواتهم.. وهذه المعاني الجديدة للغش والاحتيال والسرقة هي اخطر على المجتمع من معانيها القديمة والتي هي متفشية ومسيطرة على المجتمعات الراهنة.

٤ ــ الضمان الاجتماعي ودور السلطة:

ليس عامل البيئة والظروف الاجتماعية هي كل الاسباب المسؤولة عن تفاوت الأفراد في الذكاء والقدرات والامكانات المادية والمعنوية بل هناك تفاوت ذاتي فطري، رغم أهمية عامل البيئة والظروف الاجتماعية في زيادة هذا التفاوت والتباين في امكانات الافراد.

وعلى هذا فان النظام الرأسمالي عندما اعتمد مبدأ الحرية الفردية شبه المطلقة وسياسة الباب المفتوح قد قرر ترك الافراد في المجتمع يتصارعون والغلبة حتماً ستتقرر لصالح الأكثر حظاً وقدرة بل وانه قد حول السلطة الى اداة قسرية تحمي الاقوياء وتمنع وتقمع الضعفاء من ان يتحدوا بعد ان جمعتهم المأساة المشتركة ليشكلوا قوة يأخذون بواسطتها بعض حقوقهم المهدورة، وكأن النظام يريد ان يقول بان الصراع يجب ان يكون فردياً على شكل المبارزات القديمة!! وكأن النظام الرأسمالي قد سلّم الاقوياء في المجتمع ولاشك بانهم رسموه وفقاً لمصالحهم الخاصة..

ولكن النظام الاقتصادي الاسلامي... شريعة الله الخالدة لن تقبل بهذا الظلم أبداً بل وفّرت الضمان الاجتماعي لكل مواطن وعالجت الأوضاع على الشكل التالي:

أ ــ حثت الشريعة الاسلامية الناس على العمل و بذلت مختلف الوسائل لدفع الناس الى بذل ما في الوسع من أجل العمل وقدست العمل والعامل المخلص. عن الرسول (ص):

انه رفع يوما يد عامل مكدود فقبلها وقال: طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة، ومَنْ أكل من كدّ يده مرّ على الصراط كالبرق الخاطف، ومَنْ أكل مِنْ كدّ يده نظر الله اليه بالرحمة ثم لايعذبه أبداً ومَنْ أكل من كدّ يده حلالاً فتح له ابواب الجنة يدخل من ايهاشاء.

ورواية اخرى عن الامام محمد بن علي الباقر(ع): ان شخصاً مرّ به وهو يمارس العمل في ارض له ويجهد في ذلك حتى ينصب عرقاً.. فقال له: اصلحك الله أرأيت لوجاء اجلك وانت على هذه الحالة؟ فاجابه الامام: لوجاءني الموت وانا على هذه الحالة جاءني وانا في طاعة من طاعة الله عزوجل..

هذه الأحاديث وغيرها الكثير المروية عن الرسول (ص) وعن أهل بيته الطاهرين تؤكد كلها على ان العمل فريضة على كل مسلم ومسلمة وانه الجهاد الاكبر.. ولم تكتف الشريعة بتهيئة العمل والدفع اليه بل عملت الى توفير الضمان الاجتماعي من بعد ذلك على مرحلتين:

ب ــ التكافل العام:

والمقصود بالتكافل العام ليس كما يتبادر الى الذهن من ظاهر العنوان ضريبة مالية ــ كالخمس والزكاة والخراج ــ على الوفرة في المعاش، بل هي حق الأخوة الاسلامية، أي انها ليست صدقة تدفع ولاهي ضريبة معلومة محدودة معينة بل هي الحق الذي فرضته الشريعة الخالدة على ابناء المجتمع الاسلامي كافة ليسدوا به حاجات كل من يحتاج وهو من أهم مبادىء الأخوة العامة التي تربط المسلمين ببعضهم برباط متين لاينفصم. وبما ان الدولة الاسلامية الشرعية مسؤولة عن تطبيق هذا المبدأ الشرعي وحمايته في المجتمع الاسلامي، لها الحق حتى في اكراه البعض من الناس ــ ممن يمتنعون عن التعاون ــ على تطبيق مبدأ التكافل وسد الحاجات الضرورية لاخوتهم في المجتمع...

قال الامام جعفر الصادق(ع):

ايما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج اليه وهو يقدر عليه من عنده أومن عند غيره اقامه الله يوم القيامة مسوداً وجهه، مزرقة عيناه، مغلولة يداه الى عنقه، فيقال هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ثم يؤمر به الى النار.

نعم، الذي لايمدّ يد التعاون مع مواطنيه المؤمنين خائن، قد خان الله ورسوله وبالها من خيانة كبيرة..

ج ــ حق الناس في موارد الدولة:

اما حق الناس في موارد الدولة فانه ليس من اجل اشباع الحاجات الضرورية التي قد تكفل بها تطبيق المبدأ السابق، بل من أجل توفير المعيشة المرفهة الكريمة التي تتناسب مع يسر ورخاء المجتمع ككل وهي حاجات متطورة و متزايدة باستمرار، وهذا ماتتكفله الدولة الاسلامية التي تعبّر عنها النصوص الآتية بالامام أوالوالي:

قال الامام موسى الكاظم(ع) في معرض تعريفه للامام: «انه وارث من لاوارث له، و يقول من لاحيلة له».

وفي خبر موسى بن بكر: (ان الامام موسى الكاظم(ع) قال له: «من طلب الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله فان غلب عليه فليستدن على الله ورسوله مايقوت به عياله، فان مات ولم يقضه كان على الامام قضاؤه فان لم يقضه كان عليه وزره. ان الله عزوجل يقول: « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها» فهو فقير مسكين مغرم).

وقد جاء في الحديث ان الامام موسى بن جعفر(ع) ذكر شأن تحديد مسؤولية الوالي في اموال الزكاة: «ان الوالي يأخذ المال فيوجهه لوجه الذي وجهه الله له، على ثمانية اسهم، للفقراء والمساكين، يقسمها بينهم بقدر مايستغنون في سنتهم، بلاضيق

ولا نقبة فان فضل من ذلك شيء، رد الى الوالي وان نقص من ذلك شيء ولم يكتفوا به، كان على الوالي ان يمونهم من عنده بقدر سعتهم حتى يستغنوا...» وهذا ما نجده في كلام الشيباني على ماحدث عنه شمس الدين الرضي في المبسوط اذ يقول: «على الامام ان يتقي الله في صرف الأموال الى المصارف فلايدع فقيراً الا اعطاه حقه من الصدقات حتى يغنيه وعياله وان احتاج بعض المسلمين وليس من بيت المال من الصدقات شيء، اعطى الامام ما يحتاجون اليه من بيت مال الخراج ولايكون ذلك ديناً على بيت مال الصدقة لما بينا ان الخراج وما في معناه يصرف الى حاجة المسلمين».

وجاء في الحديث عن الامام جعفر الصادق(ع): «تعطيه من الزكاة حتى تغنيه»

واما تحديد الغنى في الاسلام فهو في الحديث عن ابي بصير الذي جاء فيه: انه سأل الامام جعفر الصادق(ع) عن رجل له ثمانمائة درهم وهو رجل خفاف وله عيال كثير، أله ان يأخذ من الزكاة؟ فقال له الامام: يا ابا محمد أبربح من دراهمه ما يقوت به عياله و يفضل؟ فقال ابو بصير: نعم. فقال له الامام: ان كان يفضل عن قوته مقدار نصف القوت فلايأخذ الزكاة وان كان اقل من نصف القوت، اخذ الزكاة وماأخذه منها فضه على عياله حتى يلحقهم الناس».

نعم يبقى يعطيهم حتى يستغنوا وحتى يلحق عياله بالناس فلايعيش بأدنى حالة منهم فا لشريعة الاسلامية تريد ان تضغط على المجتمع بقوتين: احداهما من الاسفل ترفع فيها الفقراء، والأخرى من الأعلى تحدد فيها الغنى الفاحش فتضغط بذلك على الفجوة الخطرة التي يمكن ان تحصل بين فئات المجتمع المتفاوتة بالرزق.

إنّ الأساس النظري لمفهوم الضمان الاجتماعي بشقيه؛ التكافل الاجتماعي، وحق الناس في موارد الدولة، مستمد من القرآن الكريم. قال الله عزوجل: «خلق لكم ما في الأرض جميعاً».

واما من الناحية العملية فهناك وسيلة أخرى فعّالة ومهمة وخاصة في عصرنا الحاضر وهي انشاء القطاع العام الذي ترجع ملكيته لعامة المسلمين أو للدولة الاسلامية.. سواء كان ذلك في الحقل الصناعي أوالزراعي أو في الحقل التجاري لأن الشريعة الاسلامية تركز على أهمية التوزيع في الثورة وتتحاشى جميع الثروات وانحصارها بيد مجموعة من الناس «كي لايكون دولة بين الاغنياء منكم.»

إنّ مبدأ الضمان الاجتماعي لايقتصر على المسلمين فقط بل يشمل غيرهم ممن يعيش في كنف النظام الاسلامي ايضا فقد نقل الشيخ الحر حديثاً عن الامام علي(ع)؛ انه مر بشيخ مكفوف كبير يسأل، فقال امير المؤمنين ماهذا؟ فقيل له: يا امير المؤمنين انه نصراني. فقال الامام: استعملتموه حتى اذا كبر وعجز منعتموه!!؟ انفقوا عليه من بيت المال».

هذه شريعة الله التي انزلها على صدر نبينا الكريم محمدبن عبدالله(ص) لتحكم بين الناس بالحق والعدل وتحقق لهم سعادة الدارين. وما ان تركوها خلف ظهورهم والتمسوا الانظمة الوضعية الظالمة حتى عمّ البلاء وانتشر الفقر والحرمان والبؤس والشقاء وبلغت القلوب الحناجر. «ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا»، «ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا»، «وعدالله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجراً عظيماً»، «ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ولاتخزنا يوم القيامة».

● ● ●

اللغة

دراسة مقارنة في :

المصطلحات الاسلامية ومعادلاتها في مختلف اللغات

القسطاس

بقلم: الدكتور الحسيني

قسطاس[1] Justice: Justus:

تحقيق «القسط» والعدل، واحقاق الحق والسلام على الأرض حُلُم الانبياء والمرسلين، والأئمة والمصلحين. وقد تحققت «العدالة» في فترات معروفة من التاريخ، وبقي هذا الحُلُم يراود الصلحاء والأتقياء، والفقهاء والأولياء، وأصحاب النفوس الطاهرة النقية ومايزال. والمتتبع لجذور كلمة «القسط» يجدها ضاربة في أعماق اللغات والحضارات، وأنها مصطلح مشترك، أو بالأحرى من «المصطلحات المشتركة» صوناً ودلالةً في كثير منها.

وقد خلدت معاني «القسط» و«القصد» ـ بمعنى العدل ـ و«القسطاس» و«القصاص» وما إليها في الآثار الحضارية، والتراث البشري النّر، ولكنها أكثر التماعاً وازدهاراً في الكتب السماوية وعلى رأسها القرآن الكريم، حيث وردت في كثير من الآيات لفظاً ومعنى، إذْ هي الهدف الأسمى من إقامة حكم الله في الأرض، ونذكر هنا بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر:

«اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ»[2]

---

١ ـ انظر الجدول التقابلي المقترح في آخر المقالة.

٢ ـ سورة المائدة الآية ٨.

و «وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ»[1]

و «وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الأَلْبَابِ»[2]

و «وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ»[3]

و «وَزِنُوا بِالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ»[4]

و «فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا وَأَقْسِطُوا»[5]

و «وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ»[6]

وما إلى ذلك من الآيات. ولا تتسع هذه المقالة لذكر الأحاديث الكثيرة الواردة في المقام.

وعند الرجوع إلى المعجمات اللغوية والمصادر المعتبرة نجدها متعاضدة في الدلالات والاشتقاقات، ونكاد نجمع على أنّ «أقسط إقساطاً: عَدَلَ. ومنه: «وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لاتُقْسِطُوا»[7] والاسم القِسط وهو العدل والسويّة... وفي التنزيل: «كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ»[8] أي مجتهدين في إقامة العدل حتّى لاتجوروا»[9].

كما أنّ دلالة «القِسطاس» في اللغة على الميزان والمكيال مجمع عليها، ومن دلالاته الأخرى دلالته على «الفَنّ» و «المنطق»؛ لأنّها أداتان لمقياس الفكر، وقد سُمّيا بالقِسطاس وعلم القِسطاس. وبذلك ورد النصّ بالفارسية: «قسطاس در لغت بمعناى: ترازو ومكيال است، وفن ومنطق ازجهت آنكه بدان فكر سنجش شود قسطاس وعلم قسطاس ناميده‌اند (اسفارج ١ ص ٦)»[10]. كماورد «القِسط» مصطلحاً من مصطلحات (مكاييل العرب وأوزانها)[11].

ونجد في الانجليزية كلمة Just ــ وكذلك سائر الاشتقاقات المشابهة لها في اللغات المتفرّعة عن اللاتينيّة كالفرنسيّة مثلاً تحمل نفس الدلالة على العدل، وهي مشابهة تماماً لكلمة «قسط» العربية صوتاً ومعنى، إلاّ أنّ التعريب أو التعجيم ــ وليس هنا مقام تبيان الأصل ــ يضع أثراً كلياً أو جزئياً على المفردات والمصطلحات المتداولة، فتتغيّر بعض الأصوات وتتبدّل، وتتخصّص بعض المعاني أوتتسع؛ كلّ ذلك حسب ظروف الاستعمال وتاريخه، وقوانين اللغات وقواعدها العامّة، وهي الّتي تتحكم في بناء مفرداتها وجملاتها وتراكيبها، وهذا ما توضّحه النظرية البنيوية: Structuralism

وقد جاء في معجم كاسل عن كلمة: Just و Juvtice ما يؤكّد انحدارهما عن اللاتينيّة «Justitia» وقد استعملتا في الفرنسية القديمة والانكليزية الوسطى أيضاً بهذه المعاني تقريباً:

«Justice (Justis) [O. F., from L. justitia, from justus, Just] n. the quality of being Just, fairness in dealing with others, uprightness, rectitude, honesty»[1]

---

١ ــ سورة النساء، الآية ٥٨.

٢ ــ سورة البقرة، الآية ١٧٩.

٣ ــ سورة الأنبياء، الآية ٤٧.

٤ ــ سورة الإسراء، الآية ٣٥.

٥ ــ سورة الحجرات، الآية ٩.

٦ ــ سورة المائدة، الآية ٤٢.

٧ ــ سورة النساء الآية ٣.

٨ ــ سورة النساء الآية ١٣٥.

٩ ــ المطرّزي، المغرب، ص ٣٨٢ (ط. دارالكتاب العربي ــ بيروت).

١٠ ــ دكتر سجّادي، فرهنگ علوم عقلي ص ٤٦٤ (ط. طهران ١٣٦١ هـ.ش.)

١١ ــ انظر الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١١ (مكاييل العرب واوزانها): «القِسط: نصف صاع». ط. دارالكتب العلمية ــ بيروت.

(1) Cassell's English Dictionary, P. 639, London, 1975.
and cf. the art. (Justice) in the concise oxford Dic. P.545 (New Edit. 1982).

ومن الطريف جدا ان نلاحظ كلمة «القَصْد» التي هي مشابهة «للقسط» صوتاً ومعنى ذات استعمالات ودلالات متساوقة والنظرية الإسلامية الشاملة التي يبني الإسلام عليها فلسفته عن الكون والحياة والإنسان: فرداً ومجتمعاً، جسداً و روحاً، دنيا وأخرى: ألا وهي العدل والموازنة والقسطاس في كلّ شيء، حتى أن «الاقتصاد» وعلمه الذي أصبح الهمّ الأكبر للنظريات والمذاهب الاجتماعية الحديثة قد قام في الإسلام على هذا المنظور الشامل: «العدل» و «الميزان».

وقد ورد في مادة «قصد» اللغوية في المعجمات العربية بهذه الدلالة:

«القصد: بين الإسراف والتقتير، يقال فلان مقتصد في النفقة... والقصد: العدل»[1] وكذلك هو المقصود العامّ من الآية الكريمة: «وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ»[2] أي السير المعتدل مادة ومعنى في كل شيء كما جاء مضاداً للظلم والسوء «فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ»[3] و «مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ»[4] والاعتدال والاقتصاد صيغتهما «الافتعال»، وهما يحملان الدلالة نفسها وهي «الاتزان الكامل» Perfect Balance والموازنة المطلقة: وهي النظرية التي أشرنا إليها آنفاً. موازنة بين الفرد والمجتمع، الدنيا والآخرة، الجسد والروح، المادة والمعنى الكمية والكيفية: «وكان بين ذلك قواما»[5]، «وكلُّ شيء عنده بِمِقْدَار»[6] وكل شيء في الإسلام يقوم على الاعتدال والوسطية بمعناهما القرآني: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً»[7].

وانّ كلمة Just: الصفة للشيء العدل أو الشخص العدل، وكلمة Justice: الاسم أو المصدر الدال على العدل، و Justify: الفعل، و Justly: الظرف جميعاً من جذر لغويّ واحد، ولها علاقة «بالقِسط» و«القَصد». كما أنّ علاقة Justice بالقسطاس صوتاً ودلالة لا تحتاج إلى تدليل؛ ولاسيّما إذا كان لدينا بعض الإلمام بالقوانين الصوتية Phonetic Rules ونظام الأصوات اللغوية Phonology أو علم اللغة الحديث عموماً: Modern Linguistics.

كما أنّ علاقة «القِسطاس» بكلمة «القِصاص» صوتاً ودلالة واضحة أيضاً، إذْ القِصاص في حقيقته الموازنة والعدالة بين «الجُرم والعقاب» ومطابقة كلّ منهما الآخر، أو بعبارة أخرى شهيرة هو: «الجزاء العادل». «ومنه القِصاص، وهي مقاصة ولي المقتول القاتل والمجروح الجارح وهي مساواته إيّاه في قتل أو جرح ثُمَّ عمَّ في كلّ مساواة، ومنه تقاصّوا إذا قاصّ كلّ منهم صاحبه في الحساب فحبس عنه مثل ما كان له عليه»[8].

وقد وردت الإشارة إلى ذلك في القُرآن الكريم: «وكتبنا عليهم فيها أنّ النفسَ بالنفسِ والعينَ

---

١ ــ الرازي، مختار الصحاح، ص ٥٣٦، (ط. بيروت).
٢ ــ سورة لقمان الآية ١٩.
٣ ــ سورة فاطر الآية ٣٢.
٤ ــ سورة المائدة، الآية ٦٦،
٥ ــ سورة الفرقان الاية ٦٧.
٦ ــ سورة الرعد، الآية ٨.
٧ ــ سورة البقرة، الآية ١٤٣.
٨ ــ المطرّزي، المغرب، ص ٣٨٥.

بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسنّ بالسنّ والجُروحُ قِصاص»[1]

وفي ضوء هذه الآية الكريمة، فقد تناولت كتب الفقه والشريعة الإسلامية «القِصاص» في فصلين؛

الأوّل: (قِصاص النفس).

والثاني: (قِصاص العضو).[2]

وانّ المَثَل العربي الشهير «القَتلُ أنفى للقَتلِ» والذي هو مضرب المثل في البلاغة أقلّ بلاغة من: «ولكم في القِصاص حياةٌ يا أولي الألباب»[3] ؛ إذْ الآية الكريمة أشمل منه وأدلّ على تحقيق العدالة والحياة والسلام بشكل مطلق كما فصّل ذلك في كتب التفاسير والبلاغة[4].

وإذا توسّعنا في الإشتقاقات نجد كلمة Judge الانكليزية ترادف كلمة «قاضي» الذي يقضي بالعدل أساساً، وهي ذات صلة وثيقة بها صوتاً و دلالة، ولاسيّما إذا عرفنا أن الحرف [d] ينطق (l) في اللاتينية، كما أنّ القاضي تنطق [آدي] أو [آضي] في اللهجة الشامية والمصرية و[قازي] بالفارسية. ومايلاحظ من بُعد للوهلة الأولى فذلك بسبب مقتضيات التطوّر الصوتي والدلالي في اللغات واللهجات.

وانّ كلمة Jury الدالّة على الهيئة الحاكمة والتي تطوّرت دلالتها سلباً في العربية على مرّ الأجيال؛ لغلبة «الجَوْر» والحكم «الجائر» والحكّام «الجائرين» حتى أصبحت كلمة «جَوْر» ترادف «الحكم الجائر» في مفردات العربية، وهي اصلاً ذات دلالة على الحكم والهيئة الحاكمة في اللغات السامية القديمة. ومن اشتقاقاتها في الانكليزية Juror الهيئة القانونية المحلّفة، أو الشاهد المُلَفّق، وما أكثر شهود الزور!!.

وانّ كلمة Jurist تدلّ على العالم بالحكم والقانون، و Prudent ــ jurist . هوالفقيه أو الحقوقي او القانوني، و Prudence ــ Juris تدلّ على الفقه أو علم القانون والشريعة.

وانّ كلمة Juridical الدالّة على الحكم القضائي والتشريعي ذات صلة بجذر كلمة Juridical المشتقّة من القضاء والحكم Judge-ment أو القاضي Judge المتقدمة الذكر. وانّ القوّة القضائية في الانكليزية تكون Judiciary وهكذا قل في سائر الاشتقاقات والدلالات التي تبدو لنامترابطة من حيث الأصل والجذر، أو هي من جذر مشترك بمثابة الأمّ، ومايصطلح عليه: Cognate وهذا ماتدعمه الدارسات الايتيمولوجية Etymological studies وأنّ مبدأها المشترك هذا يؤكّد وحدة الإنسانية والحضارات والديانات و تكاملها أصلاً. وهذا ما كان فعلاً، ويجب أنْ يكون مستقبلاً «كان الناسُ أمّةً واحدةً فبعثَ اللهُ النبيّينَ مبشرينَ ومُنذرينَ».

وقد بدأ يتحقّق ــ بحمدالله تعالى ــ حُلُم الأنبياء بعد طول انتظار في «ايران الاسلام»

---

١ ــ سورة المائدة، الآية ٤٥.

٢ ــ انظرهنا كتابيْ مسالك الافهام للشهيد الثاني، وشرائع الأحكام للمحقّق الحلّي، وقدترجمها للفارسية الدكتور محمدي في كتاب واحد تحت عنوان «قصاص» من منشورات جامعة طهران، ١٣٦١هـ. ش.

٣ ــ سورة البقرة، الآية ١٧٩.

٤ ــ تراجع كتب البلاغة والتفاسير المتعرّضة لهذه الآية الكريمة لزيادة الاطلاع.

٥ ــ سورة البقرة، الآية ٢١٣، والتقدير كان الناس أمّة واحدة «فاختلفوا» فبعث الله النبيين لتوحيدهم ووحدتهم.

وأصبح الحُكم «القِسطُ» بيد «الفُقهاء المُدول» كما أنّ مبدأ «ولاية الفقيه»[1] ــ الذي هو استمرار وامتداد لولاية الله والرسول والذين آمنوا: «إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا»[2] ــ في طريقه إلى توطيد عُرى الأمن والسلام والعدل في أرجاء المعمورة كافّة، وحتى تحقيق حكم الله المطلق في الأرض بقيادة ولي الامر وصاحب الزمان(ع)؛ ليملأ الأرض «قسطاً وعدلاً»، بعد أن مُلِئَتْ ظُلْماً وجوراً.

ونختم هذه المقالة المتواضعة ردّاً على بعض المتحذلقين والمعترضين على أحكام الإسلام «العادلة» و «القصاص الإسلامي العادل» بذكر اعتراض أبي العلاء ورد الشريف عليه بأسلوب أدبيّ حكميّ؛ إذْ يصلُح ذلك مثالاً على سائر الاعتراضات والردود.

الاعتراض:

«يَدٌ بخمسِ مِئينٍ عَسْجَدٍ فُدِيَتْ
ما بالُها قُطِعَتْ في رُبْعِ دِينارِ»

الجواب:

«عِزُّ الأمانةِ أغلاها وأرخصَها
ذُلُّ الخِيانةِ فافهم حِكْمَةَ الباري»

---

١ ــ سيأتي البحث في هذا المصطلح في أعداد لاحقة إن شاء الله تعالى.

٢ ــ سورة المائدة الآية ٥٥.

جدول تقابلي مقترح للغات واللهجات ذات العلاقة الصوتية والدلالية بكلمة «قسط» عموماً[1]

١ـ قِسط	ق	س	ط		عربية ـ سامية ـ لاتينية
٢ـ قِسطاس	ق	س	ط	اس	عربية ـ بكسر القاف ـ[2]
٣ـ قُسطاس	ق	س	ط	اس	عربية ـ لهجة أخرى ـ بضم القاف ـ[2]
٤ـ قُسوط	ق	س	وط		من الأضداد بمعنى العدل والعدل عن غالباً
٥ـ أقسط	أق	س	ط		عربية ـ بمعنى عدل فقط ـ
٦ـ قصد	ق	ص	د		عربية ـ بمعنى عدل ـ
٧ـ قِصاص	ق	ص	اص		عربية ـ بكسر القاف ـ
٨ـ قضاء	ق	ض	اء		عربية
٩ـ قاضي	قا	ض	ي		عربية
١٠ـ آضي	آ	ض	ي		عربية ـ لهجة مصرية ـ
١١ـ آدي	آ	د	ي		عربية ـ لهجة شامية ـ
١٢ـ قازي	ق	ز	ي		عربية الأصل ـ لهجة فارسية ـ
١٣ـ قس	ق	س	س		عربية ـ سامية ـ كتابية ـ
١٤ـ قسيس	ق	س	يس		عربية ـ سامية ـ كتابية ـ
١٥ـ Just	Ju	s	t		انكليزية ـ فرنسية ـ لاتينية
١٦ـ Justice	Ju	s	t	ice	انكليزية ـ فرنسية ـ لاتينية
١٧ـ Juris-Prudence	Ju	s	ri	Prudence	انكليزية ـ لاتينية
١٨ـ Juris-Prudent	Ju	s	ri	Prudent	انكليزية ـ لاتينية
١٩ـ Jury	Ju	r	y		انكليزية ـ لاتينية ـ سامية
٢٠ـ Juror	Ju	ro	r		انكليزية ـ لاتينية ـ سامية
٢١ـ جور	ج	و	ر		عربية من الأضداد بمعنى العدل والعدل عن غالباً
٢٢ـ Juridical	Ju	ri	di	cal	انكليزية ـ لاتينية
٢٣ـ Judiciary	Ju	ci	di	ary	انكليزية ـ لاتينية
٢٤ـ Judge	Ju	ge	d		انكليزية ـ لاتينية
٢٥ـ Judge-ment	Ju	ge	d	ment	انكليزية ـ لاتينية

(١) نلاحظ نظرية الاشتقاق الأصغر والأكبر وتطبيقها على مختلف اللغات كما يلاحظ التركيز على جذور أصوات الكلمة وتركيبها لا نظمها. أي فونيا تبكياً: Phonematic لافونيتكتيكتاً: Phonetactic

(٢) «القسطاس بضم القاف وكسرها: الميزان» مختار الصحاح للرازي، ص٥٣٤ (ط. بيروت).

نشرنا في العدد الثاني أربعة مواضيع القيت في المؤتمر الأول للفكر الاسلامي الذي انعقد بطهران في الفترة من ٢٢ الى ٢٤ ربيع الثاني من ١٤٠٣ هـ .ق.

ونقدم فيما يلي المواضيع التالية:

١ ــ الأمة الوسط

٢ ــ الاستقلال

٣ ــ البعد العلمي للأمة الاسلامية.

الأمة الوسط

الشيخ محمد تقي رهبر

«وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً، لتكونوا شُهداء على الناس، ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً» ـ البقرة: ١٤٣ ـ

يذكر القرآن الكريم عدة خصال وصفات للأمة الاسلامية، تستحق كل واحدة منها، المطالعة والتأمل، فهي قادرة على هداية هذه الأمة نحو تقوية وتشبيت قيمها، وبامكانها أيضاً أن تكون عاملاً ـ أو بالأحرى ـ دافعاً لتوعية الأمم الأخرى.

ومن صفات الأمة الاسلامية العظيمة انها: «الأمة الوسط» ـ «وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً» ـ و بالتالي فهي «الأمة الشاهدة» ـ «لتكونوا شهداء على الناس».

ولا يمكن العبور من جانب هاتين الصفتين دون التأمل فيهما، ذلك انه يلزم الأخذ بعين الاعتبار عدة مسائل في هذا المجال:

١ ـ ماهو مفهوم الأمة؟

٢ ـ ما معنى الأمة الوسط؟

٣ ـ ماهو مفهوم الأمة الشاهدة؟

٤ ـ ماهي صفات الأمة الوسط والشاهدة؟

٥ ـ ما مدى واقعية وعمل الأمة الاسلامية اليوم؟ وهل هي مصداق للأمة الوسط والشاهدة؟

٦ ـ وإن لم تكن، فما الذي يجب عمله

للحصول على مثل هذا الامتياز؟

هذا ويمكن ــ هنا ــ طرح أسئلة أخرى من هذا القبيل.

ما هو مفهوم الأمة؟

قبل كل شيء نتطرق الى مفهوم الأمة.

فالأصل اللغوي لكلمة الأمة هو «أمّ» بتشديد حرف الميم. فالأمة مشتقة من «أمّ» بمعنى: قَصَدَ

وتأتي الأمة ــ أيضاً ــ بمعنى الإمامة والقيادة، أي انتخاب شخص قائداً. «أممْتُ الرجل إمامةً» أو الإمامة والقيادة «أمّ ــ يأمّ ــ أمّا».

و «إماماً القومَ و بالقوم»: تقدمهم وكان لهم إماماً. «إئتمّ به: إقتدى».

هذا هو المفهوم اللغوي للكلمة ومصدرها.

وأمّا مفهوم الأمة فهو: الجماعة ــ الجيل من الناس ــ الوطن ــ الحين ــ القامة.

ويمكن الاستنتاج من خلال الأخذ بعين الاعتبار الأصل اللغوي لكلمة الأمة التي جاءت بمعنى القصد بأنّ الأمة جماعة ذات غاية واحدة وهدف مشترك.

وبديهي أن هناك تبايناً كبيراً بين أمة إلهية، وأخرى غير إلهية. فغاية الأمة غير الإلهية وهدفها وطموحاتها، تتحدد في جملة من المسائل الاجتماعية البحتة، مثل: الأرض، والماء، والقومية، والزمان... وغير ذلك، حيث لا وجود للمبادىء العقائدية في مثل هذه الأمة. ونظراً لعدم ثبات القواعد غير الإلهية وتعرّضها للفناء والزوال، فلايمكن الاطمئنان لثبات واستقامة مثل هذه الأمة، لأنّ وحدتها واشتراكها تقومان على الأسس المادّية الهزيلة.

اما في مجتمع إلهي تحدد فيه الأصول الثابتة لعالم الوجود، والأهداف والطموحات والقيم والأصالات، و يكون الله محوراً لها باعتباره مبدأ ثابتاً وأزلياً لعالم الوجود، فان الأمة الوحيدة التي تستطيع بشكل واقعي ودائمي ــ بعيداً عن التأثيرات الزمانية والمكانية ــ ان تكون أمةً واحدةً، وثابتة، وقائمة، هي الأمة التي تتكون من خلال الاعتقاد بالله، والقيم التي يحددها لها، ويخرج أفرادها عن إطار الفردية ليتصلوا ببحر الوجود العظيم.

والقرآن يتحدث عن هذه الحقيقة بكل صراحة فيقول:

«إنّ هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون» ــ الانبياء: ٩٢ ــ

و في هذه الآية يؤكد القرآن الكريم على جملة من الأصول الأساسية، التي تشكل أسس الأمة الالهية:

١ ــ توحيد الله، والايمان بربوبيته وتدبيره، أزاء العباد.

٢ ــ عبادة الله والخضوع والخشوع له.

٣ ــ وبالتالي التحول الى أمةٍ واقعيةٍ، حيث ان الأصلين الأول والثاني «ربوبية الله وعبودية العباد» يشكلان أساسين ومحورين رئيسيين لتكوين الهدف المشترك لأمةٍ ما.

وعندما يكون مجتمعٌ ما، مؤمناً بالله، محطماً أقطاب الشرك، ومعتبراً الباري سبحانه وتعالى المدبر وصاحب الأختيار الأول والأخير، وخاشعاً له لا لشخص آخر غير شرعي... سائراً في طريقه، ماضياً نحوه، مزيلاً لأسوار الفردية الحاصلة عن الشرك، فحينذاك تتشكل الأمة... أمةً إمامُها حق، ومسيرُها حق، وهدفُها حق، وحاكمة على جميع الأمم الأخرى.

وأما معنى ومفهوم كلمة «الوسط».

هذه الكلمة تأتي بعدة معان منها:

١ ــ الاعتدال، وعدم التطرف.

٢ ــ وسط الشيء، مثل وسط البيت، و وسط الطريق و...

٣ ــ الحسب والشرف، الاحسان والفضيلة

(كما جاء في المنجد).

إذن فهذه الكلمة مُفَسَّرة بعدة معانٍ، كالوسط والاعتدال والشرف والشخصية، وليس هناك مايؤكد أن «الأمة الوسط» جاءت بمعنًى معيّنٍ لاغير، حيث ان جميع المعاني التي ذكرت قابلة للجمع، وهي مكملة الواحدة للأخرى. لذا يمكن القول: بما ان الأمة الاسلامية أفضل الأمم، ودينها أكمل الأديان، فهي تسير وسط طريق يلزم على بقية الناس ان يسيروا وراءها. وبما ان أحكام هذا الدين وتعاليمه بعيدة عن التطرف، وتجمع بين الماديات والمعنويات، لذلك كان على الغارقين في الماديات أو المعنويات فقط ان يتعلّموا الجمع بين الماديات والمعنويات من السائرين في طريق الاسلام.

وفي الحقيقة يجب ان تكون هذه الأمة، معياراً ومقياساًلبقية الأمم، هذه الأمة التي يتمثل معيارها بالاسلام و سيرة الرسول الأكرم (ص).

وجاء في كتاب المفردات: «والوسط تارة يُقال له طرفان مذمومان، يُقال هذا أوسطهم حسباً اذا كان في قوم واسطة قومه وأرفعهم محلا، وكالجود الذي هو بين البخل والاسراف، فيستعمل استعمال المصون عن الإفراط والتفريط، فيُمدح به نحو السواء والعدل والنصفة، نحو: ــ وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً ــ».

أمّا صاحب كتاب مجمع البيان فيقول:

«الوسط، العدل، وقيل: الخير ومعناهما واحد. لأنَّ العدلَ خيرٌ والخيرَ عدلٌ. وقيل أخذ من المكان الذي يعدل المسافة منه الى أطرافه. وقيل بل أخذ من التوسط بين المقصر والغالي فالحق معه... قال صاحب العين: والوسط في كل شيء أفضله وأعدله».

وجاء في تفسير (في ظلال القرآن):

«إنها الأمة الوسط التي تشهد على الناس جميعاً، فتقيم بينهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين، وتبدي فيهم رأيها فيكون هو الرأي المعتمد، وتزن قيمتهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل في أمرها...».

وبكلمة واحدة: إنَّ هذه الأمة، معيار وميزان لبقية الأمم في الحق والباطل، أمة مستقلة وطليعة، غير مقلدة أو تابعة، وشاهدة على الناس، وتحكم بالحق.

وهذه الصفة لم تأتِ عن طريق الصدفة، بل ناشئة عن قبول الدين والشريعة اللذين اعتبرهما الباري عزّوجلّ معياراً للحق والباطل، وتطبيقها، والالتزام بكتاب آلا وهو «الفرقان»، أي المفرّق بين الحق والباطل، والمُبيِّن لشهادة النبي وتواجده في الأمة.

أما الفيلسوف والمفسر الكبير المرحوم العلامة الطباطبائي فقد جاء بتفسير آخر للوسط على أساس آيات أخرى ــ بعد ان ذكر ما قاله المفسرون حول الآية التي سبق الحديث عنها ــ واعتبره اكثر تناسباً مع مسألة الشهادة في الآية المذكورة، وفي ذات الوقت اعتبر الآيات الأخرى مدخلاً.

والنتيجة التي خرج بها الفيلسوف الطباطبائي:

(أي نتوسطوا بين الرسول وبين الناس، فتتصلوا من جهة إليهم، وعند ذلك يتحقق مصداق دعائه (ع) فيكم وفي الرسول، حيث قال: «ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك و يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم).

«فتكونوا أمةً مسلمة أودع الرسول في قلوبكم علم الكتاب والحكمة، ومزكين بتزكيته. والتزكية: التطهير من قذارات القلوب وتخليصها للعبودية. وهو معنى الإسلام كما مرَّ بيانه، فتكونوا مسلمين خالصين في عبوديتكم، وللرسول في ذلك القدم الأول، والهداية والتربية، فله التقدم على الجميع، ولكم التوسط باللحوق به والناس في جانب».

وفي هذا السفر والسير الإلهي يخطو النبي الخطوة الأولى، وتتبعه الأمة في ذلك، فتصبح حلقة وصل بين النبي و بقية الناس، و بالنتيجة تكون

القدوة والأسوة والشاهدة، و بعبارة أخرى ان النبي (ص) قائد البشر ومرشدهم: «ولكم في رسول الله أسوة حسنة».

فالذين التفوا حوله بصدق واخلاص، وساروا في طريقه بعقيدة وايمان وعمل، هم أقرب المقربين إليه، وهم ـ بالتالي ـ أئمة وقدوة لبقية الناس، و شهداء عليهم، و واسطة بين النبي (ص) والناس: «وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس»

و هؤلاء يأخذون ماء الحياة من مصدر الوحي، و يوصلونه الى عطشى العالم.

و لنوضح الآن معنى الشهيد والشاهد:

وردت في المعاجم اللغوية معانٍ جمّة لكلمة «الشهود» التي تعتبر مصدراً لها منها:

«شهدَ المجلسَ: حضره». «شَهِدَ الشيء: عاينه. اطلع عليه».

«الشهيد» هوالذي لايغيب شيء عن علمه.

وجاء في كتاب المفردات:

«الشهود والشهادة: الحضور مع المشاهدة، امّا بالبصر أو بالبصيرة».

و وردت في تفسير مجمع البيان جملة من المعاني الاحتمالية، شهداء على الناس، منها:

١ ـ إنّ هذه الأمة شاهدة على ممارسات الناس المنافية للحق في الدنيا والآخرة...

٢ ـ وإنّ الأمة الاسلامية حجةٌ على الناس، تبين لهم الحق والدين، مثلما بيّنتها لهم النبي (ص)...

٣ ـ أن يشهد صالحو هذه الأمة كيف أنّ الأمم التي خلت، كذّبتْ الأنبياء.

و يأتي هذا الامتياز لأنّ النبي (ص) كان شاهداً على هذه الأمة، وان القرآن الكريم قد بيّن حكاية الانبياء السابقين والأمم السالفة والأساليب والممارسات.

والعلامة الطباطبائي اختار من بين الأقوال والاحتمالات التي وردت حول معنى «الشهادة»، المقولة التالية:

«إنّ الأمة الاسلامية تشهد في هذا العالم على أعمال الأمم الأخرى، وتتحمل مسؤولية هذه الشهادة. كما انها تؤدي الشهادة في الآخرة».

والملاحظة الحساسة والهامة التي يؤكد عليها المرحوم العلامة الطباطبائي هي:

إن هذه الشهادة وتبلها وأداءها، ليست شهادة عادية، ولا تشتمل على الأعمال فقط، بل على ماهية الأعمال نفسها المتأصلة في القلوب، مثل الايمان والكفر والاعتقادات والافكار المتأصلة في القلوب، ولذلك فان هذه الشهادة ستكون من اختصاص أولياء هذه الأمة، وليست من اختصاص الجميع.

و يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان:

«بل هي تحمل حقائق أعمال الناس في الدنيا من سعادة وشقاء، ورد وقبول، وانقياد وتمرّد، وأداء ذلك في الآخرة يوم يستشهد الله بكل شيء حتى بأعضاء الانسان، يوم يقول الرسول «يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً». ومن المعلوم ان هذه الكرامة ليست في متناول جميع افراد الأمة، إذليست إلاّ كرامة خاصة للأولياء الطاهرين منهم».

وجاء في البحث الروائي من كتاب الميزان نقلاً عن تفسير «العياشي» لمعنى آية: «لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً» ان الإمام الصادق عليه السلام قال:

«فان ظننت انّ الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحدين أفترى أنّ من لاتجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة، و يقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟! كلاّ، لم يعنِ الله مثل هذا من خلقه، بل يعني: الأمة التي وجبت لها دعوة ابراهيم (ع) «كنتم خير أمة أخرجتْ للناس». فهم الأمة الوسط، وهم «خير أمة أخرجت

للناس».

لكن اذا أردنا تبيان صفات وخصال «الأمة الوسط والشاهدة» كان علينا ان نتدبّر في آيات أخرى من القرآن الكريم التي تبيّن الخصال والصفات الخاصة بالأمة الاسلامية، بغية توضيح ما قلناه بشكل عام.

في البداية نتأمل الآيتين ٧٧ و ٧٨ من سورة الحج:

«يا أيها الذين آمنوا اركعوا وآسجدوا واعبدوا ربّكم، وافعلوا الخير لعلّكم تُفلحون، وجاهدوا في اللهِ حقّ جهادِهِ، هواجتباكم وما جعل عليكم في الدّين من حرج، ملّة أبيكم إبراهيمَ هوسمّاكم المسلمينَ من قبلُ، وفي هذا ليكونَ الرّسولُ شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس، فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأعتصموا باللهِ هومولاكُمْ، فَنِعْمَ المولىٰ ونِعْمَ النّصيرُ».

وتشيرهاتان الآيتان ــ إضافة الى تحدثها عن شهادة النبي (ص) على الأمة، وشهادة الأمة على بقية الناس ــ الى جملة من المسائل المهمة:

١ ــ إنّ هذه الأمة مختارة من قبل الله، وانّ دينها ورسولها هما أفضل الأديان والرسُل.

٢ ــ إنّ النبي ابراهيم (ع) كان قد سمّى هذه الأمة بـ «امة مسلمة»، كما ان رسالة الرسول الأكرم (ص) تكتسب صورتها الكاملة والشاملة من خلال سير الأمة في خط ابراهيم (ع) و دينه الحنيف (الأمة الابراهيمية والأمة المحمدية).

«دِيناً قِيَماً مِلّةَ ابراهيم حنيفاً» «الأنعام: ١٦١»

٣ ــ ذُكِرَتْ شهادة النبي (ص) قبل شهادة الأمة، وهذا ما يتحدث عن الترتيب الطبيعي للمسألة. أي ان الأمة ــ في الحقيقة ــ لن تكون قدوة وشاهدة على الناس مالم تسر في الخط الأصيل لرسالة النبي ابراهيم (ع) محطم الأوثان، وتطيع الدين الاسلامي طاعة تامة، وتسير على خُطى خاتم الانبياء محمدبن عبدالله «ص» (وليس في طريق الكفر والشرك والأقطاب الطاغوتية للعالم).

٤ ــ و يدور الحديث عن الصلاة والركوع والسجود والعبودية التي تقوم بضمان شرط حركة الأمة الوسط والشاهدة في خط العبودية لله والطاعة والتسليم له، لا العبودية والخضوع للقوى الاستكبارية الأخرى.

و يدور الحديث ــ ايضاً ــ عن الزكاة بمثابة عامل لسد احتياجات الأمة الإسلامية، والحيلولة دون نشوء الفقر والكوارث، مما يؤكد حياتية المسألة الاقتصادية للمجتمع النموذجي والأسرة الاسلامية.

٦ ــ كما و يدور الحديث عن أعمال الخير، وحُسن الأخلاق، وانتهاج الأساليب الإلهية في منهج الحياة التي تبين الأخلاق الفاضلة العامة في المجتمع الاسلامي النموذجي، وتكون مقدمةً لفوز هذا المجتمع وفلاحه.

٧ ــ و يدور الحديث ــ إضافة الى ذلك ــ عن «الاعتصام بحبل الله»، وتوكّل الأمة الإسلامية على الله، وقطع الأمل عن القوى العالمية وأية قوة غير إلهية، التي تشكل بمجموعها رمزاً كبيراً ومؤثراً وحياتياً لتشكيل الأمة الواحدة وجعلها أسوة.

٨ ــ و بالتالي يُشار الى ان الله هو مولى الأمة الاسلامية ولا تملك هذه الأمة أرباباً آخرين، فهي تأخذ أوامرها من الله وتطلب رضاه، وتتفانى في بنصره، وتعتمد على رحمته وعنايته. ومن هذا المنطلق فهي بعيدة عن كل مظاهر التسلط والمادة، ولا تركع أمام أيّ كان سوى الباري سبحانه وتعالى.

وفي آيات أخرى من القرآن الكريم، يدور الحديث عن صفات الأمة الاسلامية بمثابة عامل الأفضلية والامتياز. وعلى سبيل المثال نورد بعضاً منها:

أ ــ **«كُنتُمْ خيرَ أمةٍ أُخرِجتْ للناسِ تأمرونَ**

بالمعروف وتَنْهَوْنَ عن المنكر وتؤمنون بالله» (آل عمران: ١١٠)

إنَّ ذكر الإيمان بَعْدَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يؤكد على ان الايمان الكامل لتطبيق هذه الرسالة الاجتماعية هو في جهة الهداية، حيث يلزم التشكيك في الإيمان الذي لايقوم بهذه الوظيفة الإلهية. فاما ان يكون الايمان معدوماً، أو موجوداً ولكن ناقصاً. والملاحظة الأخرى هي ان الأمة الاسلامية لن تصبح أفضل أمة وأسوة وشاهدة مالم تَسْعَ في سبيل هداية الانسانية، وهداية الأفكار ومكافحة المنكرات والفحشاء والمعاصي، واقامة الحق والعدل. ولو اختارت السكوت واللامبالاة والمساومة ازاء المنكرات وجرائم الحكام والدول المعتدية فلن تكون ــ على الاطلاق ــ أفضل أمة. ذلك ان الأمة التي لا تؤدي رسالتها، ولا تعمل على إنقاذ الانسانية ونجاتها فكيف تكون مؤهلة لقيادة الآخرين؟.

ب ــ «إنَّ هذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحدةً وأنا ربُّكم فاعبدون». ــ الانبياء: ٩٢

وتؤكد هذه الآية على لزوم وحدة الأمة وترابطها، وتشير الى ثلاثِ مسائل: «الوحدة، والتوحيد، والعبودية».

إنَّ صفة الوحدة، و دورها البناء في بناء الأمة النموذجية والأسوة والشاهدة، تحتاج الى بحثٍ مستقل. وكذلك الحال بالنسبة لوحدة المعبود التي هي أساس لوحدة الأمم، وايضاً عبادة الله الواحد القهار الذي هو رمزٌ للفلاح والتحرر من قيود العبودية لغير الله.

ج ــ «محمدٌ رسولُ اللهِ والذينَ معهُ أشِدّاء على الكفّارِ رُحماء بَيْنَهُم، تراهُمْ رُكّعاً سُجّداً يبتغون فضلاً من اللهِ ورضواناً، سيماهُمْ في وجوههم من أثر السُّجود. ذلك مَثَلُهُم في التوراةِ، ومثلُهُم في الإنجيل كزرعٍ أخرجَ شطأَه فآزره، فاستغلظ فاستوىٰ على سوقِهِ، يُعجِبُ الزُّرّاعَ ليغيظ بهم الكفارَ.وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجراً عظيماً» ــ الفتح: ٢٩.

وهذا الآية تُعَدِّدُ ــ بدورها ــ جملة من الصفات المهمة للأمة المحمدية، ثم تضرب مثلاً توضح فيه النمو التكاملي لهذه الأمة وثباتها التاريخي.

والصفات المعنية عبارة عن الموقف الصلب والشديد لهذه الأمة تجاه الأعداء سواء الكفار منهم، أو المشركين والمنافقين أو أية جهة تدبر المؤامرات والجرائم ضدالاسلام. فالأمة الاسلامية تعي هذه المؤامرات بدراية كاملة وستتصدى لها إن شاء الله. و من جملة هذه المؤامرات والجرائم التي لا تُغْتَفَرُ، ممارسات الاستكبار العالمي ومجازره وجرائمه، هذا الاستكبار المتكون من الامبريالية المعتدية المستغلة، والشيوعية الالحادية المجرمة، والاشتراكية العلمية الزائفة، وتقف على رأسه كل من اميركا والاتحاد السوفيتي واسرائيل وفرنسا و بريطانيا. بينما تنفذ خطط هذه القوى، الحكومات العميلة والرجعية لبعض الدول مثل العراق ومصر والسودان وافغانستان والأردن والمغرب والعربية السعودية وحكومات الخليج و بقية العملاء الآخرين.

هل ترى الأمة الاسلامية و علماؤها ومفكروها، جرائم اميركا واسرائيل والاتحاد السوفيتي و بريطانيا وفرنسا والمانيا والصين في الدول الاسلامية؟

وهل يرون المجازر والجرائم التي تُرتكبُ في فلسطين ولبنان وأفغانستان وفي حدود ايران والعراق على أيدي العملاء المأجورين والطامعين في السلطة امثال صدام و بيغن و ببرك كارمل؟

ألا يَرون الذخائر النفطية وغير النفطية للشعوب الاسلامية المستضعفة والثروات الحياتية للشعوب المسلمة المحرومة في السعودية والعراق والدول

العربية الأخرى، وفي دول الشرق الأوسط، والدول الأفريقية، والآسيوية؛ وهي تَصبُّ في مخازن الاستكبار بين الشرقي والغربي، اللذين يزودان عملاءهما في المنطقة بالسلاح لضرب وسحق الحركات الاسلامية بهدف حراسة المصالح اللامشروعة لاميركا واسرائيل وفرنسا و بريطانيا والاتحاد السوفيتي؟!

وألا يَرون القواعد العسكرية الأمريكية في الدول العربية، وعمليات إرسال قوات التدخل السريع الى المنطقة؟!

وهل بامكانهم ان ينكروا الفساد والفحشاء والمنكرات والبدع وكل ما يخالف الشرع الاسلامي التي أهداها الاستعمار للديار الاسلامية؟!

وما هي ردود فعل علماء الأمة الاسلامية مقابل كل هذه الجرائم والمجازر التي ترتكب بحق إخوانهم واخواتهم في الدول الاسلامية؟!

ألا يُـفْـهَـمُ من قوله تعالى: «أشداء على الكفار» أنه يجب الوقوف بحزم وصلابة بوجه هذه الاعتداءات والجرائم؟! وهل تُعالجُ آلام الأمة الاسلامية بتلاوة الآيات القرآنية فقط؟!

هل انَّ إمتلاك لقب (مسلم)، والإدعاء بالأمة الوسط والشاهدة والأسوة من دون أي عمل وتعهد شرعي بمحتوى الآيات القرآنية، ومن دون إتخاذ مواقف صلبة ازاء الاعداء اللدودين، لها قيمة؟

نظرة الى صفات وخصائص الأمة الوسط

واستناداً الى ماقرأناه من تفاسير وتحليلات حول الآية، فاننا نتوصل الى النتيجة التالية، وهي: ان كل تفسير نأتي به لكلمتي «الوسط» و «الشاهد» يعبر عن امتياز كبير ومهم للأمة الاسلامية، سواء كان بمعنى الاعتدال بعيداً عن التطرف، أو بمعنى القدرة ومعيار الحق، أو الشهادة في الدنيا والآخرة، أو الشهادة على أعمال الناس، أو الشهادة على ظاهر القلوب و باطنها وضمائر الخلائق.

وعلى أية حال يجب ان تكون أمةٌ مؤهلة، لكي تكون قادرة على ان تصبح معياراً للحق والباطل، وأسوة ونموذجاً، وشاهدة على الآخرين، ومُزكّاة من قبل الرسول الأكرم(ص).

ألا تشعر الأمة الاسلامية ـ اليوم ـ بالمسؤولية ازاء الشعب الايراني المسلم المضحي، الذي اتّخذ ـ بقيادة الإمام الخميني الحكيمة، وعلى ضوء ما يأمر به القرآن ـ مواقف حادّة ازاء الاستكبار والامبريالية والصهيونية والشيوعية، و يقف بعزم وصلابة لقطع أيدي الإستعمار وردّ اعتداءات اميركا واسرائيل و أية قوة أخرى، والقضاء على عملائهم في الدول الاسلامية، هذا الشعب الذي قدّم مئات الآلاف من الشهداء والمعوقين والمشرّدين والمنكوبين في طريق الاسلام؟!

ألا يسمعونَ صرخات الأطفال والنساء والرجال الأبرياء من المسلمين الذين تطاردهم القنابل الكيمياوية والعنقودية لاميركا واسرائيل في لبنان وفلسطين، و يواجهون نيران أسلحة الامبريالية الاشتراكية السوفيتية في افغانستان و بقية مناطق العالم؟ وألا يشاهدون الأجساد المحترقة لابناء الأمة المحمدية، حاملة راية الاسلام، والأمة الأسوة والشاهدة!؟

نعم، ان الرسالة التاريخية للأمة المسلمة من جهة، واكتساب لقب خير أمة، والتحول الى قدوة لباقي الأمم من جهة أخرى، ومشاهدة كل هذه المظالم في الدول الاسلامية وعلى المستوى العالمي، ومسائل أخرى من هذا القبيل، تضع أعباء مسؤولية كبرى على عاتق المسلمين ـ وخاصة على عاتق العلماء والقادة بشكل يصعب معها الإدّعاء بأن تساهلاً لم يحصل في البين.

ولهذا السبب ارتفع نداء قائد الأمة الاسلامية الإمام الخميني وهو يخاطب الأمة والدول الاسلامية

بخطاباته المتكررة قائلاً:

«إني من هنا أخرج منادياً بالمسلمين، يا مسلمي العالم، ويا أيتها الحكومات المتظاهرة بالاسلام، ويا أيتها الشعوب الاسلامية في العالم، أنقذوا المظلومين الذين يعيشون تحت ضغوط القوى الكبرى، وأنقذوا هؤلاء الأطفال الصغار الذين فقدوا آباءهم وأمهاتهم... أنقذوا هذه الدول التي تتعرض لهجمات القوى العظمى. يا مسلمي العالم! إنّ القوى العظمى تريد السيطرة على ما يملكه الاسلام، بل لقد سيطرت، وذلك من خلال حيلها ودعاياتها وبمساعدة عملائها في داخل البلدان الاسلامية. إفهموا الاسلام.

ماذا جرى للمسلمين وقادتهم كي يسلّموا كرامتهم الى اميركا؟ وماذا جرى لهؤلاء ليقدموا الثروات العظيمة العائدة للشعوب المحرومة الضعيفة الى اميركا، وتقوم اميركا مقابل هذه الخدمة بتأييد وحماية اسرائيل، وتؤكد قائلة: سوف لن نتبع اسرائيل بمثل هذه الأشياء؟! ماذا جرى للمسلمين؟ ولماذا يجب ان يكون وضع المسلمين بهذا الشكل؟ لماذا يجب استخدام الأجهزة الإعلامية للمسلمين صدقة من المسلمين تريد إنقاذ نفسها من سلطة الأجانب ومن المستغلين الدوليين؟».

ومرة أخرى نرجع للآية: «اشِدّاءُ عَلَى الكُفّار، رُحَماء بَينَهُم». (الفتح: ٢٩)

إن العطف على المسلمين اينما كانوا، يُعدُّ من خصائص الأمة الاسلامية ألم يتفضل الرسول الأكرم (ص) قائلاً:

«من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم، ومن سمع يا للمسلمين ولم يجبه فليس منهم».

فلو كانت الرأفة والرحمة الاسلامية سائدتين، لسارع مسلمو العالم ــ البالغ تعدادهم مليار شخص، وامتلاكهم لكل هذه الامكانيات و رؤوس الأموال، والاراضي الغنية، والمصادر النفطية، والذهب وغير ذلك ــ لنصرة بعضهم البعض برأفة إسلامية، ولكانوا يداً واحدة على الأعداء، لكن ومع الأسف الشديد ــ علاوة على فقدانهم لمثل هذه الرحمة والرأفة، يشعلون نارالحروب والاقتتال بين الاخوة خدمةً للاعداء بالضبط كما فعل النظام المقلق القائم في العراق....

والذي يثير الدهشة؛ انه في الوقت الذي يصمم فيه الاستكبار العالمي ــ المتمثل بالامبريالية العالمية والصهيونية الغاصبة والشيوعية الملحدة في الشرق والغرب ومن بعيد أو قريب ــ بالتعاون مع عملائه لمحق الاسلام والمسلمين، فان المسلمين صاروا شيّعاً بَدلاً من أن يوجدوا جبهة مشتركة واحدة أمام هذه الجبهة المشتركة للكفر العالمي.

ألم يَحِن الوقت ليزيل المسلمون المستضعفون، الحدود الجغرافية والعرقية والاختلافات المذهبية القائمة، بغية تشكيل جبهة اسلامية مترابطة، ويحطموا قيود الأسر الاستعمارية من أجل التحرر من العبودية مثلما فعل الشعب الايراني المسلم؟

ومع ان طليعة هذا الوعي والشعور بهذا الألم أخذا يبدوان للنظر في العالم الاسلامي، و يشكلان بصيص أمل لغد هذه الأمة، لكن علينا أن نتذكر هذا التحذير القرآني في كل لحظة:

«والذينَ كفَرُوا بَعضُهُم أولياء بَعضٍ، إلاّ تَفعلُوه تَكُن فِتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ كبيرٌ». (الانفال: ٧٣)

نعم، لنأخذ بنظر الاعتبار هذا التحذير الإلهي المنسي، وَنَمُدّ على ضوء ــ رحماء بينهم ــ يدالأخوة بعضنا لبعض، ونُحارب اعداء الاسلام والانسانية بعزم وصلابةٍ على ضوء ــ أشداء على الكفار ــ ونتفاءل بنصرة الباري عزّوجلّ.

ومثلما نَصَرَربُّ المستضعفين، الشعب الايراني على اعدائه في الداخل والخارج، فان ايران الاسلام وشعبنا الإسلامي يستطيعان أن يصبحا أُسوة وقدوة لبقية مسلمي ومستضعفي العالم.

ومرة أخرى نؤكد ونقول: انه يتوجب عدم

المرور بهذه الآيات بسرعة خاطفة، بل يجب التوقف، والتدبر فيها، كما يأمر القرآن بذلك:
«أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها». (محمد: ٢٤).

يجب أن نرى هل أن امتنا الإسلامية، مصداق لـ «أشداء على الكفّار رحماء بينهم»؟ فلو كانت مصداقاً لهذه الآية فأن احد شروط الأسوة والتبدل الى الشاهد سيكون عملياً، وعلينا ان نبحث عن الشروط الأخرى.

الرُّهبانُ الثوريون

وتتحدث الآية المذكورة ـ إضافة الى ذكر ضرورة اتخاذ المسلمين لمواقف قاطعة وثورية أمام الخصم اللدود، ولزوم الرأفة والرحمة والأخوّة بين المسلمين ـ عن الصلاة والركوع والسجود التي تستحق التأمل.

إنّ الخضوع لله والعطف على المسلمين، والتشدد مع الكفّار، تشكل ثلاثة أُصول أساسية وهامة، تمنح الأمة الوسط والشاهدة، روعة وجمالاً وجلالاً، وفي نفس الوقت ثورية وتقوى، لا ثورية مجردة من التقوى التي تأخذ بيد الإنسان نحو الظلام، كما حدث ويحدث في الانتفاضات والحركات التي تفتقر الى العبودية لله والى التقوى. إن الزاهد والعابد اللا ثوري لن يكون عنصراً مهماً لمجتمعه، فكم من زهّاد يقبعون في الكنائس وحتى في المساجد والمعابد، ولا تتعدى معنوياتهم العبادية سجادات الصلاة! وليس هناك اي فرق بين صدى النواقيس والتكبيرات لدى الجبابرة. حيث لا يسمعون أنين المحرومين والمظلومين، ولا صراخ المحتجزين في معتقلات الجبابرة. إنهم غُرباء عن مجتمعاتهم ولا يهتمون بمصير الناس! ألا ينظرون الى ما يجري لمستضعفي الأرض من جانب المستكبرين والفراعنة وطواغيت الزمان؟ وألا يفكرون بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم أمام هؤلاء!

ألا يتدبرون الموقف الذي اتّخذه ابراهيم (ع) ازاء نمرود؟

وكيف ان النبي عيسى (ع) أدّى رسالته في عصر كان الجهل والظلم سائدين فيه؟

وكيف ان خاتم الانبياء محمد (ص) ذهب لمحاربة كسرى والقياصرة وعابدي الأوثان، وللرابين ورؤوساء قريش، وكيف أوجد ثورة وزلزالاً في العالم؟ في حين تقول الأبواق الاعلامية الاستعمارية انه لا يحق لحجاج بيت الله الحرام أن يهتفوا ضد اميركا والاتحاد السوفيتي، وبصورة عامة ضدّ الأعداء اللدودين للإسلام والقرآن والرسول الأكرم (ص)!!

أما في صلوات الجمعة التي تُقامُ في مكة والمدينة، نرى الخطباء هناك يتجاهلون ـ في خطبهم ـ المجازر التي ترتكب بحق المسلمين في فلسطين ولبنان، وكأنّ شيئاً لم يحدث!!

وعندما يريد خطيب مسجد النبي أو مكة المكرمة ان يتظاهر بالثورية! فان قمّة الوحيد هو التهجم على الحجاج الايرانيين ورفعهم شعار «الموت لاميركا واسرائيل والاتحاد السوفيتي» و يؤكد و يصرّ على أنّ هذه الشعارات ليست إلاّ بدعة!!

نعم، انّ الإسلام الذي يملي ومن قبل الأعداء، ويخضع لسيطرة الدولارات والنفط والأطماع السلطوية للملوك والأُمراء، وللغرور والشهوة والخمر، لن يستطيع أن يؤثر اكثر من هذا! كما ان العلماء الذين يمالئون السلطة يبتلونَ بهذه المصيبة!

إذن، يجب أن يتحرر الإسلام من هذا الأسر، ويجب ان يفسر القرآن بشكلٍ صحيح، ويجب على مكة والمدينة ان تتفهما الأمة الابراهيمية والاسلام المحمدي، ويجب أن تسترجعَ الصلاة طابعها الذي كانت عليه في صدر الإسلام والمتمثل بصلاة الموحدين في جبهات القتال، بالضبط كما نشاهده ـ اليوم ـ في الجبهات الايرانية والمناطق التي تشنُّ حرباً ضدّ

الاستكبار العالمي. وبرؤية هؤلاء المدافعين عن الاسلام يتجسم لنا أنصار النبي (ص)، اولئك الذين قال النبي (ص) في وصفهم: «رهبان بالليل وليوث بالنهار».

ومثلما رأينا فان الآية المعنية تريد ان تُبيِّنَ هذا الشيء عند تجسيمها لصورة الأمة الإسلامية النموذجية.

ونصلُ عند متابعتنا للآية الى صفةٍ أُخرى: «يبتَغُون فضلاً من اللهورضواناً».

أي أنَّ الأمة المحمدية لاتهدف من أعمالها وعباداتها وجهادها سوى الحصول على رضا الله وأداء المسؤولية الإلهية، ولا تطلب أجراً أوجزاء سوى من عنده، كما ان عملها خالص له غير قائم على الرياء وطلب السلطة. ومثل هذا العمل يكون مفيداً ومؤثراً وبنّاءاً ومثمراً. وهذه هي صفات أُمةٍ مسلمة تريد أن تصبح أُسوة وقدوة وشاهدة على بقية الأمم الأُخرى.

والوضع الراهن ــ اليوم ــ على المستوى العالمي يحمل طابع الشرك. فلاشيء منه مخصص لخدمة الله ولا لخدمة عباداالله. وان السياسة، والحكومة، والقضاء، والاقتصاد، والحرب، والنظام الإداري بعيدة كل البعد عن الله. يتفوهون باسم الشعب، ولكن كلامهم حبرعلى ورق، حتى ان الحكومات والانظمة المسماة بالإسلامية ليس لديها مايؤكد إسلاميتها، كما أنَّها لم تفكر لحد الآن بالمسلمين، وان اكثرها لا تعترف باللهِ ولابالنبي (ص) ولا بالاسلام ولا بالمسلمين و...

أمّا النتيجة فهي: العمالة، الإجرام، الفساد، الذّلة والتخاذل أمام الامبريالية والصهيونية، وهذا مايتمثل بمواقف الحكومات العربية الرجعية من اميركا واسرائيل والاعتراف بها.

فالقرآن يحذر الأمة الإسلامية قائلاً: «قُلْ إنّما أعِظُكم بواحدة أنْ تقوموالله» (سبأ ــ ٤٦)

أي، يا أيها النبي! قُلْ للناس إنَّ لي موعظة واحدة لكم وهي؛ قوموا من أجلِ الله. إذ ان الحركة لأجل الله ورضاه، كفيلة بمنح أُمةٍ ما، الأصالة، والانسجام، والاستقامة، والعظمة، وإرشادها الى الطريق الذي حدّدهالها الباري سبحانه وتعالى، (والثورة الاسلامية الايرانية خير دليل على ذلك). ثم يصبح المثل المضروب حولها في الآية، واقعاً.

وكان المثل: «كزرعٍ أخْرَجَ شطأهُ فآزرهُ، فاستغلظ فاستوى على سوقهِ يعجبُ الزُّراع ليغيظ بهم الكفّار...»

وتبدأ الأمة ــ دائماً ــ من فرد واحد، فرد يحمل فكراً إلهياً وهدفاً إنسانياً و ينثر بذورهما في الأفكار: «إنّ إبراهيم كانَ أُمةً قانتاً للهِ حنيفاً» ــ النحل: ١٢٠

والنبي (ص) هو أُمة مؤسسة للأُمة الاسلامية الكبيرة وامتداد لأمة ابراهيم وخط التوحيد.

لقد بدأت دعوة النبي (ص) من أقرب افراد البيت، حيث انضموا واحداً بعد آخر الى هذا الصف، وسمعوا نداءه من قريب و بعيد، وازدادوا على مدى التاريخ. وهذه الشجرة تأصلت جذورها ونمت أغصانها وصارت قوية فأعطت الثمار. وظلت أوراقها وأغصانها طوال أربعة عشر قرناً تنشر ظلّها على أفرادِ البشر، كما وزرعت هذه الشجرة الطيبة، الايمان في قلوب الملايين من المسلمين على طول التاريخ، وتركت آثاراً جيدة لانها كانت قوية ومتأصلة، فلم تهزُّها الرياح والعواصف أوتؤثر عليها.

«يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار». وهذا الجزء من الآية في غاية الروعة.

إن تقدم الاسلام، وتوسع الأمة وانضمام الملايين إليها على طول التاريخ، كل هذه الأشياء يحتمل ان كانت غير مترقبة بالنسبة لأكثر المسلمين في عصرصدر الاسلام، إذكانت هناك موانع كثيرة أمام الدين الاسلامي ناهيك عن مؤامرات

الأعداء. لكنّ الله شاء ذلك.

«ليظهره على الدين كله». إنّ الإسلام سيتغلب على كافة أديان العالم، غير أنّ فاصلة ستبق بين الوعدوتحققه. لذلك دهشت الأمة الاسلامية عندما شاهدت، التقدم المتواصل للإسلام، وانضمام افراد البشر الى هذا الدين الإلهي، و بديهي أنها سترى مسائل أخرى، بحيث لايبق هناك وجود للكفر والشرك والفساد في العالم، و يصبح العالم مهداً للإسلام، والكرة الأرضية موطناً للأمة الاسلامية، و يتحقق ذلك الوعد السماوي.

و بتقدم الإسلام وفَرَح زُرّاع الدين، يغتاظ الكفار، حيث قال الباري سبحانه وتعالى:

«قل موتوا بغيظكم» لأن الذين شاهدوا أن توسع الاسلام بدأ يحطم معاقل ظلمهم وسيادتهم، الواحدة بعد الاخرى اغتاظوا، ولكن لم تكن في أيديهم حيلة حيث ان الحشرات الليلية لا ترغب بالشمس، ورونق السوق لايقلل شيئاً من الشمس.

هذا هو موقف أعداء الاسلام. فهم ــ اليوم ــ يريدون القضاء على الإسلام، لانهم عندما شاهدوا الظهور المجدد للإسلام عَبْرَ الثورة الإسلامية الايرانية، والانتصارات المتواصلة منذ الثاني والعشرين من شهر بهمن عام (١٣٥٧) إبتداء من سقوط الشاه المقبور وفرار الأمريكيين، وانتهاء بضرب المعتدين البعثيين وتحطيم الجبهة المتحدة للشرق والغرب وعملاء الاستكبار العالمي في المنطقة، إستخدموا الدولارات والنفط والسلاح والمأجورين والجواسيس وآلاف الدسائس الشيطانية الأخرى لضرب هذه الإنتفاضة الإلهية.

نعم، عندما شاهدوا هذه الحركة العظيمة والأمواج المتلاطمة للبحر الاسلامي، صرخوا و بكوا واعتبروا الإسلام خطراً كبيراً على مصالح الشرق والغرب والدول الاستعمارية الأخرى، لكنهم شاهدوا كيفية توسع مدارات أمواج الثورة وتقدمها الى الأمام وكيف ان الثورة زرعت في قلوبهم كابوس فناء الامبريالية الامريكية وعملائها الصهاينة، ولاحيلة لهم في قباله. ذلك ان الثورة الإسلامية إنتشرت وأفشلت جميع المؤامرات.

وإن الشجرة المتأصلة للثورة الإسلامية التي تعتبر استمراراً لرسالة الرسول الأكرم (ص) تَزرَعُ هذه المرة ــ على ضوء «بعجب الزراع ليغيظ بهم الكفّار» ــ الأمل في نفوس مستضعفي العالم، والغيظ في نفوس المستكبرين.

و يوجد في نهاية الآية وعدآخر، وعدالله للمؤمنين والصالحين بانّ لهم مغفرة وأجراً عظيماً.

والأمة الاسلامية لا تتخوف من الدسائس والمخططات الشيطانية، والاسلام في طريقه الى التوسع، والأمة في طريقها الى التوسع والتكامل. فعندما يضع الانسان المسلم، المؤمن، الصالح، قدمه خارج التراب و يتوجه الى الجنّة فانه سيجد أنعم الله امامه وسيرى أجره العظيم عندالله كأجر جهاده وما قدمت يداه. وليس مثل الكفّار والمشركين والمنافقين وعابدي الدنيا الذين يكون موتهم مصيبتهم الأولى لان العقاب الإلهي في انتظارهم.

والآيات التي يمكن الرجوع اليها لتبين أنّ صفات الأمة الاسلامية لا تتلخص في الآيات الواردة في هذا المقال فقط، فلتفصيل أكثر يمكن مراجعة آيات أخرى، وذلك من خلال الأخذ بعين الاعتبار كلمة «الأمة». ومع ذلك فان الآيات المدوّنة هنا تستطيع ان تضم تلك الأصول الموجدة للنواة المركزية للأمة الشاهدةوالمتلكة للمعايير.

وهنا نشير الى النتائج الحاصلة عن البحث:

١ ــ إنّ الله سَمّى الأمة الاسلامية بـ «الأمة الوسط والشاهدة».

٢ ــ إن كلمتي الوسط والشاهد، تأتيان بمعنى

المعيار والأسوة والشهادة.

٣ ــ وهذه الموهبة الإلهية تجسم نزاهة الأمة الاسلامية وأفضليتها على باقي الأمم.

٤ ــ وهذه الصفة لا تشمل كافة افراد الأمة، بل هي خاصة بالصالحين والجيدين من أبناء الأمة.

٥ ــ و تحصل الأمة الإسلامية على هذه الكرامة في ظل نبوة النبي الأكرم (ص)، وهي قدوة وشاهدة واقعية، وزعيمة نفوس المؤمنين وقلوبهم وشاهدة على الإنسانية.

٦ ــ وأساس هذه الصفة، هوالايمان بالله والعمل الصالح المتمثلان بـ: الصلاة والدعاء والاحسان والخير والزكاة و بقية الاعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة.

٧ ــ إن الجهاد والكفاح في سبيل الله والسعي لإقامة الدين، من الصفات الأخرى لهذه الأمة.

٨ ــ وأيضاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحراسة الفضائل ومكافحة الرذائل.

٩ ــ وهذه الأمة تحمل أعباء رسالة قيادة الجموع البشرية.

١٠ ــ ومن الصفات الأساسية والمهمة الأخرى لهذه الأمة؛ إتخاذ المواقف الصلبة والثورية ازاء الخصم، والتعامل برأفة مع المؤمنين.

١١ ــ وإن الله، مولى هذه الأمة ونصيرها، بينما قادتها هم كل من رسول الله وأوليائه. وهي ترجع الى الله وأجرها محفوظ عندالله. وباختصار: هي من الله واليه.

١٢ ــ وهذه الأمة بعيدة عن التطرف والفوضى، وتختارالطريق الوسط لتكون قدوة لبقية افراد العالم، وذلك من خلال الابتعاد عن المادية المحضة والمعنوية المحضة.

١٣ ــ وعلى حد قول بعض المفسرين حتى أن زمان ومكان ظهور هذه الأمة يمتازان باعتدال تاريخي واقليمي.

١٤ ــ وتتبع أفكارها وعقائدها و وظائفها وتكاليفها من حكمة الاعتدال الكامل.

١٥ ــ والأمة المسلمة والأسوة والشاهدة، توجد في كل مكان وتأخذ على عاتقها دوربناء الأجيال.

١٦ ــ وتمتاز الأمة بالوحدة والانسجام والتضامن والتكامل.

١٧ ــ وهي تسير نحو توسع وتكامل واستقرار أكبر وسوف تكون الوارثة لجميع الأرض.

١٨ ــ وايضاً تمتاز الأمة الوسط والنموذجية ــ في كل عصر ومرحلة ــ بقيادة صالحة في خط ابراهيم (ع) ومحمد (ص). كما ان استمرار الإمامة بأفضل أشكالها يعتبر مبدأ غيرقابل للانكار في معتقدات الأمة.

وفي الختام نشير الى عدة ملاحظات مهمة:

و في الختام نشير الى عدة ملاحظات مهمة:

١ ــ إن الصفات التي ذكرناها للأمة الاسلامية من مثل الأمة الوسط والشاهدة قد اشار اليها القرآن الكريم. وعلى الأمة الإسلامية أن تسعى لتحقيقها وأن تنسجم معها. وهذا لا يعني ان جميع أفرادهذه الأمة يمتازون بهذه الصفات في كل عصر، بل انه واجب على جميع المسلمين في انحاء العالم أن يسعوا و يجاهدوا لإقامة هذا الدين الإلهي في انحاءالعالم، وقيادة بقية الأمم والشعوب.

٢ ــ ولذلك يمكن القول بان الأرض سوف لن تخلو من الحجة، وإن الإمامة أصل قائم في التاريخ العالمي للإسلام. ففي كل العصور والقرون، كان ولايزال هناك افراد مؤهلين ليكونوا الأمة الوسط والشاهدة والأسوة. فمن جهة ان امامة الأمة الاسلامية كانت ــ على الدوام ــ وستكون على عاتق الصالحين من أفراد هذه الأمة (مسألة إمامة الأمة). ومن جهة أخرى إن الذين تربّوا وتكاملوا في ظل مثل هذه الرسالة والإمامة، هم أمة ــ بكل معنى الكلمة ــ لها صلاحية قيادة وإمامة بقية

الناس. وان تفصيل هذا الحديث موجود في باب الإمامة والقيادة من كتاب المباحث.

٣ ــ وبالأخذ بعين الاعتبار النتائج الحاصلة عن البحث حول الأمة وصفاتها فان هذه الأمة يجب ان تكون طليعة، لا أن تسير وراء الأمم الأخرى حيث يلزم على الأمم الأخرى أن تسير على خطاها.

لماذا يجب ان نقلد الآداب والتقاليد والرسوم والنظريات الغربية والشرقية؟ ولماذا لايقلدنا هؤلاء؟ وما الذي نفتقر اليه مما عندهم؟ وماالذي عندهم مما هوموجود لدينا؟

لوتصفحنا التاريخ الإسلامي لهذه الأمة خلال القرون الماضية لرأينا أن الأجانب كانوا يأتون للاستجداء من هذه الأمة، حتى انهم حصلوا على العلوم والفلسفة وفن الطب وعلم الطبيعة من حضارتنا وثقافتنا وأخذوها الى بلدانهم. ففي الوقت الذي كانت فيه اميركا والدول الاوربية تعيش عصور الظلام والجهل ولم تكن لتفهم معنى العلم، فان اعظم الحضارات كانت تعود للمسلمين. حتى ان الكتب المؤلفة حول حضارة الاسلام بأقلام المستشرقين والغرباء عن الإسلام لم تستطع ان تخفي هذه الحقيقة.

وعلى هذا الأساس فان قيادة افراد البشر سواء في المجالات المعنوية أو المادية، أو في مجال الدين أو العلوم الدنيوية، أو في مجال المعارف السماوية الوهبية أو التحقيقات العلمية المادية، أوفي الحضارة والتمدن أوفي الأخلاق الفردية والاجتماعية كانت من مسؤولية المسلمين الذين عليهم اليوم ان يسترجعوا هذه السيادة ويحرسوها، وان لايتأخروا أو يتساهلوا عن حراسة ميراثهم الثمين، واستعادة المجد والعظمة السابقين.

نحن نعلم ان اميركا واوربا وبقية الدول الكبرى هي ــاليومــ اكثر تطوراً من المسلمين في مجال العلم والفن والتكنيك، وان المسلمين يحتاجون اليها، لكن يجب أن لانتسى بان ما تملكه تلك الدول قدأخذته منّا، أي من «الاسلام». ولوأن تلك الدول قد سبقتنافي مجال العلم والصناعة فهذا لا يعني أننا عاجزون عن ان نملك علوماً وصناعات مثلهم. وايضاً لايعني أنهم أفضل منّافي كل شيء. فهم منحطون ومتأخرون من الناحية الاخلاقية والمعنوية اللتين تشكلان الأبعاد الرئيسية لوجود الانسان. فلا وجود للمعنوية في هذه الدول، حيث ان الاخلاق والفضائل والانسانية معدومة هناك، وتحوّل العلم الى عامل لقتل ونهب المحرومين والمضطهدين، وان الكوارث التي تحدث في العالم ليست إلاّ آثاراً سيئة لوجود مثل هذه الدول المتطورة! لكن و في نهاية الأمر ستقوم هذه الدول بتحويل الكرة الأرضية الى جهنم تحترق هي الأخرى فيها وتتحول الى رماد. ومثلما اثبتوا مراراً، فانهم على استعداد لايجاد مثل هذه الكارثة! ومن هذا المنطق لايمكن ان يصبح هؤلاء أسوة وأئمة للآخرين.

إذن يلزم عدم إهمال دور الاسلام والمسلمين في قيادة افراد البشر. فلوعاد المسلمون الى الاسلام، واسقطوا الحكومات اللاشرعية وغير المسلمة، وجاهدوا وضحوا من أجل إقامة حكومة الله وحكومة المستضعفين، لاستذلوا القوى العظمى و وضعوها تحت سيطرتهم، ولبنوا على انقاض جهنم التي صنعتها تلك القوى جنة عدن. وهذا هو الوعد الذي وعدالله به هذه الأمة.

«وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنّنّ لهم دينهم الذي إرتضىٰ لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني، لايشركون بي شيئاً. ــالنور: ٥٥ــ

«إنّ الله لايخلف الميعاد» ــالرعد: ٣١ــ

كما يجب عدم التغافل عن أصل أساسي في

هذا المصير ألا وهو الدور الفعال والمؤثر للايمان والجهاد في عمل الأمة الاسلامية. حيث يقول القرآن الكريم:

«إنَّ الله لايُغيِّرُ ما بقومٍ حتىٰ يُغيِّروا ما بأنفُسِهِم». (الرعد: ١١)

هذا التحول يكون عملياً بعد أن يعود المسلمون الى الإسلام، ويحيوا الايديولوجية الإسلامية من جديد و يتخلوا عن الايديولوجيات الالحادية والاستعمارية والأفكار والنظريات الاجنبية، و يطبقوا القرآن وأحكامه، و يسعوا لإحياء الاسلام وتنفيذ قوانينه بكل اخلاص وتعبد وتقوى واخلاق إسلامية، و يقطعوا علاقاتهم مع القوى العظمى التي لاتهدف سوى القضاء على المسلمين، ويمدوا يد الأخوة لبعضهم البعض من خلال إزالة الحدود الجغرافية والعرقية والقومية واللونية، و يوطدوا الأخوة الاسلامية، و ينتفضوا من أجل تحرير المستضعفين المشردين، و يتخلوا عن الحكومات الغاصبة اللاشرعية في البلدان الإسلامية والتنظيمات السياسية الخادعة التي تتظاهر بالشعبية والوطنية وتعيش على القوى الاستكبارية، و يرتبطوا بالله، و يثوروا لإسقاط الحكام الظالمين الذين هم العامل الرئيسي للشر و سبب لمصائب الجماهير المحرومة، وأن لايتأخروا لحظة عن التضحية بالمال والنفس في سبيل إقامة حكومة العدل القرآنية. لأن الاستقلال والحرية والعظمة والكرامة لا تتحقق ببساطة ومن دون تضحيات، وليعلموا انه يمكن بالامكانيات المحدودة والعدة القليلة ــ بشرط توفر العزم والايمان والتضحية ــ خوض الصراع مع القوى الظالمة والمستبدة والانتصار عليها. بالضبط مثلما فعلت الجماهير الايرانية المسلمة التي انتفضت من أجل الله بأيدٍ خاليةٍ وقلوبٍ ملؤها الإيمان، وضحت بكل ما تملك، فحصلت في النهاية على اشياء كثيرة.

واليوم فان الشعب الايراني المسلم استطاع و ببركة الاسلام ان يطرح نفسه في الساحة العالمية بمثابة القوة الاسلامية الوحيدة، و يقض مضاجع القوى العالمية العظمى و يشلّ حركتها.

وكل هذا حصل في ظل تأييد الباري سبحانه وتعالى ونصره:

«ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلونَ إن كنتم مؤمنين» (آل عمران ــ ١٣٩)

الاستقلال

■ يعتبر «الاستقلال» و«عدم التبعية» أحد أكبر الخصائص للأمة الاسلامية، وهو موضوع واسع جداً... ذو أبعاد وجهات سياسية ودينية متنوعة، وقد دعيت رغم العدة العلمية القليلة والوقت القصير جداً ـ للبحث فيه، واني وان كنت فخوراً بالإشتراك في هذا اللقاء العلمي الى جانب العلماء والمحققين والأساتذة الكبار من الاقطار الاسلامية، ومن قطرنا هذا، إلا أني أجدني أقل من أن أقول شيئاً في هذا المجمع، أو أطرح نظرية معينة، ومع هذا فقد شجعنا بعض الأخوة على الكتابة في هذا الموضوع، مستمدين العون من الله تعالى.

١ ـ معنى الاستقلال وأبعاده:

قبل كل شيء يجب ان يتوضح لنا مفهوم الاستقلال وأبعاده لكي نواصل البحث على أساس منه...

ودوائر المعارف عموماً تُعرِّفُ الاستقلال؛ بالتحرر من النفوذ والتسلط والارادة والتخطيط الأجنبي، أو الغنى والاكتفاء الذاتي. وعلى الصعيد السياسي يُعبِّرُ الاستقلال عن عدم تبعية قطر ما للقوى العظمى ومن يدور في فلكها، وذلك في قبال «الرزوح تحت نير الاستعمار» وهو عبارة عن تبعية ما في شؤونه الثقافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، لقوة أخرى تماماً كتبعية الطفل الرضيع في تغذيته وامكاناته الأخرى لاستدامة

حياتهالأمه و توقف حياته عليها.

وأبعاد الاستقلال كأبعاد الاستعمار مختلفة ومتعددة، ويمكن أنْ يكون أهمها؛ البعد الثقافي.

وأهمية البعد الثقافي للاستقلال أو الابتلاء بالاستعمار تكمن في ان المجتمع اذا أبتلي بالثقافة المرتبطة، فان باقي الارتباطات سوف تأتي بكل سهولة.

و على العكس من ذلك نجد أن تقطع جذور البعد الثقافي يؤدي الى تمزق المظاهر والأبعاد المختلفة الأخرى وزوالها.

بعد البعد الثقافي، ينبغي التعرض للأبعاد الاخرى؛ كالأبعاد السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والصناعية وغيرها.

و من الطبيعي ان بالامكان ذكر أبعاد أخرى للاستقلال أو الاستعمار، لكن لما كانت هذه الأبعاد تقبل التداخل، كان بالامكان حصرها في العناوين الثلاثة «الثقافية، والسياسية، والاقتصادية». فمن المستحسن ان نتابع البحث على أساس هذه العناوين في حين نتعرض لباقي الأقسام بالتبع.

٢ ــ استقلال الأمة الاسلامية في الفترات الزمنية المختلفة:

ان الثقافة الاسلامية الثرة، والقدرة السياسية والاقتصادية للاسلام لا تبقي أي شك أو شبهة في مجال الاستقلال والاكتفاء الذاتي للمجتمع الذي ينتمي لهذا المحيط اللامحدود.

ومنذ طرح الدين الاسلامي كنظام كامل محي يؤمن الحاجات المادية والمعنوية للبشرية في أي مكان من الارض، وفي كل مقطع زماني كأفضل مايتصور و حتى يومنا هذا نجد أنه ـ وفي أي ميدان تجلّى فيه بتمامه ـ قدأبدى دوره الحركي الفعّال في المجالات الثلاثة: «الثقافية، والسياسية، والاقتصادية» وذلك بشكل مستقل بعيد عن أية تبعية.

ان هذه الحقيقة بدت واضحة سواء عند بدء الانطلاقة حيث المجتمع الصغير والأمة الصغيرة ظاهراً والكبيرة القوة في الواقع، أو بعد ذلك حيث اتسعت آفاقه فشمل بسلطته رقعة واسعة من العالم من الشرق وحتى الغرب ومن الشمال حتى الجنوب.

اننا نعلم جميعاً ان الثقافة والتعاليم الاسلامية من خلال ارتباطها بالوحي قامت بأروع الأدوار في إعادة بناء مجتمعات مختلفة وقوميات متنوعة، وأقامت على أساس ذلك حضارة عظمى ذات قاعدة من الفضائل والقيم الانسانية.

وقد عمد الى المجتمع العربي القاطن في الحجاز المجتمع المتأخر البعيد عن الخصال الانسانية والذي كانت تعمه أنماط الفساد والتحلل، والجهل، والقتل والجرائم والخيانة، عمد الى مثل هذا المجتمع فأوصله الى أسمى مدارج الكمال، وقدمه مثالاً لانظير له لكل الأمم الأخرى.

و قد راحت الأقطار المجاورة ــ ثم الأبعد فالأبعد ــ تنعم شيئاً فشيئاً بأنوار الاسلام و تأثيرات التعاليم الاسلامية الغنية الحية.. ولم يقتصر هذا على ايران و بلاد الروم ــ وهما المنطقتان اللتان كانتا تضجان بظلم الأكاسرة والقياصرة، فجذبها الاسلام اليه و غمرهما بنعمه ــ وإنما راحت الأمم الأخرى تستمد من هذا العطاء الى الحد الذي استطاع الصوت الاسلامي المدوي أنْ يصله فينقذ أهله من وهدة الضياع. وهكذا حتى عدنا نجد عددالمسلمين اليوم يصل الى مليار انسان على هذه الكرة الأرضية، يقطنون مساحات واسعة تفتخر كلها بأنها تنعم بالمبدأ الانساني الرائع.

ولقد امتاز الأسلوب الاسلامي في السياسة

والاقتصاد و فروعها المتعلقة بها بميزة خاصة و تبلور معين، أهّلته للتأثير على أية منطقة يصل اليها بسرعة خاطفة، وهو أمرٌ يظهر جلياً لأيّ مطلع على تاريخ الأمم والأقطار وجغرافيتها السياسية، اذ يلاحظ ـ بكل وضوح ـ أثر الحضارة الاسلامية الكبرى في الجوانب الثقافية والسياسية والاقتصادية في شمال أفريقيا واسبانيا وايران القديمة والقسطنطينية «تركيا» وغيرها.

ولقد بقي الاستقلال الثقافي والسياسي والاقتصادي الاسلامي مصوناً من أية تبعية في كثير من المجتمعات والأمكنة.

ولم يكن المسلمون مبتلين بأية تبعية مادام الاسلام حاكماً فيهم يوجه حياتهم و ينظمها... فقد كانوا يزرعون بأيديهم، ويحصدون، و يأكلون ويبنون كل مايحتاجونه بأنفسهم و بطاقتهم الذاتية، وليس التقدم العلمي والفني والصناعي للمسلمين بخافٍ على أحد.

ومازلنا نشاهد في الأقطار الاسلامية ـ و غير الاسلامية ايضاً ـ نماذج معمارية وفنية متنوعة، وآثاراً علمية أبدعها علماء الاسلام الكبار. وعلى العكس منه نجد ان الاستعمار حين سيطر على المسلمين وتحكّم في مصيرهم، حوّلهم الى عبيد تابعين لأسيادهم يعيشون حياة ذليلة.

ومن نافلة القول ان نتعرض للأمثلة ـ على مدى التاريخ ـ ونستعرضها امام المطلعين على التأريخ و الحياة الاجتماعية للمسلمين.

٣ ـ استقلال الأمة الاسلامية من وجهة نظر القرآن:

لقد رسم القرآن الكريم ـ في آيات متنوعة ـ الخطوط العريضة للسياسة التي يجب ان يتخذها المسلمون ضد المستكبرين والطغاة والكفار والمشركين.

إن القرآن الذي يعتبر الأمة الاسلامية، الأمة النموذجية التي تتمتع بالايمان والايثار، لم ولن يسمح مطلقاً لها ان تبتلى بالتبعية والاحتياج للمستكبرين الكفار، وتعيش ذليلة في ظلهم.

وقد جاء هذا المعنى مؤكداً في آية شريفة تقول: «لَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً» «النساء: ١٤١»،

كما جاء هذا الأمر في آيات من سورة آل عمران «الآيات ١١٨، ١١٩، ١٢٠» مع ذكر بعض النقاط النفسية الاخلاقية الهامة وهي قوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ».

و من الطبيعي ان المقصود به «مِّن دُونِكُمْ» غير المؤمنين بدينكم، وبملاحظة معنى «البطانة» وهي في الأصل «الوجه الداخلي من الثوب» نعرف ان المقصود هو منع المؤمنين من مودّة المخالفين لهم في دينهم، والالتصاق بهم كالتصاق البدن بالوجه الداخلي من الثوب.

وأحد المبررات التي تذكرها هذه الآيات: هو أنهم «لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً» و يعني انهم لايدخرون وسعاً في إيجاد الفرقة، و بث الفواصل، والإفساد بين المسلمين.

والثاني: هو أنهم «وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ» فهم يودّون ان يعيش المسلمون في عذاب ونصب شديدين.

والثالث: انه «قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ» بمعنى أنهم أعلنوا عداوتهم لكم في حين ان «مَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ». ثم يقول في ذيل هذه الآية بلحن قاطع: «قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ».

ثم ان القرآن لايكتفي بهذه الآيات، بل ينذر

المسلمين مرة أخرى فيقول: «هٰا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتابِ كُلِّهِ، وَإِذا لَقُوكُمْ قالُوا آمَنّا، وَإِذا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ، قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ، إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ». «آل عمران: ١١٩».

ولم يكتف القرآن بهذا القدر، ولأن هذا الموضوع هو أحد المسائل الحياتية للمسلمين فانه يتابع في آية تالية فيقول:

«إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ، وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِها، وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً، إِنَّ اللهَ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ».

«آل عمران: ١٢٠»

و في آية أُخرى من هذه السورة «١٤٩ــ١٥٠» يقول بحزم أكبر:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ، بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النّاصِرِينَ».

و تقول الآية ١٤٤ من سورة النساء:

«يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ».

و من جانب آخر نجد القرآن يدعو المسلمين للتوكل على الله مما يقوي فيهم حسن الاستقلال والاكتفاء الذاتي، و يشخص لهم سبل الفضيلة والتعالي والكمال، وذلك كما يقول في آية شريفة:

«وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» «آل عمران: ١٣٩».

وتبين آية أخرى أن الضعف والخور هما نتيجة ضعف الايمان ونفوذ الشيطان فتقول:

«إِنَّما ذٰلِكُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ فَلا تَخافُوهُمْ وَخافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»

«آل عمران: ١٧٥».

وتبشر آية اخرى المؤمنين فتقول: «فَأَمّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِراطاً مُسْتَقِيماً»

«النساء: ١٧٥».

و تتوضح ــ من خلال ملاحظة مجموع الآيات المعروضة ــ الخطوط العريضة للموقف الذي يجب ان يتخذه المسلمون في قبال الكفار المتشبهين بالطغاة الذين يسعون للسيطرة عليهم وتسخيرهم لمصالحهم.

ومن الجدير بالذكر ان الذي يؤكد عليه القرآن هو ان المسلمين يجب ان لايذعنوا للكفار المستكبرين، لان المبدأ الاسلامي من حيث الأيديولوجية والثقافة والمعنويات غني الى الحد الذي لايسمح له بالتبعية.

ثم ان المسلمين اليوم يملكون من الأمور المادية والثروات الطبيعية أفضلها وأكبرها بحيث يشكل نفطهم ــ في الشرق الأوسط ــ العصب الحياتي للتكنيك والصناعة الغربية والشرقية.

ولكن القرآن لاينفي كل الروابط مع الكفار، فلا داعي للوقوف بوجه قيام علائق لا تؤدي الى بسط سلطة ظالمة وتهديد استقلال المسلمين وكيانهم، ولذا فلا دليل على تحريم هذه الروابط ولا على وجوب قطعها... واننا لنشاهد في صدر الاسلام وعصر الرسول الأكرم «ص» ان هناك بعض المعاهدات التي أُبرمت بين المسلمين والكافرين، ومتى مانقضت هذه المعاهدات من قبل الكفار قام المسلمون بالردّ عليهم بالقطع، و ربما انجرّ الأمر الى الحرب.

و قد سمحت بعض الآيات للمسلمين أن يسالموا الكفار الذين لايقصدون الاستكبار، و يبدون اللين والحياة المسالمة، ويقيموا معهم علائق بالعدل، فالآية «٦٤» من سورة آل عمران تقول: «قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ

شَيْئاً، وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ».

والواقع ان البحث القرآني في مجال الاستقلال والسياسة الخارجية للمسلمين عميق و واسع، ونحن نكتفي بهذا القدر منه لئلا نتجاوز حد المقال.

٤ ــ دور الثورة الاسلامية في الحصول على الاستقلال:

كلنا يعلم ان أحد اكثر الشعارات التي طرحها الشعب الايراني المسلم اصالةً وقاطعيةً منذ بدء النهضة وحتى الانتصار هو شعار: «استقلال، حرية، جمهورية إسلامية». وقد تحققت كل مقاطع هذا الشعار ــ بحمدالله ــ بعد نجاح الثورة، وخصوصاً مسألة الاستقلال حيث ركزت عليه الثورة ومسؤولوها وعلى رأسهم قائد الثورة الكبير الامام الخميني على اساس أنه مبدأ لدوام الثورة واتساعها.

وان سياسة: «لاشرقية، ولاغربية» كخط سياسي حازم للجمهورية الاسلامية في ايران وخصوصاً بعد احتلال وكر الخيانة والتجسس الامريكي وقطع العلاقات بتمامها مع امريكا المجرمة، وتعديل العلاقات مع الاتحاد السوفيتي تطبيقاً وتعميقاً لهذه السياسة المستقلة. ومع قيام العلاقات المتينة العادلة مع العالم الثالث بشكل لايؤدي الى التبعية تم الحصول على مكاسب جيدة في هذا المجال. ولقد قضت الثورة الاسلامية بكل فخر واعتزاز على الفكرة القائلة بعدم امكان الحياة إلا في ظل أحدى القوى العظمى، وأعلن قائد الثورة الاسلامية «ان البعض كانوا يتصورون انه لايمكن التنفس بدون امريكا وروسيا ولكننا عشنا بدونهما».

ان الشعب الايراني المسلم ــ متكلاً على الله ومعتمداً على نفسه ورغم الحرب والحصار الاقتصادي وكل مؤامرات امريكا ومن يدور في فلكها وعملائها المرتزقة ضد هذه الثورة الاسلامية الشعبية ــ استطاع ان يتجاوز كل المشاكل، و يؤمن كل متطلباته كأفضل مايكون في جميع المجالات المتنوعة دون ان يمد يداً الى قوة عظمى. وبهذا تحقق الوعد الالهي:

«يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ». «محمد(ص): ٧»

ومن الطبيعي ان لايدع الله مثل هذا الشعب وشأنه، بل يحطم كل مؤامرات أعدائه:

«وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ» «آل عمران: ٥٤».

و انما لنرجو ان تسترجع الأقطار الاسلامية ــ عبر الرجوع الى القرآن الكريم وتطبيق القوانين المحببة ــ استقلالها و مجدها و عظمتها الضائعة ولاتخشى في هذا السبيل أحداً إلا الله.

٥ ــ الوضع المؤسف للأقطار الاسلامية وتبعيتها الشديدة:

وقبل ان ننهي حديثنا، لابد أن نلقي هنا نظرة على وضع الأقطار الاسلامية وتبعيتها الشديدة.

ان الكل يعلم تقريباً أنه بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران راح أكثر حكام الاقطار الاسلامية يفقدون دينهم و قرآنهم و كيانهم وعظمتهم، و يتجهون نحو شياطين الشرق والغرب، و يمدون يد الذلة لهم، ورغم امتلاكهم لافضل الثروات المادية والمعنوية حوّلوا أنفسهم الى عبيد أذلاء مطيعين للامبريالية الرأسمالية والإمبريالية الاشتراكية، وتركوا ساحة الاقطار الاسلامية ميداناً يجول فيه هؤلاء الشياطين. ان العسكريين الامريكيين في اقطار من قبيل: السعودية، ومصر، والاردن يمسكون أزمة الحكم عملياً بأيديهم، ولأوكار الجاسوسية الامريكية الدبلوماسية الدور

المهم فيها. وطائرات الآواكس الامريكية في السعودية تقوم بمراقبة التحركات الجوية في المنطقة تماماً.

كل هذا ونفط الأقطار العربية يتدفق نحو الناهبين العالميين ليستفيد أولئك منه أفضل استفادة. وهذا هو منتهى الذلة والمسكنة حيث تتسلط امريكا بهذا النحو على الحكام العملاء في المنطقة فتقربهم شيئاً فشيئاً من ألدّ أعدائهم التاريخيين ــ اسرائيل الغاصبة ــ وهي تعمل بجد على ان يضعوا أيديهم في يدها متصالحين.

عندما حدثت لأول مرة أكبر جريمة تاريخية في كمب ديفيد وراح السادات و بيغن وكارتر يتصافحون، بدأت أول مؤامرة ضدالمسلمين. ورغم ان الحكام العرب الآخرين عارضوا هذه الخطوة ولكنهم راحوا بالتدريج ينسون قبحها، وها نحن اليوم نشهد بعد مشروع فهد ذي المواد الثماني ــ اكثر الحكام العرب يوماً بعد يوم يخففون من مواقفهم ضد مصر و بالتالي ضد اسرائيل.

وهذا الأمر لم تستطع جريمة اسرائيل الكبرى في جنوب لبنان ان تحرك منهم ساكناً، وانما اكتفوا لفترة قصيرة ببعض الحملات اللفظية عبر وسائلهم الاعلامية، ثم سكن الأمر و كأنّ شيئاً لم يكن. وعلى العكس من ذلك نجد هؤلاء العملاء ــ لحفظ عروشهم الورقية والحاكمية الامريكية المعتدية في المنطقة ــ يخوضون كفاحاً ومؤامرات مريرة ضد الجمهورية الاسلامية في ايران، ولهم في كل يوم مشروع وخطة. وقد رأينا اللقاء الذي تم أخيراً بين الشاه فهد وصدام، والزيارات المتبادلة للمسؤولين العرب توضح نشاطات هؤلاء العملاء.

انها جميعاً علامات التبعية الشديدة للكفر والاستكبار العالمي، مما يدعوني لأن اوجه أنظاركم الى الآيات السالفة الذكر.

في الختام لاأجد مانعاً من ذكر بعض الاحصائيات في مجال التبعية، و سنقتصر ــ للاختصار ــ على السعودية. ذلك ان الاعلام الواسع في كل انحاء العالم والممول من عائدات نفط الشعب المسلم في السعودية، يعرف هذا النظام على انه حكومة اسلامية تؤيد القضية الاسلامية دائماً.

ومن الطبيعي ان المسلمين الواعين اليوم توضحت لديهم المسائل السياسية، وهي في طريقها للانكشاف التام.

و يكفي ان نعلم ان السعودية من عام ١٩٧٤ حتى ١٩٧٩ خصصت «٥٦» مليار دولار للأمور العسكرية، ومن سنة ١٩٦٨ حتى ١٩٨١ خصصت مابين ٦٠ ــ ٧٠٪ من مصارفها الدفاعية لايجاد المؤسسات العسكرية. وقد تركز خُمس النشاطات الهندسية للجيش الامريكي بقيمة ٢٤ مليار دولار في هذا البلد، وكما تذكر مؤسسة الخدمات التحقيقية للكونغرس الامريكي: «ان امريكا يمكنها بالطبع ان تستفيد من القواعد الجوية في السعودية بشكل مرتب يومياً».

و استناداً لهذه الاحصائية فانه يوجد في السعودية حوالي ٥٠،٠٠٠ مستشار عسكري امريكي، في حين ان العسكريين السعوديين لايتجاوزون الـ ٥٠،٠٠٠ عسكري، و وفقاً للاحصائية فان السعودية خصصت لكل فرد من شعبها: «٥٠،٠٠٠» دولار لتصرف في الأمور العسكرية، والمخصصات المالية العسكرية لهذا القطر عادت سادس مخصصات عسكرية في العالم.

والأوضاع في الأقطار الاسلامية الأخرى كمصر والعراق والأردن و باكستان وغيرها، على هذا النمط.

ونكتفي بهذا المجمل عن ذكر التفصيلات في هذا الموضوع.

يعتبر البعد العلمي، أحد خصائص الأمة الاسلامية.

و قد دُعي المسلمون في القرآن الكريم، والسنة الشريفة، لكسب العلم، و ذُكرت فضائل كثيرة للعلماء، وسنذكر بعض الآيات والأحاديث فيما يلي من بحثنا هذا، ولكنا نبدأ بالحديث المعروف «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[1] وقد روي بطرق مختلفة عن الرسول الأكرم(ص).

و هناك آراء عديدة في مجال تشخيص أي علم هذا الواجب على كل مسلم.

فالغزالي في إحياء علوم الدين،[2] يذكر ان العلماء في تفسير هذا الحديث، على عشر بن فرقة.

فالمتكلمون يرون انه علم الكلام، والفقهاء يرون انه علم الفقه، وهكذا يبدي رأيه بأن على كل شخص ان يعلم بالكيفية التي يجب ان يؤدي بها واجباته، فاذا كانت حرفة شخص ما تربية المواشي؛ كان عليه ان يعرف أحكام الزكاة، واذا كان تاجراً والربا شائعاً في بيئته؛ كان عليه ان يمتلك معلومات كافية عن المعاملات الربوية ليمكنه الحذر من الوقوع فيها.[3]

و بعد هذا يدخل الغزالي في البحث عن العلوم التي يجب تحصيلها كفاية، ولهذا الغرض يقسم العلوم الى؛ شرعية وغير شرعية[4]

و يقصد بالعلوم الشرعية، تلك العلوم التي تصل الينا عن طريق الأنبياء، و ماعدا ذلك من العلوم

يعتبرها غير شرعية. و ثُمَّ يقسم العلوم غير الشرعية الى: **محمودة ومذمومة ومباحة**، و يعتبر التاريخ من نوع العلوم المباحة، والسحر والشعوذة والطلسمات من نوع العلوم المذمومة، ومن العلوم غير الشرعية المحمودة يعتبر ما لامناص منه واجبات كفائية والباقي واجبة للفضيلة، و يرى ان الطب والحساب والفنون التي يحتاجها المجتمع أمثلة من النوع الأول، والتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب نماذج من النوع الثاني.

و بنظر الغزالي فان العلوم الشرعية المذمومة هي تلك الأشياء التي تبدو ظاهراً شرعية ولكنها في الواقع انحراف عما جاء به الشرع، في حين يقسم العلوم الشرعية المحمودة الى أربعة أنواع.

١ــ **الأصول** (الكتاب، السنّة، الاجماع، آثار الصحابة).

٢ــ **الفروع** (المسائل الفقهية، علم أحوال القلب، وعلم الأخلاق).

٣ــ **المقدمات** (اللغة والنحو...).

٤ــ **المتممات** (قراءة القرآن، التفسير، أصول الفقه، الرجال...).

و يعتبر تعلمها واجباً كفائياً.

وفي مجال معرفة مدى ما يجب تعلمه من العلوم المحمودة، يفضل العلوم التي قيل العلم بالله وصفاته وأفعاله و سننه، والاستزادة من ذلك ولكن في مورد العلوم الكفائية، لزوم تحصيلها بمقدار الكفاية.

و خلاصة ما يقوله هنا هو انه لو اشتغل الآخرون بها، فلا تشتغل أنت بها، و اذا اشتغلت بها، فلا تصرف لها كل عمرك، ذلك ان العلم كثير والعمر قصير، وكل هذه مقدمات وليست مطلوبة بالذات[5].

وفي مجال الكلام، يرى ان المفيد منه جاء في القرآن و الحديث، ولكن البدع قد ظهرت الآن، والمبتدعون يلقون الشبه. فتعلم الكلام بحكم الضرورة، والوقوف بوجه الشبه؛ واجب كفائي.

وفي مجال الفلسفة يرى الغزالي أنها على أربعة أقسام[6]:

١ــ **الحساب والهندسة، وهي مباحة.**

٢ــ **المنطق، وهو من علم الكلام.**

٣ــ **الإلهيات، ويبحث فيها عن ذات الله تعالى و صفاته، وهذه تدخل في علم الكلام.**

٤ــ **الطبيعيات، ويمكن تقسيمها الى قسمين:**

قسم يشمل البحوث المخالفة للشرع و دين الحق. و بناءً على ذلك فلا يمكن اعتبارها علوماً أصلاً.

والقسم الآخر يدور حول صفات الأجسام و خواصها، يشبه علم الطب، ولكن علم الطب يرجح عليه لأنه لاحاجة لهذا القسم من الطبيعيات في حين هناك حاجة لعلم الطب.

و يرى الملا محسن الكاشاني في المحجة البيضاء[7]؛ أن كل مسلم مكلف بوجوب عيني ان يتعلم من علم الفقه مايحتاج اليه. أما ماهو مورد احتياج الآخرين فهو واجب عليه وجوباً كفائياً.

وفي مجال الفلسفة، يقول المحقق الكاشاني: إنَّ أقسام الفلسفة لا تنحصر بتلك التي ذكرها أبوحامد (رحمه الله) بل انها تشمل الكثير من العلوم الدنيوية و الأخروية الاخرى (كالنجوم، والطب، والخطابة و غيرها) وما ينفع من هذه العلوم للآخرة، ذُكِرَ في الشرائع وخصوصاً في الشريعة التامة بوجه أكمل، وما لم يذكرها الشرع بالتفصيل نظير (الهيئات) فالمجملات المذكورة فيه كافية، وعلى أيّ تقدير فهو يرى ان على من يريد تعلم هذه العلوم أن يعرف الدين أولاً.

و يرى صدرالمتألهين في شرح أصول الكافي: أن رأي الغزالي ــ في مجال تخصيص العلم المفروض

على كل مسلم بعلم الأعمال والمعاملات ـ رأي غير وجيه[9] و يرى ان تعلم المعارف الإلهية من قبيل؛ التوحيد و صفات الله وأفعاله تعالى، و معرفة الانسان من قبيل؛ أحوال النفس و سعادتها و شقائها أيضاً واجب على عدد كبير من الناس. و بضمن ذلك يعتقد أن لاضرورة لأن يكون العلم الواجب عيناً واحداً لجميع الناس، و لايلزم ان يكون العلم الواجب على أحدٍ واجباً بنفسه على الآخر.

و نحن هنا لن ندخل في البحث عن العلم الذي يجب تعلمه وجوباً عينياً على كل مسلم، وانما نبحث عن العلوم التي يعتبر تعلمها من الواجبات الكفائية على الأمة الاسلامية. و نرى هنا ان بعض آراء الغزالي والمحقق الكاشاني مما يقبل المناقشة و سوف نبحث في ذلك إلاّ أننا ـ و قبل البدء بهذا العمل ـ نجد من المفيد التعرض لبعض النقاط المهمة التي أوردها صدرالمتألهين في شرح أصول الكافي في ذيل حديث (طلب العلم فريضة على كل مسلم):

١ ـ ان لفظ العلم مثل لفظ الوجود مقول بالتشكيك بمعنى ان مصاديقه مختلفة من حيث الشدة والضعف، والنقص والكمال. ولكن كلمة العلم بمعنى ماءصادقة عليها جميعاً. وعلى هذا فان الانسان يجب أن يتجاوز أية درجة من العلم ـ يصلها ـ الى ما بعدها، و معنى الحديث المذكور هو أن طلب جنس العلم واجب على كل مسلم سواء كان ذلك الفرد عالماً أو جاهلاً، ناقصاً أو كاملاً[10]، فالانسان إذا وصل الى أية درجة من درجات العلم إنما هو كطفل وصل حد البلوغ؛ بمعنى أن الأشياء التي لم يكن من الواجب عليه من قبل تعلمها؛ عادت الآن واجبة التعلم.

٢ ـ يستنتج من الحديث المذكور ان وجوب طلب العلم لايسقط في أي وقت عن المسلم[11].

٣ ـ ليس هناك أي علم مذموم في نفسه، ذلك ان العلم نوع من النور، فهو بالتالي ممدوح، وعلى هذا فان ذم بعض العلوم إنما هو لأجل الآثار السيئة المترتبة عليه[12].

و نحن لانرتضي هذا التصنيف للعلوم الى شرعية و غير شرعية أو (دينية و غير دينية) و ذلك كما ذكر الشهيد الاستاذ مرتضى المطهري ـ بحق ـ ان هذا التصنيف يؤدي الى توهم ان العلوم غير الشرعية غريبة عن الاسلام وهو يتنافى مع الشمول في الاسلام، فالدين الذي يرفع شعار السعادة الانسانية الكاملة، و يرى نفسه كاملاً مكتفياً بقوانينه لايستطيع ان يرى نفسه غريباً عن الأشياء التي لها دخلها في تأمين رفاه المجتمع الاسلامي واستقلاله، والمرحوم المطهري يؤكد ان جامعية الاسلام و خاتميته تقتضيان ان ندعو كل علم مفيد و نافع و ضروري للمجتمع الاسلامي علماً دينياً[13].

كما اننا نرى أن دائرة الواجبات الكفائية من العلوم أوسع بكثير مما قاله الامام الغزالي، و نرى ان الاقتصار المذكور في مورد التعلم على مجموعة من العلوم[14] لاينسجم مع الكتاب والسنة،والأدلة على هذا المدعى كمايلي:

١ ـ ذكر العلم في كثير من الآيات والروايات على نحو مطلق:

«قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لايَعْلَمُونَ» (الزمر:٩).

«عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» (العلق:٥)

«وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (البقرة: ٣١).

وجاء في الحديث النبوي: «من سلك طريقاً

يطلب فيه علماً سهّل الله له طريقاً الى الجنة» (منية المريد ص١٢، طبع النجف ١٣٧٠هـ).

و بعض الآيات والروايات صريحة في ان المقصود بالعلم ليس هو خصوص علم العقائد والأحكام الشرعية، وكمثال على ذلك نذكر بعض النماذج:

أ ـ «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ» (النمل: ١٥ـ١٦).

وها نحن نلاحظ هذا النبي الكريم يرى معرفة منطق الطير فضيلة.

ب ـ «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا، وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا، وَغَرَابِيبُ سُودٌ، وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ» (فاطر: ٢٧ـ٢٨).

ومن الواضح ان المقصود من العلماء في هذه الآية، اولئك الذين يقفون خاشعين لله وعظمته وجلاله من خلال معرفتهم بقوانين الطبيعة وأسرار الخلقة.

ج ـ يستفاد من أحاديث نظير: «اطلبوا العلمَ ولَوْ بالصّين»[١٥] و: «أعلم الناس من جمع علم الناس الى علمه»[١٦] و: «من أرادَ الدنيا فعليه بالعلم، ومن أرادَ الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادَهما معاً فعليه بالعلم»[١٧] و: «خُذِ الحكمة ولايضرك من أيّ وعاء خَرجَت»[١٨] و قد رويت جميعاً عن الرسول الأعظم(ص)، و من خلال الروايات التي تشبهها عن أهل بيت النبوة[١٩] والتي توصي بتعلم العلم، يستفاد منها جميعا ان العلم لايشمل اصول العقائد والأحكام الشرعية، ذلك أنه من الواضح ان الصين لم تكن آنذاك مركزاً للعلوم الدينية وانما كانت مشهورة بالصناعة، كما ان من الواضح ان الأحكام الشرعية واصول العقائد لايمكن تعلمها من أي شخص كالكفار والمشركين.

٢ ـ والدليل الآخر على ان العلم الذي يقصده الاسلام لاينحصر بعلم الشرائع و أحكام الحلال والحرام ـ هذا التراث القيم جداً والذي تركه العلماء المسلمون في القرون الهجرية الأولى ـ وهو أمر اعترف به المؤرخون المحدثون. فقد كان العلماء المسلمون حاملي لواء العلم البشري خلال قرون، وكانت كتبهم تدرس الى قرون بعد ذلك في معاهد اوربا.

والواقع ان سر قبول العلماء المسلمين الاستفادة من الميراث العلمي للاقطار الأخرى يكمن في أنهم كانوا لايضعون حدوداً بين هدف العلم و هدف الدين، وكانوا يعتقدون أنهما معاً يسعيان الى بيان وحدة الطبيعة و بالتالي وحدة الخالق. ولوجود هذا الاحساس بالتلاحم بينهما وجدنا ان المعارف الدينية ومسائل العلوم العقلية والعلوم الطبيعية شكلت مجموعة واحدة تدرس في المساجد أو المدارس الدينية.

٣ ـ إنَّ عزل مجموعة من العلوم بحجة ان للمعارف الدينية الخاصة فضيلة اكبر ليس أمراً صحيحاً، ذلك ان كل علم يمكنه أنْ يكون مفيداً للحفاظ على كيان المجتمع، يعود تعلمه واجباً كفائياً على الأمة الاسلامية، كما ان الآية الشريفة «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً، فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ»

(التوبة: ١٢٢) تدل على ان تعلم العلوم الدينية الخاصة واجب وجوباً كفائيا على المجتمع الاسلامي.

الى هنا نستنتج ان كلمة العلم جاءت في الكتاب والسنة بمفهوم أعم من المعارف الدينية الخاصة.

اما الآن فنحاول ان نوضح ان الاسلام قد منع الناس عن تعلم العلوم التي لا تنفع البشرية مطلقاً، أو أن ضررها اكبر من نفعها، وهي من قبيل (السحر والقمار وأمثالها).

وقد روي عن الرسول(ص) قوله: «نعوذ بالله من علم لاينفع»[٢٠]

وقوله: «اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً»[٢١]

و نقل عن الامام علي(ع) قوله: «لاخير في علم لاينفع»[٢٢]

وقوله: «العلم اكثر من ان يحاط به، فخذوا من كل علم أحسنه»[٢٣].

و لما لم يكن اي اختلاف في ضرورة تعلم العلوم الاسلامية الخاصة فلن نبحث هنا عنه[٢٤] وانما نسعى لنعرف الأدلة التي توصي بتعلم سائر العلوم من خلال نصوص «الكتاب والسنة»[٢٥] وقد ذكرت في هذا المورد أدلة مختلفة و نحن نذكرها فيما يلي:

١ ــ اذا كان علم ما مقدمة للوصول الى هدف اسلامي، أو القيام بواجب شرعي، فان تعلمه سوف يعود واجباً من باب ان مقدمة الواجب واجبة، فاذا كان تأمين السلامة الاجتماعية لأفراد مجتمع مسلم ضرورياً؛ كان تعلم علم الطب واجباً كفائياً على افراد هذا المجتمع.

ولهذا قال البعض ــ استناداً لهذا الأمر ــ ان كون علم ما مفروضاً انما يتم في حالة احتياج المجتمع اليه، فمثلاً لما كان القيام بالانتاج الزراعي أو العمل التجاري على مدى واسع يحتاج الى معلومات تخصصية فان تعلم هذه العلوم المتعلقة بها واجب على المسلمين وجوباً كفائياً.

و من البديهي انه لوكان بناء المسلمين على تعلم خصوص الاشياء التي تخطاها العلم و التقدم في المجتمعات الأخرى، و بعبارة أخرى الاكتفاء من العلم بالحد الأدنى الضروري لهم فانهم لن يستطيعوا مطلقاً أنْ يسبقوا العالم الكافر.

٢ ــ و وفق ما جاء في الآية الشريفة: «وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً» (النساء: ١٤١) فان المجتمع الاسلامي الذي يريده الاسلام، مجتمع مستقل رفيع الشأن، وليس مجتمعاً يعيش تحت نفوذ الكافرين، ولكي تتحقق هذه الصفة يجب تحقق الاستقلال الثقافي والسياسي والاقتصادي، وهذا بدوره يستلزم تربية المتخصصين من النمط الطبيعي في كل المجالات، وتوفير الامكانات العلمية والفنية اللازمة في المجتمعات الاسلامية.

ويمكن ان نلحظ بوضوح أن احدى علل التأخر في المجتمعات الاسلامية انهم تركوا ما كانوا اكثر اهلية له لغيرهم وراحوا يستجدونه منهم.

ألم تطلب منا الآية الشريفة: «وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...» (الانفال: ٦٠) ان يستعد المسلمون في كل مجال في قبال جيش الكفر؟ أليس الواقع القائم اليوم يؤكد ان توفر الوسائل الدفاعية للوقوف بوجه أعداء المجتمعات الاسلامية، يستلزم وجود معلومات علمية وفنية مختلفة؟ فلماذا لايسعى المسلمون الى التعلم والتدرب على هذه الاسلحة

الدفاعية؟ وفي هذا العصر ــ حيث يمتزج العلم بالحياة الانسانية ويشكل مفتاح الموفقية في جميع الاعمال ــ يجب على كل الباحثين في المجال العلمي والمشتغلين بالتعلم في الاقطار الغربية والشرقية ان يسعوا جهدهم في كسب آخر المعلومات العلمية والفنية وأكملها، والاّ فإن مجتمعاتهم ــ شاءت أم أبت ــ سوف تبقى تحت نفوذ القوى العظمى.

يقول الامام الصادق عليه السلام[٢٥]:

«والعالم بزمانه لاتهجم عليه اللوابس»

وخلاصة الأمر ان المسلمين اذا شاءوا الوقوف بوجه القوى الشيطانية فان عليهم ان يجهزوا أنفسهم بانماط التقدم العلمي والفني، و يتعلموا كل ما يرتبط به كيان المجتمعات الاسلامية.

٣) ان القرآن الكريم يدعو الناس لمطالعة نظام الخلقة وأحوال الموجودات المتنوعة وآثارها وكيفية حصولها، و بعبارة أدق مطالعة الآيات الآفاقية والأنفسية، والتفكير والتدبر فيها، و يطلب منا ان نسخر حواسنا وعقولنا لادراك أسرار عالم الخلقة، وكنماذج لهذا الأمر نذكر بعض الآيات فيما يلي:

«أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَ زَيَّنَّاهَا، وَمَالَهَا مِنْ فُرُوجٍ، وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ» (ق:٦ــ٨).

«أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، و إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ» (الغاشية:١٧ــ٢٠).

«قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (العنكبوت: ٢٠).

«وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» (الذاريات: ٢٠ــ٢١).

«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» (آل عمران: ١٩٠ــ١٩١).

«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ، وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» (البقرة:١٦٤).

و كما نلاحظ فان الله يعتبر العالم آيات للخالق، والنظام الموجود في العالم حاكياً عن النظم المدبر، و يعتبر مطالعتها أحدأهم السبل لمعرفة الله والوصول الى عظمته. وقد بدأ الانبياء العظام ايضاً دعوتهم لله تعالى من هذه النقطة.

ولهذا فان موسى عليه السلام ضمن احتجاجه على فرعون يقول:

«رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى... الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى» (طه: ٥٠ــ٥٣)

و ذكرت سورة نوح ما كان يتحدث به هذا النبي الكريم لقومه:

«قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً... فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً... أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا

وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً لِتَسْلُكُوا مِنْهَا فِجَاجاً» (نوح: ٥ــ٢٠).

و من الطبيعي ان قراءة صفحات كتاب عالم الوجود ليس مما يقدر عليه كل احد. يقول تعالى في القرآن الكريم:

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ. وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ» (فاطر: ٢٧ــ٢٨).

و بعد استعراض فهرست بعض من صفحات هذا الكتاب يجعل الاستفادة منه منحصرة بالعلماء.

و كذلك نجد في الآيتين التاليتين:

«وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ» (العنكبوت: ٤٣).

«بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» (العنكبوت: ٤٩).

ان الله تعالى يجعل التعقل في الآيات الإلهية مختصاً بالعلماء، ومن الواضح ان ادراك الموضوعات التي ذكرت في الآيات السالفة انما يتم للعلماء الذين بحثوا في هذه المجالات، واكتسبوا المعلومات المقدمية، و إلا فانه لايمكن الاستفادة من كتاب التكوين من خلال نظر سطحي ساذج.

وان قسما يؤبه له من هذه المقدمات يمكن تعلمه بواسطة علوم كالرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، وعلم النجوم، وعلم النباتات، والاحياء... وغيرها مما نسميه هنا بالعلوم الطبيعية. فانه بمعونة هذه العلوم والعلوم العقلية نستطيع الوقوف على عظمة جهاز الخلقة والنظام والتناسق الموجود في الطبيعة.

«فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ» (الملك: ٣ــ٤)

و طبيعي ان العلوم كلما تقدمت في هذا الاتجاه تجلت عظمة الخلقة للانسانية بشكل اكبر. ويؤيد هذا المطلب ما جاء في الآية القرآنية الشريفة: «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» (فصلت: ٥٣).

و يعد الله تعالى باراءة آياته في الآفاق والأنفس في المستقبل للناس ليتبين لهم انه الحق المطلق.

والدليل الآخر على الأمر بمطالعة المخلوقات والظواهر الطبيعية هو ان الانسان من خلال معرفته بقوانين الطبيعة و آثار الموجودات المختلفة و خواصها يستطيع ان يستفيد منها لتحسين وضعه الحياتي.

و هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تؤيد هذا الامر. و نحن نذكر بعضها هنا كنموذج:

«وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» (النحل: ١٢ــ١٦).

«أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدىً وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ» (لقمان: ٢٠).

«وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (الجاثية: ١٣).

«وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ» (الزخرف: ١٢ــ١٣).

وعلى هذا فان مطالعة كتاب الطبيعة تؤدي الى كشف اسرارها للبشرية، وتوضح النظام والانسجام فيها، وتمكنها من استخدام العلم لاستخراج المنابع التي جعلها الله لها وبالتالي وعبر الاستفادة من الاكتشافات العلمية تسعى الانسانية لنيل رفاهها المادي الاكثر.

ولقد جعل الله الانسان خليفة في الارض، ووفرله امكانات كثيرة فعليه اذن ان يستثمرها فيعود آية من آيات القدرة والحكمة الإلهية:

«وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ، وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ» (الانعام: ١٦٥).

والواقع ان اعطاء مقام خليفة الله للانسان انما هو نتيجة الاستعدادات والامكانات التي اودعها الله فيه لكسب العلم... «وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ...» (البقرة: ٣١).

ومن خلال العلم يستطيع الانسان ان يسخر الطبيعة لصالحه فيعود مظهر الصفات الإلهية على الارض.

ومما يؤسف له ان المسلمين نسوا هذه المجموعة من الآيات وتحمل الآخرون هذه المسؤولية.

الى هنا عملنا على اثبات ان التوصيات الواردة في الكتاب والسنة في مجال تعلم العلم لم تكن منحصرة بالمعارف الخاصة للشريعة الاسلامية، بل هي تشمل كل علم مفيد للانسان، كما ذكرنا مصاديق للعلوم التي وقعت التوصية بها، ومن ذلك اننا رأينا ان اي علم يشكل مقدمة للقيام بالتكاليف الدينية أو سدإحتياجات المجتمعات الاسلامية، أو زيادة معرفتنا بالله، أو يوفرلنا امكان الاستفادة من النعم الإلهية انما هو من مصاديق العلم المفيد.

والآن نقول اننا اذا لاحظنا الآيتين الشريفتين التاليتين:

«وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات: ٥٦).

«وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ» (البينة: ٥).

قلنا ان الاصل والملاك الكلي لكون علم ما مفيداً هوأن يقع مصداقاً لعبادة الله تعالى، أي يكون داعيا لتحقيق الرضا الإلهي والتقرب اليه، فاذا كان العلم وسيلة لمعرفة الله تعالى والتقرب اليه كان مطلوباً، وإلا كان بنفسه حجاباً اكبر، سواء كان من العلوم الخاصة بالشريعة أو كان من العلوم الطبيعية. يقول النبي الاكرم(ص):

«من تعلم علما لغير الله وأراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار»[٢٧]

وقال ايضاً «العالم اذا اراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء، واذا اراد ان يكثر به الكنوزهاب من كل شيء»[٢٨].

ونقل عنه(ص): «ان الله عزوجل يقول تذاكر العلم بين عبادي مما تحيى عليه القلوب الميتة اذا انتهوا فيه الى امري»[٢٩]

ومن البديهي ان التقريب لله وكسب رضا الله تعالى له ابعاد مختلفة، فان العبادات المفروضة، وكسب المعارف الإلهية، وتهذيب النفس، ومعرفة الآيات الإلهية والخدمة للخلق، والسعي في إعلاء

المجتمع الاسلامي لاعلاء كلمة الحق، كلها مصاديق مختلفة لهذا الملاك الكلي، ويجب علينا دائماً أنْ نلاحظها من خلال علاقاتها ببعضها وفي اطار هذا المبدأ الكلي:

و هنا يكون من الضروري الالتفات لبعض النقاط:

١ ــ من خلال هذه النظرة تكون كل العلوم الخاصة الدينية، وسائل للتقرب الى الله، و كذلك فان العلوم الطبيعية ــ من حيث كونها مجالات لتجلي العظمة الالهية ــ تعود محترمة بالمقدار الذي تؤدي به دورها، ولكنه احترام بالعرض لا بالذات، وكما يقول الشهيد الكبير الدكتور بهشتي «ان لم يعد العلم طاغوتا فانه ضياء السبيل والا فهو يوجب المضلة».

٢ ــ و في هذا التصور لا تعود العلوم منفصلة عن بعضها، و هي في الواقع تبين لنا صفحات مختلفة من كتاب التكوين، ولهذا نجد الشيخ العارف الشبستري يقول:

«ان كل العوالم هي كتاب الله تعالى امام من سمت نفسه الى علائها، فكل عالم منها كسورة خاصة من كتاب الله فهذا بمثل الفاتحة و ذلك بمثل الاخلاص».

و لا ريب في وجود أولويات في مجال مطالعة هذه الصفحات من حيث التقدم و التأخر في الفضيلة، ولكنها على أي حال تتجه الى هدف واحد وهي ــ من حيث المجموع ــ آيات آفاقية وأنفسية للحق تتجلى امامنا.

و في القرون الهجرية الأولى التي كان فيها التمدن الانساني حاكماً على العالم، كانت هذه النظرة هي الشائعة بين العلماء المسلمين. و كانوا يتعاملون مع العلوم المختلفة على اساس انها فروع لأصل واحد، ذلك ان هدف كل العلوم هو عرض وحدة عالم الطبيعة وانسجامه و بالتالي وحدة مبدئه. و كانوا يستخدمون الأساليب التجريبية كما يستخدمون الأساليب العقلية والعرفانية و بالتالي يثبتون الانسجام بين المراتب المختلفة للوجود.

و اننا لنشاهد أفراداً كثيرين رغم انهم كانوا من المعروفين في العلوم الدينية في عصورهم يتعاطون الكثير من المجالات العلمية الطبيعية و يتخصصون و يعودون من الرعيل الأول فيها. ومن هؤلاء ابن سينا، و عمر الخيام، والخواجة نصيرالدين الطوسي وقطب الشيرازي وأمثالهم.

و مادامت هذه النظرة هي السائدة في العالم الاسلامي فقد كان العلماء المسلمون في طليعة الحضارة الانسانية، و كانت هناك مدن كثيرة تعرف كمراكز لتجمع الاختصاصيين المختلفين فيها[٣١].

و يعترف جورج سارتن انه مابين سنة ٧٥٠م ــ ١٠٠٠م كان المسلمون هم المسيطرون بلامنازع على دنيا العلم، كما كانت مراكز التجمع العلمي (بمعناها الواسع) في العالم الاسلامي ما بين ١١٠٠ ــ ١٣٥٠م ملفتة للنظر، ثم راحت اوربا تسبق في هذا المجال، واتجه العالم الاسلامي من زاوية العلوم الطبيعية الى الخمول فلم يقتصر على عدم التقدم في هذا المجال بل لم يستفد من تقدم الآخرين، واهملت المدارس الدينية ــ ماعدا الرياضيات و علوم الهيئة ــ باقي العلوم الطبيعية. مما انتج خسارة كبرى للعالم الاسلامي وهو مانشير اليه فيمايلي:

١ ــ ففي الوقت الذي سعى فيه الغربيون لكشف قوانين الطبيعة والاستفادة من منابعها، سحب المسلمون أنفسهم من هذا الموضوع، و أوكلوا ما كان الأليق بهم للآخرين، مما أوصلهم اليوم الى

حالة تمد الاقطار الاسلامية فيها يدها في غالب ما تحتاجه الى امريكا، ولكي تؤمن حاجاتها تجد نفسها مضطرة لوضع ثرواتها بشكل غير مرغوب فيه تحت سيطرة الاجانب.

٢ــ إنَّ اولئك الذين تعمقوا في العلوم التجريبية، انفصلوا غالباً عن العلوم الدينية، ولذا لم يكن التصور السائد بينهم تصوراً اسلامياً عن العالم، وانما كان التصور الذي يسودهم هو ما يسيطر على البيئات الالحادية الشرقية والغربية.

٣ــ إنَّ حذف العلوم الطبيعية من برامج دراسات المدارس الدينية، جعل معلومات العلماء الدينيين عن نتائج هذه العلوم، معلومات غير مباشرة أسفرت عن حدوث مسيرين انحرافيين في العالم الاسلامي هما:

أ) راحت مجموعة ممن تأثرت بأنماط التقدم العلمي والفني في اوربا و أمريكا و دون وعي للمحدوديات في العلوم التجريبية ــ نعم راحت هذه المجموعة مبهورة بالنتائج العلمية ــ وأخذت تسعى لتطبيق الآيات و الاحاديث مع النتائج العلمية، واننا لنعتبر تفاسير من قبيل تفسير الطنطاوي، و سيد احمد خان الهندي من هذا القبيل. وقد اغرق بعض العلماء المسلمين في هذا المجال حتى راح يدّعي أن كل ما انتجه العلم الحديث موجود في القرآن والسنة و سعوا ليعرضوا من خلال ذلك: الإعجاز القرآني[٣٢].

والشيخ محمود شلتوت ــ الرئيس الراحل للأزهر ــ يؤكد في مقدمة تفسيره للقرآن الكريم ان الله تعالى لم ينزل القرآن الكريم للناس ليتحدث عن الآراء العلمية والدقائق الفنية والمعارف الأخرى... فاذا حاولنا ان نوفق بين القرآن والفرضيات الأخرى، فقد عرضناه للاختلاف، وتركنا أنفسنا في مقام الدفاع... أما ماذكره القرآن من أسرار الخلقة وظواهر الطبيعة فانه كان يقصد تحريك الناس للتفكير والتأمل والبحث والتحقيق فيها ليقوي في ذلك ايمان الناس[٣٣].

ب) و يرى عدة من علماء الدين ان بعض النظريات العلمية تخالف الدين، ولذا فقد تصدوا لمعارضتها مما ادى الى نفور مجموعة كبيرة من الدين. ولو لم تكن الحوزات العلمية الدينية قد انعزلت عن العلوم الطبيعية لما حدثت تلك المصائب. ولكي نستطيع الوقوف بوجه الاستفادة المنحرفة من التجارب العلمية يجب ان نعرف تلك التجارب لكي يمكننا اكتشاف المغالطات فيها.

كيف يمكننا ان نقول ان العلوم الطبيعية تسبب الابتعاد عن الله مع ان القرآن يصرح:

«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»

(آل عمران: ١٩٠ــ١٩١)

والواقع اننا لوحددنا مجال نشاط كلا القسمين لما عاد هناك مجال لتصوراتنا في الخلاف بينهما وعادا متممين لبعضهما. و يعود العلم ضياء المسيرة الحياتية، والدين معين لاتجاه المسيرة.

اقتراحات:

انه رغم اهتمام الاسلام بتعلم العلم (بمفهومه الوسيع) ورغم ان المسلمين اقاموا تلك الحضارة الرائعة في العالم فكانوا سراة الحضارة الانسانية لعدة قرون، فقد حدث انفصال بين العلم والدين في المجتمعات الاسلامية ففقدوا بذلك بعدهم العلمي، والآن ــ و بعد ان استيقظ المسلمون الى حد ما

وراح الستحرك و بوادر النهضة يبدوان هنا و هناك — فما ينبغي لنا لكي نبعث نهضة علمية ان نقدم على خطى قاطعة في هذا المجال، ولدينا هنا بعض الاقتراحات نعرضها على هذا التجمع المحترم ونختم بها بحثنا هذا.

١ — يجب ان نسعى — كعلماء عصر التمدن الاسلامي — لكسب العلوم المفيدة من الآخرين. اننا نستطيع ان نتقبل تجارب الآخرين دون اية تفسيرات و شوائب مادية و نستفيد منها في ظل نظرتنا الاسلامية وآيديولوجيتنا الاسلامية.

٢ — يجب ان تعود من جديد تلك العلائق والترابط بين المعارف الخاصة الدينية والعلوم الطبيعية والتي كانت في عصر التمدن الاسلامي. ذلك اننا قلنا من قبل ليس هناك اي انفصال بين الهدف العلمي، والهدف الديني. والدين يرى ان موجودات العالم جميعا تتجه الى الله «يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ» (الجمعة:١)، والعلم بدوره يسعى من خلال كشفه لقوانين الطبيعة والانسجام والوحدة فيها... والفيزيائيون اليوم يسعون الى ارجاع كل القوى التي تبدو مستقلة عن بعضها الى أصل واحد، و بلغوا في المجال الى نتائج موفقة[٣٤].

ولكي نصل الى هذا الهدف يجب ان تطرح في الحوزات العلمية الدينية، المواضيع الأصولية للعلوم الطبيعية المتقدمة، في حين تطرح في الجامعات، المعارف الاسلامية الخاصة، وتدرس الى مستوى عال نسبياً. وهذا الأمر سوف يؤدي الى سيطرة التصور الاسلامي على أفكار الباحثين المسلمين، كما انه يفسح المجال للحوزات العلمية الدينية ان تستفيد من الاكتشافات العلمية لتبيين موضوعات الأحكام الشرعية.

٣ــ لكي يتم ضمان استقلال الأمة الاسلامية في جميع الجوانب، يجب أنْ تقوم الأقطار الاسلامية بتربية الأفراد المتخصصين في كل فروع العلوم والفنون، علاوة على هذا يجب ان تؤسس في كل المجتمعات الاسلامية مراكز علمية يعمل فيها الباحثون وتوفر لهم أجواء سليمة وامكانات ضرورية دون أي ضغط لئلا يضطروا للالتجاء الى البيئات الإلحادية، وتكون افكارهم بالتالي تحت سيطرة الآخرين.

٤ــ يجب ان ننظر الى الاكتشافات العلمية والتحقيقات الأصيلة على انها عمل اساسي، ولانعتبرها عملاً ثانوياً، و يتبع المسلمون أوامر القرآن في كشف أسرار الطبيعة وقوانينها لايسلمونها الى الاجانب و يعودون متطفلين على موائدهم.

واذا ركزنا على الوضع الحاضر للاقطار الاسلامية وجدناها تستورد مقداراً من التقنية الغربية أوالشرقية الجاهزة والتي تجمع فقط في هذه الأقطار و دون أن يؤدي ذلك الى أي تعمق في العلوم الاساسية. وهذا الأسلوب لن يؤدي مطلقاً الى استغناء الأقطار الاسلامية عن الغرب والشرق. ان استيراد التكنولوجيا يجب ان يتم مع ايجاد تحقيقات أساسية في البين.

٥ــ يجب ان يتم تعاون علمي بين الاقطار الاسلامية، ولكي يتم ذلك يجب ان يتم:

أولاً: تبادل فكري بين الجامعات فيها.

وثانياً: يجب ان تشترك في تشكيل مجامع تحقيقية كما هو موجود اليوم في اوربا CERN في جنيف، و يستفاد فيها من وجود علماء سائر الأقطار بعيداً عن التعصب القومي العنصري، وكانت هذه المراكز رائجة كثيراً في عصر التمدن الاسلامي. وما تحقق منها لحد الآن لم يكن إلا مجرد شكليات لاغير وقد حان الوقت للقيام بعمل فعال في هذا المجال.

هوامش

١ ــ هذا الحديث في أصول الكافي (ج١ ص٣٠) و سنن ابن ماجة (مقدمة) بالشكل المذكور وفي مصباح الشريعة (باب ٦٠) وبحارالأنوار (ج١ ص١٧٧) بشكل «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» وطبيعي انه في الحالة الأولى يشمل الرجل والمرأة. لانّ(مسلم) اسم جنس. ونظير هذا الأمر نجده في «المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده» وهذا الحديث كما هو واضح لايختص بالرجال.

٢ ــ احياء علوم الدين (ج١ ص١٤).

٣ــ احياء علوم الدين (ج١ ص١٥): «وهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومكناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب و وقت وجوبه علم العلم الذي هو فرض عين».

٤ ــ احياء علوم الدين (ج١ ص١٦).

٥ــ احياء علوم الدين (ج١ ص٣٩): «فلا تشتغل بفروض الكفاية لاسيّما و في زمرة الخلق من قد قام بها فانّ مهلك نفسه فيما به صلاح غيره سفيه... ولا تسترق عمرك في فن واحد منها طلباً للاستقصاء، فانّ العلم كثير والعمر قصير، و هذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة بعينها بل لغيرها و كلّ ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب و يستكثر منه».

٦ ــ احياء علوم الدين (ج١ ص٢٢).

٧ ــ المحجة البيضاء (الجزء الاول ص٥٩): و بالجملة يجب على كل مكلف ان يُحصّل من علم الفقه مايحتاج اليه بنفسه بفرض العين وما يحتاج اليه غيره بفرض الكفاية سواء فيه العبادات والمعاملات من غير فرق.

٨ ــ المحجة البيضاء (ج١ ص٧٢): «عالم بفضل منها في الشرع تفصيلاً و كان له مدخل في معرفة الله وكيفية صفات الله عزوجل وعلم الهيئة وغير ذلك لاحاجة فيه الى التفصيل في سلوك السبيل بل يكفي فيه المجملات والمرموزات التي وردت في الشرايع».

٩ ــ شرح اصول الكافي (ص١٢١): «فتخصيص ذلك العلم بعلم الاعمال و المعاملات دون غيره من العلوم التي لا ينطق بعلم او كيفية عمل ليس بموجه لأنّ العلم بوحدانية الله و براءته عن النقائص كلّها يجب طلبه واكتسابه وكذا العلم بكيفية صفاته وافعاله وملائكته و كتبه و رسله و ملكه و ملكوته وخلقه وامره واحاطته بالاشياء كلّها علماً وحفظاً و رعيةً وجوداً وكذا العلم باحوال النفس وصفاتها و احوالها ونشأتها و خلقها و بعثها الى الله في النشأة الآخرة وسعادتها و شقاوتها ممّا يجب تعلمه وطلبه على كثير من الناس ولايلزم ان يكون العلم الذي يجب تعلمه على كل مسلم علماً واحداً بعينه ولا الواجب على احد هوالواجب على الآخر».

١٠ ــ شرح اصول الكافي (ص١٢٠): «التحقيق في هذا المقام انّ لفظ العلم كلفظ الوجود من الالفاظ المشكّكة وهو الّذي له معنى واحد مشترك متفاوت الحصول كمالاً ونقصاً شدّة وضعفاً واذا كان كذلك ولاشبهة في انّه شيء ليتكمل به الانسان ويحتاج اليه في معرفة نفسه و معرفة ربّه و معرفة انبيائه و رسله وحججه وآياته و معرفة العمل بما يسعده و يقربه الى الله و بما يخلصه من الشقاوة والعذاب والبعد عن الله تعالى ودار كرامته فكل ما حصل له شيء من العلم وجب عليه مرتبة اخرى فوقه ولا حدّ يقف عنده من مراتب القرب ومنازل الوصول غير متناهية ولهذا قال اعلم الخلايق «ص»: ربّ زدني علماً. فعلى هذا كان معنى الحديث طلب جنس العلم وطبيعته واجب على كل مسلم سواء كان المسلم جاهلاً او عالماً ناقصاً اعني بالنسبة الى مادونه والاّ فلاحدّ لكمال العلم».

١١ ــ شرح اصول الكافي (ص١٢١): «فنقول الحديث يفيد ان طلب وجوب العلم غيرمنفك عن المسلم في وقت من الاوقات كما قيل من المهد الى اللحد فانّ هذا هو المدلول الحقيقي الموافق للفظ الحديث من غير تحوير في قوله «ص» طلب العلم فريضة اي بالفعل يجب ان يكون متلبساً بطلبه».

١٢ ــ شرح اصول الكافي (ص١٢٩): «العلم في نفسه اي علم كان نوع من النور والظهور قلّ أوكثُر والنور لا يكون الاّ ممدوحاً بنفسه وانّما الذّم لاجل مالزمه من ضرر أوشر.»

١٣ ــ گفتار ماه (ج١ ص١٣٧).

١٤ ــ احياء العلوم (ج١ ص٣٩): «وانّما العلوم التي لايحمد منها الاّ مقدار مخصوص فهي العلوم التي اوردناها في فروض الكفايات. فانّ في كلّ علم منها اقتصاراً وهو الاقل،

←

واقتصاداً وهو الوسط، واستقصاء وراء ذلك الإقتصاد ولا مردّله الى آخر العمر.»

١٥ ــ احياء العلوم (ج١ ص١٤)، المحجة البيضاء (ج١ ص٢١)، بحارالأنوار (ج١ ص٥٧).

١٦ ــ امالي الصدوق (ص١٩). ورد هذا الحديث في كتاب «البيان والتعريف» تأليف ابن حمزة الحسني ج١ ص١١٢ نقلاً عن الديلمي وذلك كما يلي:

«اعلم الناس من يجمع علم الناس الى علمه...»

و ينقله المحدث القمي في سفينة البحار كمايلي:

«اعلم الناس من جمع علم الناس الى علمه واكثر الناس قيمةً اكثرهم علماً. واقل الناس قيمةً اقلّهم علماً» سفينة البحار (ج٢ ص٢١٩).

١٧ ــ النظام التربوي في الاسلام (ص١٨٨).

١٨ ــ مختار الاحاديث النبوية والحكم المحمدية (ص٧٠).

١٩ ــ علي(ع): «الحكمة ضالّة المؤمن فخذ الحكمة ولومن اهل النفاق» نهج البلاغة (الدكتور صبحي الصالح): ٤٨١.

٢٠ ــ سنن ابن ماجة (رقم ٢٥٠)، مصباح الشريعة، (باب ٦٠).

٢١ ــ سنن الترمذي (باب دعوات، سنن ابن ماجة (المقدمة).

٢٢ ــ نهج البلاغة (الدكتور صبحي الصالح ص٣٩٣).

٢٣ ــ غررالحكم (ص٤٢).

٢٤ ــ وان كان علينا أن نقول: ان المعلومات الدينية لقسم كبير من المسلمين قليلة جداً و من المؤسف أن الكثير من أحكام الاسلام جرد عن أبعاده الاجتماعية.

٢٥ ــ يقول الرسول الاكرم(ص): «الحكمة ضالّة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها» «منية المريد: ص٥٦ طبع النجف ١٣٧٠هـ».

٢٦ ــ تحف العقول «ص٢٦١»، و هنا رواية عن علي(ع) يرويها العلامة المجلسي وهي: «حسب المرء من كمال المروءة، تركه مالايحسل به، ومن عرفانه علمه بزمانه» «بحار الانوار: ج٧٨: ص٨٠».

٢٧ ــ منية المريد: ص٢٨ طبع النجف ١٣٧٠هـ.

٢٨ ــ مختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية(ص٩٩).

٢٩ ــ منية المريد (ص٥٣ طبع النجف ١٣٧٠).

٣٠ ــ و روي عن الرسول الاكرم(ص): «الناس كلهم عيال الله، فاحبهم اليه أنفعهم لعياله» «نهج الفصاحة: ٦٣٥».

٣١ ــ لقد جمع نصيرالدين الطوسي المتخصصين في العلوم المختلفة في مدينة «مراغة». ولكننا نجد ــ في القرن العشرين ــ الأمريكيين والاوربيين يجمعون أهل العلم من أطراف العالم، ويهيئون لهم مختلف الوسائل.

٣٢ ــ مثلاً: عبدالرزاق نوفل، في كتاب: «المسلمون والعلم الحديث» يقول: «إن القرآن الكريم إنما هو كتاب علم أيضاً، وانّه يسبق العلم في كافة ميادينه، وفي كل عصر.... و انّ كل ما يكتشف إنما جاء به القرآن إذ وجه النظر اليه، أوطالب بدراسته، وان هذا الاعجاز العلمي هو السبيل لتسليح الدعوة الاسلامية لغير العرب....» «ص٥».

ونفس هذا المؤلف في كتابه «القرآن والعلم الحديث» في ذيل الآية: «هوالذي خلقكم من نفس واحدة و جعل منها زوجها ليسكن اليها» يقول: ان المقصود من النفس هو «البروتوبلازم»، والمقصود من الزوج هو «الالكترون»، وهي أجزاء «ذرية» ثم يقول: «ان هذا الأمر الذي بينه العصر الحديث قد بينه القرآن قبل ١٤٠٠ سنة».

و كذلك فان مؤلف كتاب «العلوم الطبيعية في القرآن» يقول (في الصفحة ٩٣) بعد ذكر الآية الشريفة: «ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون» «الذاريات٤٩»: انها تؤيد النظرية الزوجية للمادة.

و يستدل (ص٩٤) أن الآية التي تشير بقوله: «اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون» «يس: ٦٥»، تحكي عن التسجيل الالكتروني، ومثل هذا التفسير إن كان لتقريب الذهن فلابأس ولكنها مشكلة اذا طرحت بنحو جدي.

٣٣ ــ مسند النعمان الكريم (الأجزاء العشرة الأولى): ١١ ــ ١٤.

٣٤ ــ ... وصح أكثر تراجع مقالات البروفيسور عبدالسلام المحررة باللغة الانجليزية.

الشهيد آية الله المطهري

«إنّ الله اشترىٰ مِنَ المُؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يُقاتلونَ في سبيل الله فيَقتلونَ و يُقتلونَ...»

مقدمة

كل مايكتب عن الأستاذ الشهيد آية الله مرتضى المطهري فهو قليل بلاشك، لأنّ الكلمات مهما كانت معبرة وذات أصالة فانها وإنْ استطاعت أنْ توضح بعض الجوانب من حياة الاستاذ وشخصيته الفذة، فانها غير قادرة على اعطاء صورة كاملة وشاملة عن هذا الاستاذ والفيلسوف المؤمن الصادق الملتزم...

فالشهيد المطهري، استاذ كبير، ومؤمن صادق، و رسالي اصيل، كرّس حياته لخدمة الأهداف الاسلامية.

كان معلماً فكرياً للثورة الاسلامية، واسطورة في تاريخ العلم والأدب والفلسفة والعرفان الاسلامي، وعالماً من سلالة العلماء الربانيين، سقى بدمه شجرة الاسلام...

نعم، كان من نوادر عصرنا، ولاشك في أنّ التاريخ سيضع اسمه الى جانب المشاهير المعاصرين. فقد ظهر في مقطع خطير وحساس من التاريخ السياسي للإسلام في بلادنا، واستطاع بافكاره السامية أنْ يصمد امام الانحرافات والمساعي البائسة التي كانت ترمي الى تشويه الوجه الحقيقي للإسلام، ويحافظ على اصالة الإسلام متحملاً بذلك مشقات كبيرة من دون أنْ يتردد أو يشعر بالخوف لحظة، ولماذا يشعر بالخوف؟ وهو الذي كان يعلمنا بأنّ افضل مايحققه الانسان في حياته هو الشهادة في سبيل الله.

حياته وشخصيته

ولد عام ١٩١٩ في قرية نريمان بمحافظة خراسان، ونشأ وترعرع على يد والده الذي كان رجلاً ورعاً، تقياً، مؤمناً وصادقاً همّه الاسلام لاغير. وبهذا الصدد يقول الشهيد نفسه:

«ان ايمان ابي وتقواه وعمله الصالح انار لي الطريق».

هاجر عام ١٩٣١ الى مدينة مشهد المقدسة طلباً للعلم، و درس هناك مقدمات العلوم الاسلامية. فمنذ ايام شبابه كان يميل الى الفلسفة، و يكن المحبة للعرفاء. و اول من تأثر الشهيد بشخصيته كان «الميرزا مهدي شهيدي» مدرس الفلسفة الالهية ــ آنذاك ــ في الحوزة العلمية بمدينة مشهد.

وعندما بلغ السابعة عشرة من عمره، غادر مشهد الى مدينة قم المقدسة، وتتلمذ على يد اساتذة معروفين مثل آية الله سيد محمود المحقق وآية الله سيد محمد حجت. وهناك تبحر في الفقه والاصول.

وفي تلك الأيام تعرف على آية الله المنتظري، وعاش معه في حجرة من حجر الحوزة العلمية، حيث تكونت بينهما رابطة معنوية كبيرة.

عن تلك الأيام يقول آية الله المنتظري:

«منذ الأيام الأولى لتعارفنا، علمت ان الشهيد المطهري يلتزم بصلاة الليل، وكان يدعوني لإقامة هذه الصلاة، غير انني كنت اتذرع بأمور قائلاً، إنّ ماء الحوض مالح و وسخ يؤذي عيني، لكنني و في احدى الليالي رأيت في عالم الرؤيا انني نائم وان شخصاً يدعى عثمان بن حنيف ايقظني من النوم وقال: إنّ الامام أمير المؤمنين (ع) ارسلني اليك وهو يأمرك بان تستيقظ وتقيم الصلاة، وهذه رسالة لك منه. وكانت الرسالة ورقة صغيرة جداً كتب عليها: هذه براءة لك من النار. لم اكن أدري ماذا افعل، وفي تلك اللحظة بالضبط ايقظني المرحوم من نومي الواقعي، و بينما كان في يده ابريق ماء قال لي: انني جئتك بهذا الماء من النهر، انهض واقم الصلاة ولا تتذرع».

ودرس الشهيد كذلك على يد مرجع الأمة الاسلامية الامام الخميني دام ظله، الفلسفة والعرفان والأخلاق، وتأثر به الى درجة كان يثني عليه في اكثر الأحيان، حيث كان يرى فيه القائد الصلب الذي يستطيع بايمانه وتقواه وارادته الحرة ان يوصل سفينة الشعب الايراني المسلم الى ساحل النجاة و يوعي فيه اصالة الاسلام.

وعندما بلغ الرابعة والعشرين من عمره، بدأ يدرس العلوم العقلية، وطالع عدداً من الكتب والكراسات التي كانت تتناول الفلسفة المادية، مما مكنه فيما بعد على اصدار كتاب «اصول الفلسفة والمدرسة الواقعية» حيث فند فيه فلسفة المادية الديالكتيكية.

وحول الفلسفة المادية يقول الشهيد:

«لقد كنت ادرس الفلسفة الالهية والفلسفة المادية برغبة كبيرة، وفي مدينة قم تبين لي وبشكل قاطع ان الفلسفة المادية ليست ــ في الواقع ــ فلسفة، ومن كان متعمقاً في الفلسفة الالهية، واعياً لما يرى

بطلان الافكار المادية».

في عام ١٩٥٤ هاجر الى طهران من مدينة قم، وتزوج ابنة عالم ديني كبير. وفي طهران بدأ يلقي محاضرات حول الفلسفة الالهية. و بعد عام اي في عام ١٩٥٥ نشر اول مقال له في مجلة «الحكمة»، و بعد سنتين من ذلك التاريخ صدر له المجلد الاول من كتاب «الفلسفة والمدرسة الواقعية».

وفي نفس العام دعته جامعة طهران للتدريس في كلية المعارف الاسلامية، فاغتنم الفرصة وظل مدة اثنين وعشرين عاماً يُدرّس الفلسفة والحضارة والمعارف الاسلامية. وقام بكتبه ومقالاته التي تُعد بالمئات، بارشاد الشباب نحو الاسلام وانقذ الكثير منهم من الجو القاتل للدعايات والتلقينات المادية العمياء الذي كان يسود الجامعات الايرانية آنذاك.

وكتاب «العدل الالهي» نموذج بارز من الخدمة التي قدمها في هذا المجال، حيث طرح فيه هذه المسألة واعطى الرأي القوي المتين المبرهن.

ولغاية عام ١٩٧٧ كان الاستاذ يواصل تحقيقاته في مجال المسائل الاعتقادية والاقتصادية والاجتماعية في «مسجد الجواد»، و«حسينية الارشاد»، و«مركز التوحيد».

وقام بتحقيقات حول التضاد والحركة في الفلسفة الاسلامية، ونشرها بصورة مقالات، كما قام بتحقيقات أخرى حول عرفان الشاعر الايراني حافظ وحكمته، وله بحوث في مجال المعرفة، وايضاً عدد من الكتب في مجال الفلسفة التاريخية والاقتصاد الاسلامي والمقارنة بين الاسلام والماركسية.

شارك في انتفاضة عام ١٩٦٣ التي قادها الامام الخميني، واودع السجن، ثم اطلق سراحه، واعتقل مجدداً بعد عدة سنوات، ومرة أخرى اطلق سراحه، غير انه مُنِعَ من الصعود على المنابر.

و بعد احداث ذلك العام التي انتهت بنفي الامام الى خارج البلاد، قام مع عدد من علماء الدين و بتشجيع من الامام الخميني بتأسيس: «جمعية علماء الدين المناضلين» فكان من اعضائها النشطين.

لقد قضى الاستاذ الشهيد حياته كلها في مكافحة المفاسد وأساليب الضلالة والأفكار الملحدة والالتقاطية، ولم يتغافل أبداً عن ذكر الله وارشاد الناس ودعوتهم الى الصراط المستقيم.

كان فقيهاً كبيراً، تدرّج الى اعلى المستويات في علوم الفقه، ذا رغبة كبيرة في العلم، ولم يتوقف أبداً عن المطالعة. كما كان فيلسوفاً مشهوراً في الشرق والغرب، و يكنّ احتراماً بالغاً للفلاسفة والعرفاء المسلمين.

كان ــ عليه الرحمة ــ يتواجد في اي مكان يشاهد نقصاً فيه، على سبيل المثال انه عندما أحسّ بان ادب الأطفال يكاد يكون معدوماً، وان الاعداء يستغلون مثل هذه الفرص لتوجيه ضرباتهم المميتة والمصيرية عبر ترسيخ ثقافتهم المنحطة في عقول اطفالنا لاعداد جيل لايفهم من الحياة سوى الأكل والشرب والنوم، بدأ يكتب قصصاً للاطفال تتناول الاخلاق الاسلامية وحياة المسلمين في عصر صدر الاسلام، وكانت خطوة يقل نظيرها في هذا السبيل.

وعندما لاحظ ان مجلة «زن روز» (المرأة العصرية) لا ترمي سوى الى تشويه ماهية حقوق المرأة في الاسلام، وابعاد النساء والفتيات عن الاسلام، فقد تحرك في الوقت المناسب و بدأ بنشر سلسلة من المقالات حول «نظام حقوق المرأة في الاسلام» في نفس المجلة دون أن يأبى بالمخاطر التي قد تواجهه في المستقبل أو محاربته من قبل جهاز

الأمن السابق «السافاك»، أو المحاولات التي قد تبذل لتشويه سمعته واتهامه بالتخلف والرجعية. واستطاع بمقالاته القيمة ان ينشر الوعي بين صفوف النساء والفتيات الايرانيات، و يرسم امامهن الطريق الصحيح للايقعن في الشرك المخطط و يبتعدن عن القيم الاسلامية السامية.

اما كتاب «الحجاب» فهو الآخر يُعدُّ من خدماته الجليلة المنقطعة النظير التي قدمها للمجتمع الايراني، حيث استطاع بهذا الكتاب ان يعالج المرض المسري الذي نشره اعداء الاسلام بزعامة الصهاينة بين نسائنا وفتياتنا.

و بدون شك فان الشهيد المطهري كان بطل النضالات الفكرية والايديولوجية خلال السنوات الأخيرة.

و في خلال الأزمة الفكرية والعقائدية التي اوجدها «السافاك» منذ عام ١٩٦٥ وحد عام ١٩٧٦ فانه و باعتباره ممثلاً للامام الخميني استطاع ان يحافظ على مجرى الاسلام الصادق والأصيل الذي يُسمى اليوم بـ «نهج الامام» في جوالمشاحنات والصراع بين تيارين فكريين هما «الماركسية» و«مدعي الاسلام» اللذين كانا يستقطبان الأفكار.

وفي الوقت الذي خُدِعَتْ جميع الأوساط المثقفة والمناضلة بالظاهر الثوري لهذين التيارين، وكان انتقاد التيارين المذكورين يعتبر ذنباً لايغفر ومعارضة للثورة والثوريين، فانه من دون ان يشعر بالمخاوف والأخطار المدمرة وقف بوجههما واستخدم قلمه فاثبت بطلانهما وكشف الحقائق.

لقد ناضل الشهيد خلال حياته ضد ثلاث جبهات:

الاولى: جبهة الكفر والظلم التي كانت تبذل محاولات يائسة من أجل بقائها واستمرارها.

والثانية: جبهة الكفر والالحاد السافر التي كانت صورة أخرى من الجبهة الأولى، حيث كانت تسعى للظهور بمظهر ثوري بغية التحكم بالشعب.

والثالثة: جبهة الشرك الحديث التي ظهرت برداء الاسلام! وتطمع بالسلطة. وهذه الجبهة هي التي اسقطته شهيداً.

ولعب مع بقية علماء الدين دوراً فعالاً في قيادة جماهير طهران خلال مرحلة الثورة، وزار الامام الخميني في باريس الذي كلّفه بتشكيل مجلس الثورة الاسلامي فكان عضواً من اعضائها.

و بعد أقل من عام على انتصار الثورة الاسلامية و بينما كان عائداً الى منزله فتح عليه المجرمون اعداء الثورة الاسلامية، النار فسقط شهيداً...

اغتالوه... فلقد نفذصبرهم وهم يشاهدونه يدفع بعجلة الثورة الاسلامية الى الأمام بقلمه ولسانه وكل مابوسعه.

وقال الامام الخميني مرجع الأمة الاسلامية في البيان الذي اصدره في اليوم التالي من استشهاد الاستاذ المطهري:

«لقد غاب عنّا المطهري الذي قلّما نجد له مثيلاً من ناحية طهارة الروح وصلابة الايمان وقوة البيان... لكن الاعداء لن يستطيعوا ان ينهوا شخصيته الاسلامية والعلمية والفلسفية، وان القتلة لن يستطيعوا محق الشخصية الاسلامية لرجال الاسلام».

وفي الذكرى السنوية الأولى لاستشهاد هذا الاستاذ والفيلسوف الكبير اصدر الامام الخميني بياناً جاء فيه:

«انه قدّم للاسلام والعلم خدمات جليلة، وانه لمن المؤسف حقاً أن نقوم الأيدي المجرمة باقتلاع هذه الشجرة من المجامع العلمية والاسلامية وتحرم الجميع من ثمراتها القيمة. لقد كان ابناً عزيزاً لي، وخادماً صادقاً للشعب والقطر».

قالوا عن الشهيد

عن الشهيد تقول عقيلته:

«كان الراحل يلتزم باصول التعليم والتربية عند تعامله مع ابنائه وافراد المجتمع، ولم يكن يجبر احداً على عمل شيء، بل كان يأتي دائماً بالبراهين والادلة لاقناع الطرف المقابل للقيام بهذا أو ذاك العمل ...»

اما آية الله المسعري فقد قال عنه مرة:

«كان المرحوم المطهري مجتهداً في العلوم الاسلامية من مثل: التفسير، والفقه، والأصول، وأصول الدين، ولعب دوراً بالغ الأهمية في تعريف الرسالة الاسلامية الاصيلة. كما لعب دوراً في النهضة الاسلامية التي بدأها الامام الخميني...»

وقال آية الله المشكيني امام جمعة قم حول شهيدنا العزيز:

«يتضح من مؤلفاته انه كان فدفهم الاسلام بشكل صحيح وكان سداً امام الشيوعيين والكفرة».

وعنه قال الشهيد الدكتور مفتح استاذ كلية المعارف الاسلامية:

«انه وفي اوج الثورة الاسلامية كان يقول لي: لو ان امامنا وقائدنا نجح فانني لن اطمح لأي منصب.. ان مكتبتي هي اكبر لذة لي، انني لا اريد شيئاً سوى ان اكتب واحقق وادافع عن الاسلام».

وقال الشهيد بهشتي عنه:

«ان اغتيال المرحوم المطهري جاء في الحقيقة للقضاء على الفكر الاسلامي الأصيل، ولقد استشهد في وقت كانت هناك حاجة لدوره».

ولقد قال حجة الاسلام والمسلمين هاشمي رفسنجاني رئيس مجلس الشورى الاسلامي:

«ان شهادة المطهري هي بحد ذاتها دليل على صحة الطريق الذي كان يخطوفيه. فعندما تعرف على نفسه يجاهد بشكل متواصل لتعريف الاسلام الحقيقي وازالة غبار الشرك والجهل الذي كان يغطي الرسالة الاسلامية».

و يقول المرحوم العلامة الطباطبائي عن تلميذه:

«كان المطهري رجلاً نقيا اكتسب التقوى من الفلسفة، وكان ذكياً ومتحليا بجميع الصفات الانسانية الرفيعة ويميل الى العلم أشد الميل».

من أقوال الشهيد المطهري

• منطق الشهيد، هو منطق الاحتراق والاضاءة، منطق الانصهار في المجتمع لاحيائه، منطق احياء القيم الانسانية، ومنطق خلق البطولات.

• ان دم الشهيد لن يذهب هباء مطلقاً، فهو لا يُسكَبُ على الأرض. فكل قطرة من دمه تتبدل الى مئات وآلاف القطرات، بل الى بحر من الدم لتصب في جسم المجتمع.

• الاسلام لايحصر العبادة بالاعمال البدنية كالصلاة والصيام أو العبادات المالية كدفع الخمس والزكاة، بل هناك نوع آخر من العبادة، وهو العبادة الفكرية. فالعبادة الفكرية تعادل سنوات من العبادة البدنية وتسمو عليها بكثير، إنْ اتجهت على طريق نوعية الانسان.

• الانسان في نظام الشرك ينجذب في كل لحظة الى جهة، انه قشة في البحر تتقاذفها الأمواج في كل لحظة، اما في النظام التوحيدي فهو كالسفينة المجهزة بأجهزة الدلالة تجري في حركة منظمة متناسقة تحت قيادة من يجب اتباعه.

اما الانسان غير المؤمن فهو يعيش في العالم كمعيشة انسان يعتقد بظلم وفساد القوانين والانظمة الحاكمة في بلده، و يرى نفسه مضطراً الى الخضوع لها. مثل هذا الفرد يحس دوماً أنه ملىء بالعُقد والأحقاد، ولايفكر على الاطلاق في اصلاح

نفسه، إذْ لايرى جدوى في ذلك، فهو يرى نفسه قطرة في بحر يموج بالظلم والجور.

هذا الانسان لايحس بلذة في العالم، لان العالم في نظره سجن رهيب.

• الاسلام نظرية انتصار الروح الانسانية على الروح الحيوانية... وانتصار العلم على الجهل، وانتصار العدل على الظلم، وانتصار المساواة على التمييز، وانتصار الفضيلة على الرذيلة، وانتصار التقوى على التحلل، وانتصار التوحيد على الشرك.

• طبيعي ان الايديولوجية الوحيدة التي تستطيع ان تكون ذات ماهية انسانية تقوم على اساس القيم الانسانية، هي الايديولوجية الانسانية لاالفئوية، هي الايديولوجية الموحدة لاالقائمة على اساس تجزئة الانسان، هي الايديولوجية الفطرية لاالمصلحية.

• نعتقد ان سبب تناقضات ماركس يعود الى ان ماركس كان اقل ماركسية من كثير من الماركسيين. و يُذكر ان ماركس كان يشرح امام مجموعة من الماركسيين نظرية تنافي بعض نظرياته السابقة، فلم يطق الحاضرون سماع هذا الشرح، فما كان من ماركس إلا ان قال لهم: أنا لست ماركسياً بمستواكم. و يقال انه ردّد في آخر حياته: لست ماركسياً.

آثار الشهيد القيمة

للشهيد الاستاذ مرتضى المطهري آثار قيمة تُعد بالعشرات، ترجم عدد منها الى اكثر من لغة عالمية، وتبذل حاليا محاولات لطبع مالم يطبع من مؤلفاته، حيث هناك الكثير من الكتب والمقالات التي لم تطبع بعد.

ومن جملة ما طبع له لحد اليوم:

١ ــ الانسان والمصير.

٢ ــ الوحي والنبوة

٣ ــ النبي الأمي

٤ ــ الحركات الاسلامية في القرن الأخير

٥ ــ الانسان والايمان

٦ ــ العدل الإلهي

٧ ــ مسألة الحجاب

٨ ــ نظام حقوق المرأة في الاسلام

٩ ــ الدوافع نحو المادية

١٠ ــ المجتمع والتاريخ

١١ ــ الامدادات الغيبية في حياة البشر

١٢ ــ المادية في ايران

١٣ ــ الادارة والقيادة في الاسلام

١٤ ــ الولاء والولاية

١٥ ــ السلوك الجنسي في الاسلام والغرب

١٦ ــ قيام وثورة الامام المهدي (عج)

١٧ ــ تفسير الكون

١٨ ــ الانسان والايمان

١٩ ــ اصول الفلسفة والمدرسة الواقعية ــ خمس مجلدات

٢٠ ــ التكامل الاجتماعي في الاسلام

٢١ ــ في رحاب نهج البلاغة

٢٢ ــ الحياة الخالدة

٢٣ ــ قصص اهل الحق ــ الجزء الاول والثاني.

٢٤ ــ احراق الكتب في ايران ومصر

٢٥ ــ لن تغرب شمس هذا الدين

٢٦ ــ ايران والاسلام ج ١، ج ٢

٢٧ ــ عشرون مقالة

٢٨ ــ عشر مقالات

٢٩ ــ ختم النبوة

٣٠ ــ الشهيد

٣١ ــ النظرة الكونية التوحيدية

٣٢ ــ حول الثورة الاسلامية

٣٣ ــ مسألة النفاق
٣٤ ــ المجتمع والتاريخ
٣٥ ــ اصالة الروح
٣٦ ــ مبدأ التضاد كما تصوره الفلسفة الاسلامية
٣٧ ــ البحث عن الحقيقة
٣٨ ــ الجهاد
٣٩ ــ هدف الحياة
٤٠ ــ ابحاث اقتصادية
٤١ ــ ماركس والماركسية.

وهناك كتب ومقالات ومحاضرات لم تطبع لحد الآن منها: الامام والقيادة، الاقتصاد الإسلامي، الانسان في تصور الماركسية والاسلام.

القصة الرسالية
وخصائص القصة الاسلامية

بقلم: الاستاذ محسن مخملباف

الفصل الأول

شهد الأدب الايراني خلال الأعوام الخمسين الماضية الكثير من القصص الغرامية التافهة وما يُسمى بالقصص السياسية الملتزمة!

فالقصص التافهة التي كانت ـ عادة ـ تنشر في الصحف، كانت نابعة من واقع الحياة، غير أنَّ «الغرام» كان في اكثر الأحيان يشكّل الفكرة الرئيسية أو الموضوع الرئيسي لهذه القصص، أو كان على الأقل منطلقاً لها.

وكان كُتّاب هذا النوع من القصص يغطون جميع نقاط ضعف نتاجاتهم وذلك من خلال تحريك الغريزة الجنسية للانسان. كما كانوا يقيمون عقائدهم الفارغة على أساس من المهارة الأدبية الضعيفة التي كان عنصرها الرئيسي يتمثل بطرح مسألة الجنس.

واذا كانت الوظيفة الرئيسية للمهارة (التكنيك) في النتاجات الأدبية بما فيها القصة تتمثل باستخدام أفضل الأساليب لايصال الفكرة الى القارىء. فان الجنس كان يشكل مجموع مهارة هذه الفئة.

وكانت هذه الفئة من كُتّاب القصة تقوم من خلال نعرية شخصية انثوية امام شاب أعزب في بداية القصة، بتشجيع أي شاب قلق وأحياناً منحرف لمتابعة القصة الى أنْ يصل القراء مثلاً الى عبارة: «النهاية، شتاء عام...».

ومع ان هذه الفئة قد وصلت في بعض الأحيان الى درجة لابأس بها من الأسلوب والمهارة، لكن

عليها أن تعي بان نجاحها كان متوقفاً على ظروف البلاد خلال العهد الملكي البائد واستخدام الجنس واصحاب النفوس المريضة من الشُبّان والشابات.

أمّا في ظل الجمهورية الاسلامية، فبعد ان تبدل حب الشهوة الى حُب الشهادة في نفوس الشباب الايرانيين، وحصل تغيير في نظام إدارة المطبوعات، فقد بدأت الدوافع أو بالأحرى الامكانات لكتابة ونشر هذا النوع من القصص تنعدم الواحدة بعد الأخرى وبسرعة فائقة.

وبالنسبة للقصص السياسية التي كانت نسبتها أقل بكثير من القصص التافهة بسبب سوء الحالة المالية لكُتّابها ومواجهتهم للأخطار، وايضاً عدم امكانية نشرها، فانها كانت تنشر ــ عادة ــ على شكل كتاب. وكان كُتّابها من المناضلين الضائعين الذين دفع بهم عدم استعدادهم الشخصي في مجال النضال السياسي ــ العسكري الى هذه الساحة بتبريرات من مثل: «الظروف غير مناسبة» أو «ضرورة الأدب في توفير الجو الملائم للثورة».

ومع انه يلزم عدم وضع هذه الفئة الى جانب فئة قد دخلت هذا المضمار بوعي والتزام، إلاّ ان الأهم من كل شيء ــ هنا ــ وحتى من دراسة دوافع كتّاب القصة السياسية، هو تأثير هذه القصص وأسلوبها. حيثُ أنّ أكثر كُتّاب القصة السياسية لم يطرحوا المسائل السياسية بمثابة فكرة مناسبة في القصة غايتها النوعية، بل بمثابة عنصر من عناصر المهارة الجيدة الى درجة أن قُرّاء القصة عندما يتذكرون القصص الجيدة التي كانت تكتب قبل الثورة الاسلامية، يشعرون بالارتياح، وعندما يراجعونها مرةً أخرى لايجدون فيها ما يشدّهم اليه.

والحقيقة هي أنّ كُتّاب القصة السياسية كانوا يكتبون بيانات للناس، وكانت أهمية قصصهم بمستوى أهمية بيان سري يصدر إبّان حكم الشاه المقبور. ثُمّ أنّ اكثر منحنيات القصص السياسية لم تكن من نوع المنحنيات اللازمة لقصة جيدة التي تعتبر كواحدة من أساليب مناضلٍ في فترة النضال السري.

وطبيعي انّ القارىء المتعطش للمعلومات خلال الحكم الملكي البائد عندما كان لايستطيع الحصول على مايشتهيه فانه كان يفرح نفسه بهذه الكتب التي كانت تخبّىء في زواياها وبعبارة أخرى في منحنياتها المعقدة شتائم أشبه بشتائم نملةٍ على ملكة النّمل.

ونحن ــ بالطبع ــ لانقول انه من غير الصحيح أن يقوم شخص من خلال قصصه بتوعية الناس، على العكس فهذا أمر جيد. إلاّ أنّ المسألة هي: لنفرض ان الناس العاديين ادركوا من الكلام الرمزي، الغاية المبهمة للكاتب، فهل ان هذه الغاية السياسية كانت موضوع وفكرة القصة؟ أم أنّ الطرح اللطيف للمسائل السياسية بشكل معقد واعطاء اهميتها بُعداً اكبر وخاصةً في الظروف الاستبدادية والرغبة في التعرف، يأتي بهدف تغطية الكاتب للضعف الأدبي الكامن في قصته، أي أنْ يقوم الكاتب من خلال معرفته لتلك الرغبة في ظل تلك الظروف بإقامة أساس كتابة قصته على عنصر محتوى القصة؟

هذا خداع وعملية استقطاب لااكثر ولن يكون هادفاً.

وهذا السبب فاذا القينا نظرة على القصص المعروفة والجيدة الخاصة بمرحلة ماقبل الثورة الاسلامية، لوجدنا انها تفتقر لشيء تقوله أو حتى لقول يسمع.

لذلك يتوجّبُ على كُتّاب القصة أنْ يعلموا بان الجنس والسياسة لايشكلان عنصرين فنيين لطرح المحتوى. واذا كان هناك ممّن لافنّ له، فعليه ان يغادر ساحة الأدب.

أما ما كان يخلو منه الأدب الايراني ـ في الواقع ـ خلال الأعوام الخمسين الماضية فهو؛ القصة الرسالية.

واليوم اتضح لدى الجميع بأنَّ الأدب الآيديولوجي (بما فيه القصة الآيديولوجية) يستطيع أنْ يؤثّر تأثيراً جذرياً وعميقاً على مشاعر الناس ـ شريطة أنْ يقوم على اساس المنطق ـ

وإذا كانت القصص السياسية وقتية لكونها تخصُّ مرحلة معينة، فإنَّ القصص الرسالية تبقى خالدة بسبب شموليتها العالمية والتاريخية.

و يستطيع الفن الرسالي، تبسيط الأسلوب المعقد للفلسفة وجعله مفهوماً لدى الناس. لكن المقصود من طرح مسألة القصة الرسالية ليس تبيين المسائل الفلسفية الجافة بشكل مجرد أو بلغة بسيطة، إذْ انَّ الأدب الرسالي يستطيع حتى أنْ يتطرق الى المسائل السياسية بل ومسائل الحب من الزاوية الآيديولوجية.

و بعونه تعالى بدأت بعد خمسين عاماً، تحركات لكتابة القصة الرسالية. وهذا مايدعو للارتياح، الارتياح على أساس؛ ان الأدب استطاع في النهاية ان يجد سبيله. كما وانه يثير القلق... القلق من أنْ يقوم كُتّاب القصة المعاصرين من خلال تفهم سطحي لحاجة الناس الماسّة الى الآيديولوجية، باتخاذ الرسالة بمثابة عنصر من عناصر المهارة، على سبيل المثال أن يستدلوا كما يلي:

بما أنَّ الناس يرغبون في التعرف على الرسالات العقائدية وانتخاب واحدة منها، فاننا نُدخل البحوث الفلسفية في القصة ليتمكن الراغبون فيها من التعرّف عليها.

إضافه الى ذلك توجد مسألة أخرى ندعو للقلق الا وهي ان بعض الأشخاص قد تقدّموا في الأدب وليسوا بحاجة لاستخدام الجنس والسياسة والرسالة بهذا الشكل، لكن، بما انهم يفتقرون الى منطق لعقائدهم الفلسفية، وتتزلزل رسالهم (مدرستهم الفكرية) في مجال التعقل والتفكر، فانهم يُحمّلون عقائدهم غير المنطقية على الناس العاديين وخاصة الشباب منهم وذلك من خلال استخدام السلاح العاطفي الذي يوفّره الأدب!

هذا الأمر قد حدث كثيراً في الدول الاشتراكية على يد بعض الأشخاص من جملتهم مكسيم غوركي إذْ أنَّ هذا الأخير كان يكتب قصصه من دون اي استدلال منطقي لكن بشكل يؤثّر معه على الأذهان الساذجة.

إنَّ استخدام هذا الأسلوب وإنْ كان يخدع لفترة من الزمن، إلاّ أنَّ الشمس وحكم اعتقادنا واعتقاد هؤلاء لن تبقى خلف الغيوم الى الأبد.

ومما لاشك فيه انه يمكن ان يروّج المادية الديالكتيكية من دون أي استدلال منطقي أو اثبات تجريبي بمثابة فلسفة علمية. لكن الى متى؟ ولأي اشخاص؟

انَّ استخدام الرسالة بهدف تغطية الضعف الفني في الأدب، واستخدام الأدب لتغطية نقاط الضعف الآيديولوجية هما وجهان لقطعة نقدية عادت باطلة في ظل نظام الخدعة فخرجت منهزمة من الساحة.

خصائص القصة الاسلامية

طبيعي ان البحث في مصطلح عام كالقصة من أية زاوية كانت لا تسفر عن نتيجة مطلوبة. حيث يتطلب قبل أي شيء آخر اجراء تقسيمات على القصة حتى وإنْ كانت اعتبارية. لأنَّ مثل هذا التقسيم سيساعدنا على اجراء دراسة دقيقة على العناصر المكونة للقصة من الزاوية التي نرغب فيها، بغية الوصول الى نتيجة مطلوبة.

فلو القينا نظرة الى قصة مكتوبة أو منقولة، لوجدنا؛ اسماً، ومقدمة، وتنامياً، ونهاية والعناصر

الرئيسة من مثل؛ شخصية القصة، والمكان، والزمان، والعقد، والهيجان، والوصف والمحاورة وماشابه ذلك ...

فاذا نظرنا الى القصة من الزاوية التكوينية، لعرفنا في الوهلة الأولى على الفكرة المشتعلة في ذهن الكاتب ثم اسلوب طرحها، اي تدوينها التمهيدي والمبهم أو الاطار العام للقصة وبالتالي على القصة تكوينة ككل بمساعدة القلم أوالكلام.

ولدراسة خصائص القصة الإسلامية، فاننا سنفضل التقسيم الثاني المتمثل بالتقسيم التكويني وسنبحث في خصائص القصة الاسلامية في قسمين (قسمين الا وهما؛

أ ـ الموضوع أو الفكرة.

ب ـ اسلوب الطرح.

بصورة عامة يمكن القول انه ليست هناك أية قيود لانتخاب موضوع للقصة الإسلامية، حيث ان انتخاب أي موضوع يستطيع أنْ يكون اسلامياً شريطة التعرف على الزاوية التي يُنظرُ من خلالها.

إنَّ سرقة الموضوع أو (الفكرة)، المنتشرة بين الفنانين غيرالمسلمين، لا تنشأ من نقص المواضيع في العالم كما يعتقد مثل اولئك الفنانين ذوي العقول الضيّقة، لأنَّ كل مظهر من مظاهر العالم مع الزوايا التي يُنظر منها الى تلك المظاهر هي موضوع لكل قصة وأي فن آخر.

ونفاذ مواضيع الفنانين الذين يسرقون مواضيع القصص والمسرحيات ليس إلاّ واقعاً يتحدث عن وضعية هؤلاء الفنانين. ومع ذلك فان الافتقار الى المواضيع وسرقتها هما جزء من المشكلة. اما المشكلة الرئيسية التي تقوم حتى بتوفير سرقة الفكرة هي الرؤية المشتركة والنظرة الكونية المتشابهة للكُتّاب خاصة اذا كانت النظرة الكونية سطحية وخاطئة.

ونحن نعتقد انَّ المواضيع إنْ استطاعت أنْ تجد الخصائص الرسالية لكُتّابها فان حدود السرقة سوف لن تتعدى على الأقل إطار رسالة ما.

أمّا خصائص القصة الإسلامية فهي:

١ ـ تناسب الموضوع (الفكرة) مع النظرة الكونية الاسلامية.

٢ ـ الاتجاه الى الله

والفلسفة الأومانية، تشكل محوراً في الأدب الغربي. كما وانَّ القسم الأعظم من المواضيع (الفكر الأدبية والفنية) يتحدث عن الدفاع عن حق الانسان في العالم أو مظلوميته امام الجبر الأعمى للطبيعة وسيرها الظالم.

إنَّ اعتبار الانسان محوراً يمكن ان يكون له بعدان،

الأول: ايجابي، و يتمثل بكون الانسان خليفة لله على وجه الأرض.

الثاني: سلبي، و يتمثل باعتبار الإنسان إلهاً في الوجود.

لكن بالرغم من ان اعتبار الانسان إلهاً، لايعني ان الانسان خلق الوجود، إلاّ ان تصوّره بهذا الشكل يقلل من شأن من يقف مقابله بل و ينفيه.

و يأتي تأكيد الكُتّاب على عدم توفر العلاقات العاطفية بين أفراد البشر وعدم جدوى الوجود، دفاعاً عن وضع الانسان مقابل ظروفه المأساوية. كما وان عملهم المتمثل باعتبار الانسان بطلاً واسطورة، يأتي في مقام الدفاع عنه.

والنقص الرئيسي الكامن في (الفلسفة الأومانية) ناتج عن منح المحورية أو (الاصالة) الى (نفس) الانسان لا الى فطرته. لذلك فان اعطاء قيمة لنفس معتدية ومتمردة باسم الانسان، وفّر ضرورة اعطاء حرية مطلقة لهذا الموجود بحيث يضطر في نهاية الأمر لتدمير نفسه بنفسه.

فالفلسفة الأومانية والآداب الواقفة الى جانبها

ليست الأنسنة طبيعية للمظالم التي جرت على الانسان الغربي طوال قرون عديدة. ثمّ انّ النتيجة المنطقية لهذه الفلسفة البعيدة عن الله لن تكون سوى جرّ الانسان الى الضياع. فعندما نؤكد على قالب باسم الإنسان باعتباره ظرفاً لظروف حقيقي آخر وتجسيد للمحتوى الأصيل، ونزعم بان الشيء الأكثر أهمية هو هذا القالب فقط، فاننا ـ بدون شك ـ سنشاهد بعد فترة قصيرة فراغاً كبيراً في هذا القالب. وبهذا الأسلوب وجّه الأدب الغربي ضربات مميتة لكيان الحقيقة والانسانية.

فالضربات التي وجهها للحقيقة تمثلت باعتبار معرفته الناقصة والخاطئة عن جزء من العالم بمثابة معرفة كاملة وصحيحة، في حين تمثلت ضرباته للانسان باقتراح حلول لمشاكل الانسان وعوامله بحيث لم تسفر إلاّ عن تجزئة كيان الانسانية.

وقد تمثلت خصائص الأدب الأوماني في الغرب بمايلي:

١ ـ اعتبار الانسان محوراً ومنحه قيمة اكبر من قيمته.

٢ ـ الدعوة لمنحه حرية مطلقة، مجردة من أية قيود وشروط.

٣ ـ التأكيد على عدم جدوى الوجود والاهتمام بجزء من العالم وتجريده من مجموع العالم.

وبما أنّ الأدب الغربي لم يقم على أساس معرفة صحيحة، بل كان رد فعل لما جرى على الغربيين في التاريخ والعالم المعاصر، فانه سيتقيأ بتقيؤات جديدة. فتطور الماكنة وسقوط الانسان في المخالب الجافة لهذا النظام، ونشوب الحروب الكبيرة والعالمية اللامطلوبة وفناء الانسان الى حد كبير وظهور الشيوعية وتجريد الانسان من ارادته في النظام الحزبي الاستاليني... كل هذه الأشياء اجبرت بعض افراد البشر من جملتهم الأدباء والفنانين أنْ يطلقوا صرخات مؤلمة... صرخات ذات بعد واحد وناشئة من الألم... صرخات حاصلة عن اوضاعهم السيّئة والضغوط الموجهة لهم قبل أنْ تكون حصيلة المعرفة الصحيحة للانسان والعالم، أو على الأقل انعكاساً للعالم على الأذهان الصافية.

وكان جزء من الأدب الايراني المسمى بالملتزم يُقلّد الغرب ومتأثراً بالظروف الاجتماعية المشابهة للظروف التي مرّ الغرب بها. ومع انه يفتقر الى الشموخ المطلوب، إلاّ انه يبين في زوايا وجوده، التواجد من هذا التصور. فاذانظرنا الى هذا النوع من الأدب الايراني لرأينا ان الذي يُظلَمُ هو الانسان، وهوالمظلوم الوحيد في العالم... مظلوم بظلم النظام الاجتماعي ونظام الطبيعة ونظام خالق الطبيعة، وبالتالي فانه الوحيد الذي ينتفض بوجه كل ماهوقائم و يرى في نفسه إنها القيمة الوحيدة والمقبوله، كما يشعر بانه الحق الوحيد في العالم. فجعل الانسان اسطورة مطلقة في الأدب ينشأ من اسلوب التصور هذا (انسان يتعرض للظلم، انسان يناضل، انسان يسيطر في النهاية على جميع الأشياء بالاتكاء على قدرته).

فلوكانت للحيوانات قدرة التفكير والبيان لكنا ـ بلاشك ـ نشاهد ان أحد الاتجاهات الواسعة في الأدب والفن هوالاتجاه المعادي للانسان... اتجاه يتحدث عن ظلم الانسان الشديد للحيوان، وهواتجاه طبيعي حيث يعتبر انعكاساً للضغوط الخارجية على الداخل.

ومع أنّ الأدب الاسلامي (بما فيه القصة الاسلامية) يمنح الأصالة للانسان و يعتبره أشرف المخلوقات، لكنه و بأي حال لايتخذه مطلقاً ذلك ان اوجه اشتراك افراد البشر إنْ كانت كامنة في انسانيتهم فان وجه اشتراكهم مع كل ظواهر الوجود تكمن في خالقهم المشترك.

ولوكانت اصالة الانسان في الوجود تعين اصالة الفطرة الالهية الكامنة في الانسان لاقترب هؤلاء من التصورات والمفاهيم الاسلامية. إلاّ ان اصالة الانسان في الفلسفة الأومانية تتمثل ـ ومع الأسف ـ باعتبار (نفس) الانسان محوراً والاهتمام نتيجةً لذلك بحاجات الانسان المادية من مثل الجوع والعطش. فالفلسفة الأومانية تتحدث عن قلة الوسائل الرفاهية للانسان لكنها تتجاهل النقص في احتياجاته المعنوية. وهكذا فالفلسفة الأومانية تتحدث عن الانسان لكنها تأخذ الحيوان بنظر الاعتبار.

وحينما يتجاهل الأدب القائم على هذه الفلسفة، اكبر ضرورة للعالم من خلال رفض الله كخالقٍ وحاضر وفعال في الوجود، فانه يعرف الانسان تعريفاً سيئاً كذلك.

ولقد ابتلى الأدباء المسلمون بشكل لا ارادي بتأثير من اسلوب التفكير هذا بتصورات خاطئة عن الانسان. وبالرغم من انّ أكثر كتابات الأدباء المسلمين كانت تحمل الى حدٍ ما طابعاً اسلامياً، إلاّ انها وبسبب التفكير الخاطيء لاصحابها ازاء الانسان قد ابتعدت عن المحتوى الاسلامي الأصيل. على سبيل المثال؛ اذا نظرنا الى شخصيات ما يسمى بالقصص الاسلامية لوجدناها؛

«تفعل كل شيء. واذا حاربت واطلقت السهام فهي التي تطلقها، وحتى اذا تابت فهي التي تتوب بنفسها».

بينما نرى عكس ذلك في قصتين حقيقيتين من القرآن الكريم:

اولها: تخصُّ معركة بدر حيث يؤكد الله للمسلمين:

«فَلَمْ تَقْتُلُوهم وَلكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمارَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى...»

(ولم يكن ذلك ادعاء كاذباً يُرجى منه عدم ابتلاء المؤمنين بالغرور، ولكنه عين الواقع الذي يتكرر في كل لحظة).

ثانيها: تخصُّ يوسف(ع)، حيث يعترف بعد تخلصه من زليخا ان الله منعه من الوقوع في الخطأ.

لذلك فعندما يقوم الأدب الاسلامي ـ على سبيل المثال ـ في قصة ما، بدراسة ومطالعة العوامل التاريخية للفشل أو الانتصار، فانه لايأخذ المقاييس المادية وحدها بنظر الاعتبار. كما وان يأس بطل القصة أو أمله لاينشأ من معرفته بقلة الاشخاص أو كثرتهم، بل من العلاقة التي يقيمها مع الله.

فبطل القصة الاسلامية لايعتبر نفسه، المؤثر المطلق والوحيد في أية جبهة، بل يعتبر نفسه جزءاً من قوى جبهة الحق. ومع انه يرى نفسه مسؤولاً ولا يتأخر لحظة عن وظيفته الالهية، إلاّ انه في المحصلة النهائية، يرى افعاله مقدمة ضرورية ولكنها غير كافية وحدها للانتصار.

واذا كان الأدب الأومانى ينشد الانسانية للانسان، فان الأدب الاسلامي ينشد للانسان الشخصية الربانية، كما يريد توضيح كيفية اتجاه الانسان الى الله. فموضوع النضال في الأدب الأومانى يبين سعي الانسان لحفظ وجوده أوالحفاظ على ماهيته القائمة، بينما يهدف النضال في الأدب الاسلامي الى انهاء الوضع القائم للانسان بل وحتى انهاء ماهيته القائمة والوصول الى كيفية أفضل.

و يقوم الأدب الاسلامي على؛

أولاً: يرى أن الله عزّوجلّ محور جميع الأشياء في الوجود.

ثانياً: التأكيد على الحركة في الوجود.

ثالثاً: اعتبار هذه الحركة، حركة جوهرية نحو الله، لاحركة ظاهرية تقوم بتنظيم الظواهر بشكل سطحي.

وهذا لايعني أنّ تتبدل القصة الاسلامية مثلاً الى مقال لإرادة وجود الله، بل انّ الحديث يدور حول وجوب كون الأسلوب التوحيدي في جميع اجزاء القصة، دليلاً على اسلامية القصة، لاعلى كون كاتبها مسلماً.

وكان يوجد الى جانب هذا النهج الانحرافي خلال القرن الأخير، نهج ذهني خاطىء وخاصة في الأدب الشرقي* وهذا النهج المادي، يمنح الأصالة للظروف، بل و يعتبر الانسان، من الظواهر المادية. ومع انه يقف في قبال النهج الأوماني، غير انه يتشابه معه من حيث النقص وكونه خاطئاً. فهو ناقص لأنّ وجود الله لامكان له في هذا النهج، وخاطىء لانه يعتبر الوجود منفصلاً عن الله وانه يتحرك من تلقاء نفسه.

وهذا النوع من الأدب الذي ليس له من الالتزام إلا ادعائه، يعتبر جميع الأشياء، حصيلة العوامل العمياء والجبرية، ولايرى للانسان اي دور عدا اعتباره عاملاً من مجموعة العوامل المحركة للتاريخ.

و يقوم الأدب والفن الشرقيان بترويج مجموع فلسفتها المادية غير المنطقية وذلك من خلال استغلال حاجة الانسان المعنوية. كما وأنهما يقومان خلافاً لفلسفتها الجبرية، بتحريك الناس وتشجيعهم للعمل ضد النظم السائدة. و يتحدث كُتّاب القصة الذين يحملون هذه المبادىء عن الجبر لكنهم يتوقعون من القارىء ان يكون عاملاً ذا اختيار. وهكذا فانهم يقيمون جميع نشاطاتهم في تحريك العواطف على مثل هذا الأساس.

واذا كانت هناك آلاف التناقضات في الفلسفة المادية، فان التناقضات العلنية وغير العلنية بين الفلسفة المادية والأدب المادي بدرجة بحيث ان ماركس وغوركي يعجزان عن تبريرها. فالسبب الرئيسي للتناقض الماثل القائم بين الأدب والفن من جهة والفلسفة المادية من جهة أخرى يكمن في أنّ الأدباء والفنانين اضطروا لتجاهل المقاييس المعنوية رغماً عن ميولهم الباطنية.

وفي نفس الوقت فان هذا النوع من الأدب انطلاقاً من عدائه الكبير للدين والخالق، يعادي الأدب الاسلامي اكثر مما يعاديه الأدب الغربي. فالأدب المادي الملحد اذا كان قد قام لحد الآن بمعاداة الشاه فان عداءه لله كان أشدّ من ذلك وأقوى.

و يشكل الأدب الاسلامي عند الشخص المسلم الذي يرى جميع الأشياء وسيلة للمضي نحو الله، سبيلاً من السبل التي تؤدي الى الله. ولهذا فان مواضيع الفن والأدب (بما فيها القصة الاسلامية) لا تعتبر الله الا ولا وخصوصاً فحسب بل تقوم عند تناولها لقاء ، من الظواهر بتوضيح خلفيتها الالهية أيضاً.

فالقصة الاسلامية تبحث عن الله في الموضوع (الفكرة) وفي عملية طرح الموضوع.

العبرة والتفكر:

إنّ الأدب والفن باعتبارهما وسيلة تستخدمها جميع المدارس الفكرية، يبحثان على الدوام عن شيء أسمى منهما، وان القالب الأدبي ومايسمى بـ (الفن في خدمة الفن) هما نتيجة منطقية للانحراف عن الأدب الهادف. أمّا العناصر الرئيسية لهذا النهج الانحرافي في الأدب فتتمثل بقوتين رئيسيتين:

١ ــ الطاقات الأدبية التي اكتشفت استعدادها الأدبي وظلت عاجزة عن اكتشاف فلسفة وجودها ومكانتها في الوجود.

٢ ــ الطاقات الضائعة لبعض المدارس الفكرية التي استخدمت الأدب كمخدر و وسيلة للهو والنسيان.

اضافة الى ذلك يمكن اعتبار هذه الطاقات

* ــ الشرقي: بمعنى الاستعمار الشرقي.

عاملاً مؤثراً في خلق الأساليب الأدبية والفنية الحديثة.

على سبيل المثال ان الرمزية كأسلوب، اذا كانت ناشئة من الظروف التي لايمكن معها التحدث بصراحة، أوناشئة من تعدد أبعاد الموضوع وعمقه. فلايمكن مطلقاً تجاهل دور الأشخاص الذين كانوا يبرعون اثناء استعداداتهم الأدبية والفنية باستخدام هذا الأسلوب، لكن بعيداً عن تلك الظروف وذلك الموضوع. ونحن لايهمنا الجدل الذي كان قائماً منذ ... ولايزال حول القوالب والمحتوى أو المقالات التي كتبت لحد اليوم لرفض عملية الانفتاح على القوالب، لأنَّ الحديث يدور حول الدرجة والمدة التي ابتليت بها الناتجات الأدبية بمسألة القوالب التي لم تهدف في النهاية إلاَّ الى نفسها.

وقبل التعرف على نظر الإسلام ازاء اللجوء الى القوالب، يلزم الإشارة الى العامل الذي يجر الفنانين الى هذه اللعبة العابثة.

نقصد هنا انه لايعدو الذين كثير من الكُتَّاب الذين لهم نظرة كونية محدودة ولايتجاوز افق رؤيتهم حدود انوفهم ولايملكون سوى (فكرتين) مُستهلكتين لاثالث لهما، سوى اللجوء الى القوالب للتأكيد على حداثة محتوى نتاجاتهم.

أمّا في الإسلام ـ هذه الرسالة الالهية التي تعمل لسمو الانسان وعلوه ـ فان كلّ الأشياء تمثل وسيلة لتحقيق السمو والعلو. ولذلك فان الأدب واعيا يطرحان نفسيهما كسبل من السُبل المؤدية الى الله.

ومع أنَّ الأدب الاسلامي يؤكد على ضرورة استخدام المهارة، ولايعتبر الأدب أدباً مالم تُراع فيه المسائل الفنية، إلاَّ انه يعتبر الدخول في لعبة القوالب، عبثاً ومتاهة لاغير وهذه الميزة ليست من شأن المدرسة الاسلامية فحسب إذ ان أي أدب مُستلهم من المدارس الهادفة اذا يقبل القالب فيما اذا رأى فيه دعماً للمحتوى المغني.

و يشير الله في القرآن الكريم الى العِبَر الكامنة في قصص هذا الكتاب بحيث ان القارىء يتأمل فيها بعد انتهائه من قراءتها.

والعبرة لها معان متعددة. ومن جملة المعاني العامة والرئيسية، العبور من الظاهر الى الباطن كعبرة في القصة. لذلك يلزم على الكُتَّاب المسلمين عند طرحهم للقصص، الأخذ بنظر الاعتبار دور العِبْرَة في كل كلمة من كلمات القصة. واضافة الى ذلك يجب ان يكون الموضوع المنتخب قادراً لاستيعاب العِبَر. ولهذا السبب فان المواضيع العامة مثل؛ النضال والفقر لكي تكون انطلاقة و بذرة في قصة اسلامية، فان عليها ان تتبدل، على سبيل المثال يمكن استخدامها بالصور التالية:

الفقر ميزة في حياة الانسان الثوري المسلم.

الفقر المعنوي أسوأ من الفقر المادي.

الفقر لن يستطيع لوحده أنْ يؤدي الى حركه اجتماعية.

الفقر الذي يعاني منه المسلمون يجعل الانسان المسلم مسؤولاً امامه.

الفقر الاجتماعي للمسلمين ينشأ من نظام غير عادل وغير توحيدي

الفقر يُقرِّب الأشخاص من الكفر.

الفقر المادي ليس دليلاً كاملاً لارتكاب الذنب.

أمّا فيما يخص النضال فعلى سبيل المثال؛

النضال المقبول هو الذي يكون من اجل الله.

النضال الاسلامي له مميزات خاصة.

المجاهد المسلم سواء انتصر أو استشهد فهو منتصر.

وتقف الى جانب النضال الاسلامي الحق، كل القوى غير المادية.

النضال الاسلامي لاينشأ من الفقر المادي.

الجهاد الاسلامي يؤيد استخدام أي تكنيك كان.

والاّ فان نتاجات الكاتب المسلم ستبقى ناقصة اذا ماطرحت موضوعاً عاماً ومجرداً من أي خطٍ. كما وان هناك خطراً آخر وهو أن يقوم كاتب مسلم بطرح موضوع اسلامي (فكرة اسلامية) بطريقة لاإسلامية. على سبيل المثال، ان موضوع التوبة الذي هو موضوع اسلامي، يكون غير اسلامي إذا ماطرح بمثابة الانتقاد الذاتي امام الزملاء أو بمثابة الاعتراف بالذنب امام القس.

وسنشير في موضوع اسلوب طرح القصة الاسلامية الى حاجة الموضوع الاسلامي في عملية تطوره الى الظروف الذهنية المناسبة للكاتب من الناحية العقائدية.

وهنا لابُدَّ أنْ نقول؛ اذا قام كاتب مغرض أو عبر واعٍ بطرح موضوع اسلامي كالمعجزة بصورة رديئة ــ متعمداً كان أو لقلة مؤهلاته ــ فانه سيؤدي بالقارىء لاالى التأثير في عقيدته بالمعجزة فحسب بل الى إماتة جذور قبول هذه الحقيقة والى الأبد.

أمّا ادعياء الأدب والفن المتعاطفون مع الاسلام من الصميم و يستخدمون الأدب والفن الاسلاميين، فانهم يوجهون الى هذين الحقلين ضربة اكبر من الضربة التي يوجهها الأدباء والفنانون الذين يستهدفون الاسلام.

وفي جملة واحدة فان موضوع القصة الاسلامية اذا هو بشكل تظهر فيه العبرة تلقائياً و بلاحاجة الى ادعاء والتكلف في كيفية اسلوب الطرح خاصة وانه لن يبقى في ذهن القارىء بعد انتهائه من القصة سوى مسألة مبهمة أو الموضوع الرئيسي (الفكرة الرئيسية). وإلاّ فان ذهن الانسان ليس قادراً على حفظ تفاصيل القصة الى الأبد.

التأكيد على الوعي الذاتي

وهناك كلام كثير عن كيفية القصة الاسلامية. وقد قلنا لحد الآن ان القصة الاسلامية استناداً الى النظرة الكونية التوحيدية مضطرة لأنْ تأخذ على عاتقها وظيفة التوجة الى الله. ومع انه يمكن ان تقوم القصة الاسلامية ببيان حادثة على يد شخصية في مكان وزمان معينين، إلاّ ان هذا البيان يهدف الى اراءة الله وقدرته.

إن تبيين وجود الله بلغة القصة، له أبعاد متعددة، و يتوقف على قدرة كاتب القصة والسبل البيانية التي يمتلكها.

ويحاول كاتب القصة عبر قصته أنْ يُبيّنَ وجود الله كخالقٍ ومُسيِّرٍ للوجود والذي تنشأمنه جميع الأمور و ترجع اليه، أو انه يريد تبيين وجود الله من خلال التأكيد على العلاقة اللامادية أو التأكيد على عامل غير ملموس يلعب دوراً في تكوين الحادثة.

أمّا الميزة الأخرى للقصة الاسلامية فتتمثل بايجاد الوعي الذاتي. إذْ ان الإسلام يهدف الى تطوير الإنسان و سموّه، بل وحتى يعتبر التحول في المجتمع كأساس ملائم لهذا التطوير. لذلك فانه يؤكد على الوعي الذاتي اكثر من التوعية.

وانّ الأدب السياسي السابق المسمى بالملتزم، سواء في ايران أو في العالم ركّز كثيراً على توعية الجماهير ازاء الاوضاع التي تعيشها، إذ تصوّر هؤلاء ان عدم انتفاض الجماهير بوجه الانظمة الطاغوتية إنّما هو لعدم وعيها. ولذلك فانهم اقاموا ثورات مستمرة وعلى صفحات كتبهم ــ طبعاً ــ وذلك من خلال تحجيم مسائل دولة ما في نطاق قرية من القرى.

وهنا يجب أنْ نقول إنّ الأدب الاسلامي اينما شاهد ظلماً طبقياً أوسياسياً غير انساني فانه سيأخذ

على عاتقه مسؤولية توعية الجماهير. لكنه لايتوقع ان تتحرك الجماهير نتيجةً لهذه التوعية فقط.

وهناك مسألة أخرى و هي انه لا تبدأ حركة تاريخية حتى ولو توفرت لها الظروف الواقعية للتعسف والظلم و تفهمت الجماهير الاوضاع التي تعيشها، ذلك ان الحركة التاريخية تتوقف على عوامل مؤثرة من مثل؛ ثقة الجماهير بنفسها و بقيادتها و بالأساليب النضالية الشائعة، واستعدادها للتضحية. وهذه العوامل لا تنشأ من التوعية المجردة بل انها تستلزم الوعي الذاتي و بناء الانسان لنفسه. على سبيل المثال ان الشعب الايراني عندما انتفض في الخمسينات، ثم لزم الصمت مدة عشر سنوات، بعدها انتفض في عام ١٩٦٣، ومرة أخرى سكتت اغلبية الجماهير... فلا يعني ان الشعب الايراني فقد وعيه بعد انقلاب عام ١٩٥٣ وانتفاضة عام ١٩٦٣، كما ولا يعني ان النظام البائد كان قد قتل جميع الفئات الواعية. بل ان سبب ذلك السكوت يكمن في خوف الناس وحبّهم للدنيا وعدم استعدادهم للتضحية سواء لعدم ثقتهم بالقيادات المنحرفة للحركات النضالية أو بسبب ضياعهم و يأسهم من النتائج التي اسفرت عنها التجارب النضالية السابقة أو بسبب الأهواء النفسانية التي دعتهم لعدم المشاركة في النضال.

فالقاص المسلم مثل بقية الفنانين المسلمين ملزم في مثل هذه الظروف بالقيام من خلال دراسة دقيقة للظروف التاريخية والاجتماعية لابناء وطنه بتبديل اليأس القائم الى أملٍ والبحث عن الطريق الضائع وارشاد الناس اليه وايجاد الوعي الذاتي في نفوس المتشظين بأنفسهم لاستعادة رشدهم.

ويجب على كاتب القصة الاسلامي ـ في جميع الأحوال ـ ان لاينسى مسألة ايجاد الوعي الذاتي الى جانب حملة التوعية التي يقوم بها. وهذا مايجب ان يتحقق قبل الحركة. كما أنّ الأدب والفن بتأكيدهما على هذه الميزة (ايجاد الوعي الذاتي) يقومان بضمان الثورات من الانحراف عن مسارها بعد التحرك.

وبهذا سيقوم الكاتب الاسلامي جنباً الى جنب بقية المجاهدين المخلصين للإسلام بدوره الهام سواء في توعية الناس أو خلق الوعي الذاتي في نفوس الجماهير وطلائعها المتقدمة اثناء اجتيازها للمزالق والمنعطفات.

ولو أردنا معالجة الأمور بسذاجة واعتبرنا مايُسمى بالأدب السياسي خلال الأعوام الخمسين الماضية، مساهماً في تكوين الثورة ـ و على الأقل في نطاق القطاع غير الشعبي ـ فعلينا كذلك ان نحمل مسؤولية كل ماأصاب الثورة الاسلامية من المشاكل والنقائص والتلكؤ من جانب بعض الفئات على عاتق مثل هذا الأدب.

والآن لنسأل: هل ان حصيلة قصص بعض الكُتّاب أمثال؛ محمود دولت آبادي[1] وغلام حسين ساعدي[2] وجمال ميرصادقي[3] ورضا براهني[4] و... الخ ستكون شيئاً آخر غير خلق حفنة من الماوبين و المنافقين والعملاء؟

وتستطيع القصة الاسلامية أنْ تعمل بنحوٍ تشكل فيه دعماً متزايداً لاخلاص حرس الثورة في جبهات القتال، ولنشاط العامل الذي يتحرك بدوافع معنوية، وللمسؤوليات المتزايدة لمسؤول حكومي.

والأدب الاسلامي سيف ذوحدين، إذيجب استخدامه لمحاربة الكفر والنفاق والارتداد من جهة ولمحاربة الأهواء النفسية من جهة اخرى.

١، ٢، ٣، ٤... هؤلاء هم من ادعياء الثقافة اليسارية (المترجم).

إنَّ الرسالة التي تعتبر التقوى ملاكاً لتكريم الانسان عندالله، لا تعترف باسلامية قصةٍ ما، مالم توفر تلك القصة الأجواء الثقافية الملائمة لمثل هذا التحول الاخلاقي من خلال ايجاد الوعي الذاتي.

و يتضح دور القصة الاسلامية في ايجاد الوعي الذاتي في نفوس الناس اذا ماعلمنا بان الانسان موجود يعاني من مرض النسيان حيث يمكن في أية لحظة أنْ ينسى جميع ما تعلّمه لبناء نفسه.

و على هذا الأساس تستطيع القصة الإسلامية ان تقوم على الدوام بفضح التيارات والانظمة الطاغوتية والمنحرفة، ولوم النفس على تصرفاتها.

ويجب على القصة الاسلامية ان ترفض التبريرات النفسية، والتي يعبر عنها القرآن الكريم؛ «بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره».

وخلاصة القول؛ انه ليس من الضروري ان تكون القصة الاسلامية علماً، بل انها تستطيع ان تنبه و تذكّر، وهذا لايعني أنْ يتبدل التنبيه في القالب الأدبي الى مجموعة من النصائح التي يعطيها الآباء والامهات لابنائهم!

الطرح السليم للمفاهيم والأحكام:

والقصة كبقية الفنون الأخرى لعبت ــ على الدوام ــ دوراً في التسجيل الأدبي للتاريخ. ولو أراد أي شخص في المستقبل ان يراجع الكتب والمصادر الأخرى للتعرف على ماحدث في الماضي فانه سيواجه صعوبات جمّة. لذلك فان البعض اذا راجع الأدب والفن فانه سيتعرف على ماهية التاريخ باسلوب لطيف. و بالرغم من أنَّ عدد هذه الكتب ضئيل جداً إلاَّ اننا ــ على الأقل ــ نملك قصة حول (كشف الحجاب) بقلم جلال آل احمد[1]. كما وتوجد لدينا بعض القصص عن اوضاع البلاد قبل انقلاب عام ١٩٥٣، ثم ان كتاب القصة المسلمين كتبوا قصصاً حول الثورة الاسلامية، والحرب المفروضة، والمؤامرات التي تُحاك في اقليم كردستان، واحتلال الوكر التجسسي الامريكي، واستشهاد حرس الثورة الاسلامية والمجاهدين الآخرين.

أمّا تأثير هذه القصص، والأشعار، والأناشيد، والافلام، والمسرحيات و... الخ، فيكمن في عدة اشياء، منها؛

١ــ تشجيع الجيل المعاصر والاعراب عن التقدير للذين بذلوا الجهود في طريق الحق.

٢ــ تعليم و تربية اطفال الجيل الراهن.

٣ــ تسجيل التاريخ تسجيلاً فنياً لحفظه الى الأجيال القادمة.

٤ــ اعطاء الدروس للقادمين و بقية شعوب العالم.

وطبيعي انه على الأدباء والفنانين ان يُسجّلوا المفاهيم الاسلامية وهم يشاهدون ظروف صدها لكن هذا التسجيل يشكل نصف المهمة. فعملا الأدب والفن الاسلاميين لايتمثل بتسجيل اللحظات فحسب، بل و طرح المفاهيم الاسلامية باسلوب صحيح و ذلك للحد من الانحراف في الأفكار والتفكير الالتقاطي.

وتستطيع القصة الاسلامية أنْ تتناول؛ التوحيد، والعدل، والقيامة، والغيب، والشهادة، والنبوة، والمعجزة، والتوكل و... الخ بلغة حية وعاطفية و باسلوب بسيط، وأن توجد الايمان في نفوس الجيل الراهن ازاء صحة تلك المسائل. كما وانها تستطيع بل يجب عليها ان تقوم على اساس

١ــ جلال آل احمد كاتب ايراني له قصص وكتب كثيرة

اسلوب صحيح بتعليم الأحكام وفلسفتها و كيفية تطبيقها وسبل الاستفادة منها، وعلى سبيل المثال انها تستطيع ان توضح و تُبيِّن الجهاد وعمل مجاهد الاسلام والستراتيجية والتكتيك الصحيحين في الجهاد الاسلامي وحدودهما، وطريق النصر و كيفية استخدام الطاقات الالهية في الجهاد الاسلامي و.. الخ. و يتوقف طرح تلك المسائل على القدرة الأدبية للشخص وذوقه. لكنَّ المهم هنا هو انَّ طرح المفاهيم والأحكام الاسلامية يجب أنْ لا يتعدى نطاق القوالب الأدبية المعنية لكي لا تتبدل القصص الى مقالات علمية ـ فلسفية. ومن جهة أخرى فان مجموع الأدب والفن الاسلاميين يلزم أنْ لا يتبدل الى تسجيل وقائع الثورة الإسلامية، ذلك انه يمكن بسهولة تبيين وجود الاسلام أو عدم وجوده حتى في غرفة صغيرة كما لو تم هذا العمل في الجبهة. و يلزم أيضاً معرفة الحقيقة التالية وهي ان القصص التي تكتب في هذه الأيام تؤكد على الشهداء اكثر من تأكيدها على مفهوم الشهادة. لكن لم يُكتب شيء لحد الآن حول لحظات تأمل شهيد حي في عالم الآخرة، والوصول الى يقين وانتخاب شهيد في اللحظات الاخيرة، والعلاقة القائمة بين الشهيد والخالق في هذه الدنيا، وعدم موت الشهداء، والسكينة التي يحصلون عليها. حتى ان عدم موت الشهداء قد استعمل بمفهومه التاريخي (اي عندما يستشهد احد الأشخاص فإنَّ اشخاصاً آخرين سيحلُّون محلَّه) أو يتم الاعراب عن التقدير للشهداء الذين ضحوا بحياتهم، واكثر من ذلك توصيف عملية استشهاد الشهداء على يد المنافقين والكُفّار.

إن هو الدرب

مصطفى الغماري

على جرح «قُمٍ» يضيء الدم
لنا الكرم والظل والموسم

لنا الله.. فانتحري يارمال
لك «اللات» والجوع والمعلقم!

لنا السيف يشرق بُغْدَ جهادٍ
وان أرعد الكافر المجرم!

على جرح «قم» تضجّي الورود
وهيهات هيهات تستسلم

تضم الجراح بأجفانها
كما ضم قرآنه المسلم

وتهواك ... يا آية الله سيفا
هو الوعد إن أحجموا يقدم..

على «سيف سعد» تشيح وجوه
هلامية.. ينتخي «عفلق»!

يعاقره الليل رؤيا بسفاء
فيسكر «ضدّامُه» الأزرق

ويوقظه الرعب دعوى نفاق
وسوق النفاق بهم تنفق!

هم الرمز حُجّاجُهُمْ مايزال
يُجنّ به الزورق الأحمق

يلوذ به كل «شيخ» دعي
هو الجنس والكأس والبيدق!

وفي كل حان لديه مقام
يحلّق في الوهم أو يعرق!

***

لهم في حمى «قم» ألف سبيل
وليس لهم في «اليهود» سبيل

ولا عجبٌ حين تكفر «سينا»!
ويرفض شوقَ المزادات «نيل»!

لقد أوغلوا في الضلال.. فكانوا
كأوهامهم .. ثورة من طبول!

يلملمها في المجالس غدر
ويلهو بها في الكراسي دخيل!

أمـــا آن أن تـــشـــأري يـادروبـي
فكـم طـال بـاسـم «الـعـروبـات» قـيـل!!

امـــا آن أن تـــشـــرئـــب الجـــراح..
فـكـم سـال دمـع.. وجُـن الـعـويـل!

تـسـأمـــل.. نـــر الـــورد تجنى عـــلـــيـــه
يـــد زعـــمـــوا أنهـــا يـــعـــربـــيـــة

ومـــن نـــســـل «قـــحـــطـــان» أيُّ انتماء؟
يـــصـــيـــرالـبـديـل بـه الجـاهـلـيـه؟

وقـــد زعـــمـــوا أن طـــهـــران «فـــرس»!
كـــأن دمـــاء الـــعـــراق الـــنـــقـــيـــة!

يـــشـــيـــرون عبر الـعـشـــائـــر حـــقـــدا
و ديـــن الـــعـــشـــائـــر ديـــن الحـــمـــيـــة!

وعـــاهـــر «نجـــد» يـــعـــاقـــر «نجـــسـداً»
و يـــــكـــر بـــالـــرؤيـــة الـــقـــرمـــطـــيـــة؟

لـــقـــد حـــمـــلـــوا بـــاســـم قـحـطـان دعـوى!
كـــأن انـــتـــســـاب الـــشـــعـــوب الـــقـــضـــيـــة

الا يـســأن.. يـــا مـــكـــة الـــســـفـــاتحين
فـكـم سـاد بـاسـم الجـيـاع اسـتـلاب!

مـــلـــوك مـــمـــالـــيـــك... مـــا تُـــوِّجُـــوا
لمجـــد... وكـــم تـــاجـــروا بـــالـــكـــتـــاب!

لقد فتحوا فيك باباً... وبابا
فللعهر باب،، وللطهر باب!

تسابيحهم للدنانير.. تزجى
سراعاً.. وللجائعين التراب!

وأيامهم للجواري لعبال
وأعمارهم رحلة في السراب

ويا «قم» قد أرجفوا بالدعاوى
وللغدر ظفر... وللصمت ناب

وباسم الكتاب ارادوك سوءاً
وفيك. وما يجهلون.. الكتاب

***

يحار على شفتيهم سؤال
بليد.. وكان الإمام الجواب!

برغم التآمر نبقين رمزاً
وتبقين رغم الخطوب الشباب

مداك بأعماقنا... مورق
فورد وعطر وظل و غاب

وأيامك الخضر سيف ضياء
يثور على حاصدي الإغتراب!

أمان هو الدرب...

يا ثورة من الفتح...
يسرعى خطاها «الكتاب»

أمة الفتح

عضو المكتب الأعلى للثورة الإسلامية في العراق

شاعر الإسلام

أُمَّتي هَلِّلي بِوَجْهِ الصَّبَاحِ ... إنَّ فَيْضَ الشُّعاعِ فَيْضُ جِراحي
وَاحْضُنِي الفَجْرَ ثَوْرَةً وَاقْتِحاما ... شَتَّهُ فِتْيَةُ الهُدى والصَّلاحِ
قَدْ سَرَيْنَا والكُفْرُ جُنْدُ ظَلامٍ ... فَهَزَمْناهُ سَحْرَ بِفَجْرِ الصِّفاحِ
وَحَدَوْنَا الرَّكْبَ المُعِدَّ إلى الفَتـ ... ـحِ بِعَزْمٍ مُكَلَّلٍ بِالنَّجاحِ
وَمَشَيْنَا بِالتَّضْحِياتِ نَشاوَى ... أَيْنَ مِنْها تَرَنُّحُ الأَقْداحِ
وَارْتَقَيْنا إلى المَعالي سَبِيلاً ... سَوْفَ تَبْقَى المُثُولَةُ لِلكِفاحِ
وَأَعَدْنَا المَجْدَ التَّلِيدَ ظَرِيفاً ... بِفِداءِ الأَمْوالِ وَالأَرْواحِ
كُلُّ شَيْءٍ فِي اللهِ عَذْبٌ وَلَوْ ... كَانَ بِحَدِّ السُّيُوفِ وَالأَرْماحِ
قَدْ عَشِقْنَا سَبِيلَهُ ولِقاهُ ... وَتَنادَى شَبابُنا لِلرَّواحِ

☆☆☆

أُمَّتي هَلِّلِي لِعَصْفِ الرِّياحِ ... إنَّها صَرْخَةُ الشُّعُوبِ الطِّماحِ
قَدْ تَشَكَّتْ ظُلْمَ الطُّغاةِ فَثارَتْ ... فِي وُجُوهِ الحُكّامِ كَالأَشْباحِ
وَتَنادَتْ يَا لَلْجِهادِ وَهَبَّتْ ... هَبَّةَ الأُسْدِ فِي عَرِينِ البِطاحِ
وَتَحَدَّتْ غُفْرَ السُّجُونِ وَهَدَّتْ ... فَوْقَ سَجّانِها عُرُوشَ السِّفاحِ
أَمْسِ وَلَّى الشّاهُ الخَلِيعُ لِيَجْزِي ... جَرَّ «سادَاتَهُ» المَهِينَ المَجَناحِ
وَهُوَ اليَوْمَ مَاسِكٌ بِثَلابِيـ ... ـبِ صَدّامِ الخَنَا السَّفّاحِ
هَكَذا مَصْرَعُ الطُّغاةِ وَحَتْمٌ ... وَانْفِضاحٌ وَلَعْنَةُ الافْتِضاحِ
أُمَّتِي هَلِّلِي فَهذا أَوانٌ ... فِيهِ ثارَتْ مُسْتَنْزَفاتُ الجِراحِ
أُمَّةَ الفَتْحِ فالشُّعُوبُ انْتِظارٌ ... وَاشْتِياقٌ لِوَجْهِكِ الوَضّاحِ

مفهوم الوحدة

ابوجهاد

مفهوم الوحدة عندالاسلام يتباين تماماً مع ما يعبر عنه الآخرون الذين لاصلة لهم بالاسلام.

فالماركسيون يدعون الى وحدة العمال فقط! و يؤكدون ان وحدة العمال، كفيلة بازالة الطبقات الأخرى لإقامة مجتمع لاطبقي.

لكن ما هي الأهداف الأخرى ــ عدا إقامة مجتمع لاطبقي ــ التي تكمن وراء مثل هذه الوحدة؟

هذا النوع من الوحدة يفتقر الى الأهداف السامية، ويحمل في طياته أهدافاً مادية محضة. فهي على هذا الأساس لا تتفق مع مايصبو اليه الاسلام.

وهناك من يدعون لإقامة وحدة قومية أو سياسية دون أن يذهبوا اكثر من ذلك، لانهم لايدركون الوحدة الحقيقية التي ينادي بها الاسلام.

والوحدة عندالاسلام أمرٌ مقدّس لايمكن الاستغناء عنه مطلقاً لأنّ القرآن أوصى بذلك في اكثر آياته.

يقول سبحانه عزّوَجَلّ: **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا.**

وفي هذه الآية يدعو أفراد البشر ليوحدوا قلوبهم تحت راية الاسلام و يتجنبوا التفرقة لكي لايكون بمقدور الشياطين النيل منهم.

والثورة الإسلامية الايرانية بقيادة مرجع الأمة الامام الخميني دعت منذ انطلاقتها الأولى الى وحدة المسلمين العملية من اجل إقامة المجتمع الاسلامي الموحد القوي لتحطيم قوى الكفر والشرك والفساد، واخراج الناس من الظلمات الى النور، من ظلم الطواغيت والشياطين الذين لايستطيعون البقاء إلاّ عندما تكون الأمة الاسلامية ممزقة، ذلك ان وحدة

الأمة الاسلامية يعني دمارهؤلاء.

إنَّ اعداء الاسلام يبذلون مابوسعهم لبث التفرقة بين المسلمين من أجل اضعافهم، ومن ثم محقهم، أوعلى الأقل السيطرة عليهم بهدف استغلالهم وجرّهم نحوالانحطاط وفصلهم عن الدين الاسلامي وتشجيعهم بمختلف الوسائل على الشرك بالله.

إذن، فالوحدة ضرورة حتمية، وسبيل للنجاة، وان انعدامها يعني فناء الاسلام، بينما وجودها يشكل خطراً على المستكبرين الذين لايفكرون سوى بدنياهم و يفتقرون الى أبسط القيم الانسانية. فهؤلاء الأعداء يخشون الوحدة الإسلامية لانهم يعلمون جيداً ان مصيرهم يرتبط بوحدة المسلمين، فان تحققت هذه الوحدة فلا وجود لهم حينذاك.

«واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدو الله وعدوكم»ـ الانفال: ٦١ـ

إن الامير يالين والصهاينة قاموا بما يحلو لهم في فلسطين ولبنان حيث قتلوا نفوساً بريئة وهدموا بيوت المستضعفين، كما وانهم يواصلون جرائمهم بحق الشعوب المستضعفة وخاصة الشعب الايراني الذي لايرى يد السجود امام أي كان سوى البارئ تعالى. و يواصل هؤلاء القتلة اضطهادهم لإخواننا المسلمين في افغانستان.

ومنذ وقت طويل ولحد اليوم تواجه الأمة الاسلامية تحديات شرسة وتتعرض في كل لحظة لمؤامرات اعداء الاسلام.

لكن لماذا لايستطيع المسلمون الدفاع عن أنفسهم امام تلك الجرائم والمخططات؟

لانهم متفرقون ومشتتون، و لأنَّ اكثر حكامهم ليسوا سوى عملاء للمستكبرين.

فعندما تكون الأمة الاسلامية مشتتة، يكون بمقدور المستكبرين ان يفعلوا كل شيء... ان يقتلوا... وان يستغلوا... وان يستعبدوا و... الخ.

لقد كانت الأمة الإسلامية، أمةً واحدة ترهب اعداء الله، غيران هؤلاء لم يضعوا يدأعلى يد، بل استخدموا كافة الأساليب لبث التفرقة بينها... واستطاعوا بالفعل ان يمزّقوا تلك الأمة العظيمة وان يلعبوا بها كيفما يشاءون.

ومستلزمات الوحدة الاسلامية كثيرة ان انعدمت واحدة منها لم تكن الوحدة كاملة. والايمان يُعدُّ من أكبر المستلزمات. لكن الايمان بأي شيء؟

الايمان الحقيقي بالله و رسوله والقرآن. فعندما توفر مثل هذا الايمان لدى كافة المسلمين فان قلوبهم ستتقارب من تلقاء نفسها وإلاَّ فان الادعاء بالاسلام لن يكفي مطلقاً ولن يكون علاجاً.

«الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجهم من النور الى الظلمات»ـ (البقرة:٢٥٨).

وعندما أعلن سماحة آية الله العظمى المنتظري عن «اسبوع الوحدة» فان اكثر المسلمين اعلنوا تأييدهم لهذا الأمر، وشعروا بمسؤوليتهم الخطيرة. لكن الامير يالية الامر يكية والصهيونية العالمية والمشركين والمنافقين واكثر حكام الشعوب الاسلامية بدأوا يوجهون الاتهامات تلو الأخرى. فمرة قالوا ان الدعوة للوحدة من جانب ايران كانت تكتيكية.... و بعبارة أخرى جاءت من أجل الحصول على مؤيدين للثورة الاسلامية الايرانية في الدول الاسلامية والتأكيد على ان النظام الاسلامي همّه الاسلام لاشيء آخر.

و بما ان «اسبوع الوحدة» يُصادف المولد النبوي الشريف فانهم قالوا ان الاحتفال بالمولد النبوي شرك!

ومتى كان الاحتفال بميلاد النبي الأكرم(ص) شركاً؟!

واذا كان هذا الأمر شركاً فاذا يسمون عدم انهم للصهاينة اعداء الله؟ وكيف يبررون حوقهم من الامبر يالية العالمية والسجود لها و يتركون مصيرهم للشياطين؟

«في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون» ـ (البقرة: ١١)

لقد حاول اعداء الاسلام ان يبثوا التفرقة بين الجماهير المسلمة في ايران. فلما توصلوا الى هذه النتيجة وهي انه لايمكن القضاء على الثورة الاسلامية الايرانية إلاّ من خلال طرح جملة من المسائل من مثل مسألة الشيعة والسنة والقوميات لتفريق المسلمين بغية اضعافهم ومن ثم القضاء على الثورة الاسلامية فانهم بدأوا يحيكون المؤامرات والدسائس، لكنها باءت بالفشل حيث وقف الباري سبحانه وتعالى الى جانب الشعب الايراني المسلم من خلال تقوية الايمان في نفوس أفراد هذا الشعب.

واليوم يحاول أعداء الاسلام ان يوجدوا خلافات بين الشعب الايراني المسلم و بين الشعوب الاسلامية الأخرى، كما انهم يبذلون مابوسعهم لتحقيق هذا الغرض.

إذن فالمطلوب علينا نحن المسلمين من أي قومية ومذهب كُنّا ان نكون يداً واحدة تحت راية الاسلام. فالاسلام يريدمنّا أنْ نكون اخوة وان نخرج من إطار الأفكار الضيقة... أنْ نكون قدرة كبيرة لتحطم معاقل الكفر والشرك والنفاق ونشر التعاليم الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها. وعلينا ان نعي واقع الأمة الاسلامية بشكل جيد بغية وضع السبل الكفيلة لتغيير واقعها المأساوي، واقع هذه الأمة التي تتعرض في عصرنا هذا لشتى انواع الإهانات والضربات. هذه الأمة التي سلّط المستكبرون والشياطين حكاماً قذرين عليها ليجروها الى الانحطاط و يغرقوها في الفساد و يذلوها.

لقد نصح الإمام الخميني هؤلاء الحُكّام مراراً ودعاهم للعودة الى الصراط المستقيم مؤكداً ان اسيادهم لن ينقذوهم عندما تثور الشعوب الاسلامية ضدهم.

نعم ايها الحكام؛ ان هؤلاء الذين تعتقدون انهم قادرون على انقاذكم، لايستطيعون ان يدافعوا عن أنفسهم، فكيف يستطيعون الدفاع عنكم؟ وما الذي استطاعت ان تفعله الامبر يالية الامر يكية عندما احتل طلبتنا المسلمون الوكر التجسسي الامر يكي في طهران غيران قامت بمصادرة الأموال الايرانية في مصارفها؟!!

«والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون» ـ (الاعراف: ١٩٨)

و إذا أصرَّ هؤلاء الحكام على مواقفهم المتعنتة فان الاوضاع سوف لن تستمر هكذا، حيث ان الشعوب الاسلامية بدأت تعي مسؤوليتها، وهي الآن مصممة أكثر من أي وقت مضى لإزالة كل الموانع التي تقف حجر عثرة في طريق الاسلام. إلاّ ان الأمر المهم في هذا التغيير هو إتحاد الأمة الاسلامية، و إلافان جميع محاولتنا ستواجه الفشل و يواصل المستكبرون استعبادهم لنا:

«الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولوا الألباب» ـ (الزمر: ٩)

فالى الوحدة ايها المسلمون... ولنعمل سوية في سبيل إقامة المجتمع الاسلامي المنشود...

بريد التوحيد

ترحب مجلة التوحيد بأي انتقاد ورأي واقتراح من جانب القراء الأعزة وتبدي استعدادها للردّ على الاسئلة المطروحة عليها.

● من اميركا كتب الينا الأخ عبدالله آل داود يقول:

■ وصلتنا مجلتكم التوحيد و سررنا بمواضيعها الجيدة واننا ندعو الله ان يوفقكم لنشر الفكر الاسلامي وتوعية الأمة الاسلامية.

● و يقول الأخ حسن حسين حبش من البرازيل:

■ وصلتني مجلة التوحيد وعسى ان تكون خاتمة التوحيد الى كلمة المسلمين و جمع صفوفهم واني اشكركم على مجهوداتكم المبذولة في سبيل الإسلام واعلاء كلمة الحق.

● ومن منظمة الطلبة المسلمين في اميركا وصلتنا رسالة جاء في جانب منها.

■ نهديكم أفضل الأشواق والتهاني لإصداركم المجلة الغراء «التوحيد» ومما يدخل السرور والارتياح الى النفس، المواضيع القيمة التي تحتويها والمتعلقة بشؤون الساعة والنشاطات والمهام الحيوية المتعلقة بالانسانية في عصرنا الراهن. دمتم لخدمة الاسلام والمسلمين.

● ومن ايطاليا كتب الأخ التونسي ـ محمد ابو ياسر ـ في رسالته:

■ ان الصحافة الاسلامية تفتقر كثيراً الى هذا النوع من المجلات، كان سروري عظيماً وأنا اتصفح العدد الأول من مجلتكم ومجلة جميع المسلمين «التوحيد» والتي كتب لها الله سبحانه الظهور مع الاحتفال بمولد الرسول الأكرم(ص) ومع أسبوع الوحدة المبارك الذي دعا له الفقيه المجاهد آية الله المنتظري...

● اما الأخ ابواحمد من برلين فيقول:

■ تمتاز هذه المجلة على غيرها من المجلات الأخرى بالفكر الاسلامي الأصيل وسعيها لمجابهة الكفر والاستعمار العالمي. ونسأل الله عزوجل ان يمدّ من عمرها. ونحن هنا نقوم بشؤون يعمها على الأخوة. لذلك نرجو التفضل بارسال عدد اكثر حيث لا تكفي نسخة واحدة.

● ومن باكستان بعث لنا الأخ محمد علي عميد جامعة اهل البيت رسالة قال فيها:

■ تسلمنا مجلتكم الغراء (التوحيد) بكل فخر واعتزاز. كثيراً ما كنت اتمنى بعد قيام الثورة الاسلامية في ايران ان يتم اصدار مجلة علمية هادفة تحتل المكانة الأولى في العالم الاسلامي علماً وفكراً و معرفة وعمقاً ترشد انسان القرن العشرين الى المبادىء الاسلامية البناءة ولقد وجدت امنيتي في مجلتكم ولله الشكر.

● وكتب الينا الأخ محمد الربيعي من برلين يقول:

■ و بعد... فقد وصلتنا مجلة التوحيد فقرأناها بشغف ونهم فوجدنا في كثير من موضوعاتها، ضالتنا وما ننشده من الاطلاع على هذا الجانب أو ذاك باقلام يشهد لها بالعلم والفضيلة سارت على نهج قويم في البحث والتنقيب مبني على الرزانة والموضوعية فهنيئاً لكم ولكل المسلمين بهذا المولود الجديد راجين الباري عزوجل ان يوفقكم لما فيه خير الاسلام والمسلمين خاصة في هذا الوقت العصيب حيث اندفع اعداء الاسلام بكل مايملكونه من أساليب الدجل والتضليل لتحريف الفكر الاسلامي والدس عليه.

ردود على رسائل القراء

● الأخ حسين بيان ـ المانيا الغربية ـ

نشكر الله على وصول المجلة اليك والى بقية الأخوة. واننا ارسلنا لك مجموعة من مؤلفات الشهيد بهشتي ونرجو منك الكتابة الينا باستمرار.

● الأخ حسن ـ الهند ـ

سنرسل لك اكثر من نسخة واحدة من كل عدد وعلى العنوان الجديد. اما منظمة الاعلام الاسلامي فهي في الحقيقة مركز اسلامي ثوري مستقل، وتعمل المنظمة على نشر الفكر الاسلامي الأصيل في جميع انحاء العالم وفضح المؤامرات التي تحاك على الاسلام والمسلمين وتوحيد كلمة المسلمين من خلال الكتب والمنشورات والمجلات التي تصدرها وارسال علماء الدين الى داخل وخارج البلاد بهدف توعية الجماهير المسلمة. والمنظمة تمد يد الأخوة لكافة المسلمين وتبدي استعدادها لتزويد جميع الأخوة بالكتب الدينية والرد على الأسئلة التي تطرح في المجالات المختلفة. وسوف نبث يا أخي مزيد من المعلومات حول المنظمة.

● الأخ وان يوسف وان دواد ـ ماليزيا ـ

■ نشكر عواطفك النبيلة تجاه العاملين في مجلة التوحيد وسنلبي طلباتكم اذا شاء الله.

● الأخ مهدي عطيفة ـ ايطاليا ـ

■ سنبعث الأعداد القادمة من المجلة على العنوان المرفق مع رسالتكم ونحن نشكرك على مواقفك من الثورة الاسلامية الايرانية وقائدها الامام الخميني.

● الاتحاد الاسلامي لطلبة العراق ـ فرع الهند ـ

■ نسأل الله ان يوفقكم لخدمة الاسلام والمسلمين وسنبعث المجلة اليكم باستمرار كما ونرجو تزويدنا بكل جديد يصدر عن منظمتكم.

● الاخ هيثم صباح ـ كندا ـ

■ سنحاول ارسال المجلة على عنوانك كما وانا نرحب بكل ما ترسله الينا ونشكر اهتمامك بالمجلة.

● الأخوة: حسين بيان، ورضا حاتمي، ومحمد عبدالحي ابرو، و كاظم حسين، وحافظ حبيب السندي، وابوحيدر، و طالب بكر،

■ نشكر اهتمامكم بالمجلة ونرجو الكتابة الينا باستمرار وسنقوم انشاء الله بارسال ما طلبتموه منا.

التوحيد

اسلامية ـ فكرية ـ جامعة

تصدر كل شهر بين مرة

العنوان

ايران ـ طهران ـ خيابان طالقاني ـ ايرانشهر شمالي كوچه هما ـ بلاك ٢ ـ

TEHRAN. IRAN

IRANSHAHR AVENUE

Koucheh Homa. Block 2

الكلم الطيب

أفضل الاصحاب

قيل للرسول الأكرم(ص): أيُّ الأصحاب أفضل؟

قال: مَنْ إذا ذكرت أعانك وإذا نسيت ذكرك.

وقيل: أيُّ النّاس شر:

قال: العلماء إذا فسدوا

أكمل الناس عقلاً

قال الإمام أمير المؤمنين(ع): أكمل النّاس عقلاً أخوفهم لله وأطوعهم له، وأنقص النّاس عقلاً أخوفهم للسلطان وأطوعهم له.

العظمة لله

قيل للإمام الحسن المجتبى (ع): فيك عظمة، فقال(ع): بل فيَّ عِزّة. قال الله: «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين».

دعاء المؤمن

قال الإمام السجاد(ع): المؤمن من دعائه على ثلاث: إمّا ان يدخر له، وإما أنْ يُعجّل له، وإمّا أنْ يدفع عنه بلاء يريد أنْ يصيبه.

من اصغى الى ناطق

قال الإمام الجواد(ع):

من أصغى الى ناطق فقد عبده، فإنْ كان الناطق عن الله فقد عبدالله، وإنْ كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس.

الدنيا دار بلوى

قال الإمام الهادي(ع):

إنَّ الله جعل الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقبى وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً.

بئس العبد

قال الإمام العسكري(ع):

بئس العبد عبدٌ يكون داوجهين وذا لسانين، يطرى اخاه شاهداً و يأكله غائباً، وإنْ أُعطيَ حسده، وإنْ ابُتليَ خانه.